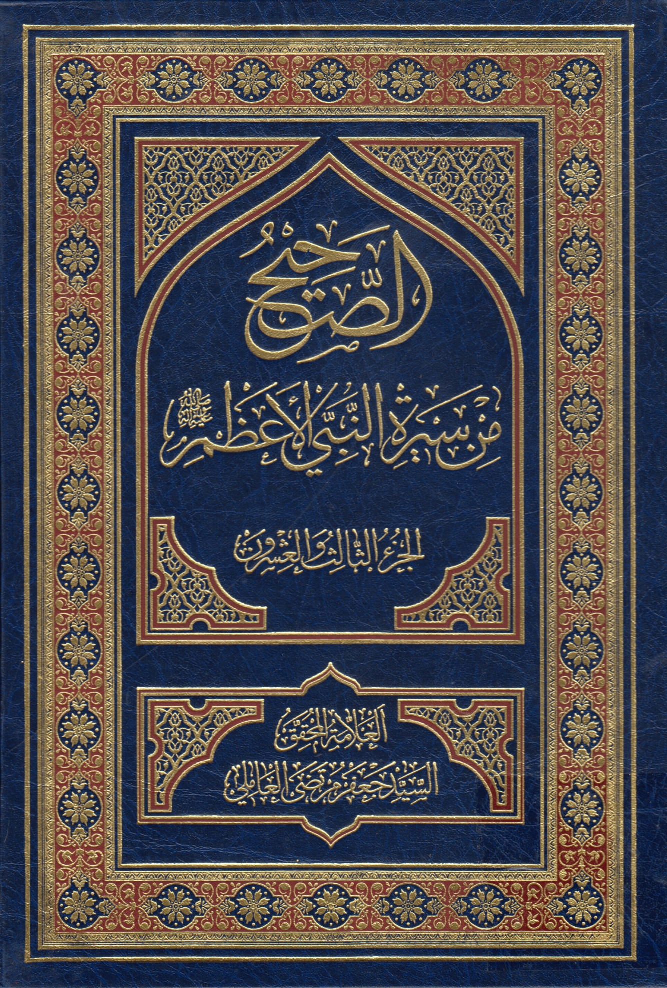


الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء الثالث والعشرون
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم







العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثالث والعشرون

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ

(الجزء الثالث والعشرون)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق - ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥-٧٧٤٠٥٢٣-٠٢٥١ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان - بيروت - حارة حريك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤-١-٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 195 - 6



الباب الثالث

نهايات فتح مكة

الفصل الأول: الذين أهدر النبي ﷺ دمهم

الفصل الثاني: أحداث جرت في فتح مكة

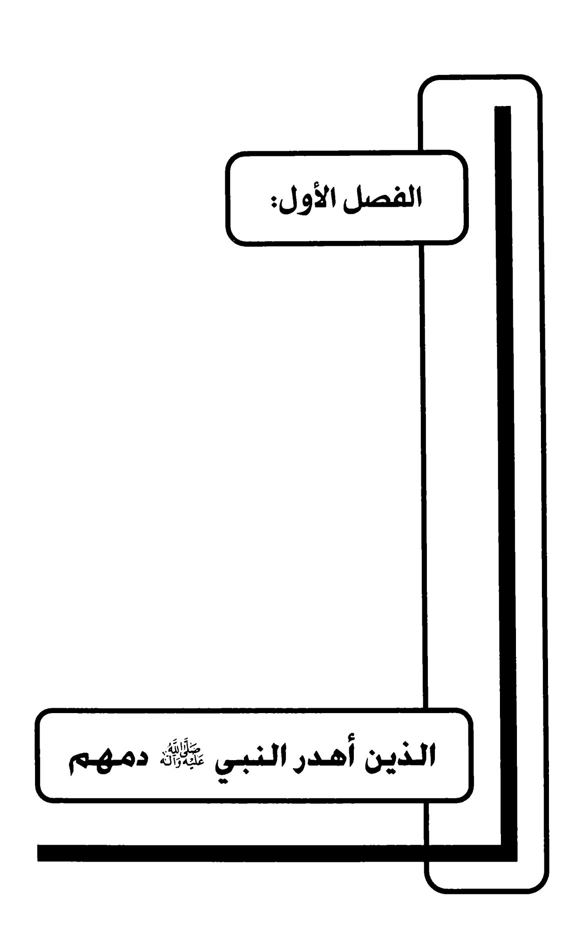
الفصل الثالث: تشريعات وأحكام

الفصل الرابع: مكة بعد الفتح بيد عتَّاب.. ومعاذ

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الأول:

الذين أهدر النبي ﷺ دمهم

[illegible]

[illegible]

كذلك نجزي المجرمين:

قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أهدر دم عدد من الأشخاص لأمور صدرت منهم، قد يصل عددهم إلى عشرين، بين رجل وامرأة. وقد أمر «صلى الله عليه وآله» بقتلهم، ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة[1]، وهم:

١ ـ عبد العزى بن خطل (عبد الله بن خطل).

٢ ـ عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

٣ ـ عكرمة بن أبي جهل.

٤ ـ الحويرث بن نقيدر.

٥ ـ مقيس بن صبابة.

٦ ـ هبار بن الأسود.

٧ ـ الحويرث بن الطلاطل الخزاعي.

٨ ـ كعب بن زهير.

٩ ـ وحشي بن حرب.

١٠ ـ سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب، بن عبد مناف.

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٨١ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٥٧ والبحار ج٢١ ص١٠٥ و ١٣١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٣ و ٩٠.

١١ ـ هند بنت عتبة.

١٢ ـ أرنب، مولاة ابن خطل.

١٣ ـ فرتنا. قينة لابن خطل.

١٤ ـ قريبة. قينة أخرى لابن خطل.

١٥ ـ أم سعد[1].

١٦ ـ صفوان بن أمية.

١٧ ـ الحارث بن هشام.

١٨ ـ زهير بن أمية، أخو أم سلمة زوج الرسول «صلى الله عليه وآله»[2].

١٩ ـ عبد الله بن ربيعة.

٢٠ ـ زهير بن أبي سلمى.

وذكر أيضاً إسما الرباب وخولة، ويحتمل أن تكون بعض هذه المذكورات أسماء وبعضها ألقاب، والتحقيق في ذلك ليس بالأمر المهم[3].

وهناك أشخاص آخرون أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم، كـ:

١ ـ أسيد بن إياس (أناس).

٢ ـ عبد الله ابن الزبعرى

٣ ـ هبيرة بن أبي وهب.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٣ ـ ٢٢٦ وعن فتح الباري ج٨ ص١٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٥٩ ص٦٨.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٨١ و ٨٢.

وأسباب ذلك لا تبتعد عن الأسباب التي دعت إلى إهدار دم من ذكرنا أسماءهم آنفاً، ولذلك فنحن نحيل القارئ على الكتب التي تعرضت لترجمة هؤلاء أو لقضايا تاريخية تتصل بهم.

فظهر أن ما يذكرونه من عددهم، مثل قول بعضهم: أن عددهم أحد عشر رجلاً.

وفي الإمتاع: ستة نفر، وأربع نسوة(١).

وعند الدياربكري: أحد عشر رجلاً، وستة نسوة(٢).

إن ذلك كله يبقى غير دقيق.

اقتلوهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة:

وقد يتساءل البعض: عن كيفية التوفيق بين احترام الكعبة وتعظيمها، واعتبار مكة بلداً آمناً.. وبين أمره «صلى الله عليه وآله» بقتل أفراد هذه الجماعة، حتى لو كانوا متعلقين بأستار الكعبة. فإن تناقض هذين الأمرين يكاد يكون ظاهراً.

والجواب: أن هذين الأمرين في غاية التوافق والإنسجام، بل إن الأمر بقتل هؤلاء الناس هو من مفردات تعظيم الكعبة، وحفظ حرمة الحرم.

لأنهم بشركهم، وبصدهم عن سبيل الله، وسعيهم في الأرض فساداً، وجدهم واجتهادهم لإبطال دين الله، وقتل الأنبياء والمؤمنين من أجل

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٨١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ عنه، وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٠.

نصرة الباطل، وتقويض صرح الحق، ومحاربتهم لله تعالى ـ إنهم بذلك كله ـ يمثلون الرجس والإثم والقاذورات التي لا بد من تطهير بيت الله وحرمه منها، فقتلهم حتى لو كانوامتعلقين بأستار الكعبة تكريم للكعبة، وتكريس لمعنى الطهر والقداسة فيها.

ويتأكد هذا المعنى: إذا كان هؤلاء يتخذون من الكعبة وسيلة لمواصلة إجرامهم في حق أنفسهم، وفي حق الإنسانية، وسبيلاً للإمعان في تمردهم على الله تعالى، وقهر عباده المؤمنين، وإطفاء نور الهداية الإلهية، عن طريق محاربة أنبياء الله، والسعي في قتلهم، أو محاصرتهم بالهموم والمتاعب، والبلايا والمصائب.

إن دخول هؤلاء إلى المسجد الحرام لا يرضاه الله تعالى، وهو محظور كحظر دخول أي حيوان نجس العين إلى مساجد الله سبحانه، فكيف إذا كان ذلك الحيوان يحمل القاذورات في كل جوارحه، وأجزاء جسده.

فإذا كان ذلك الحيوان عقوراً، شرساً، ضارياً، ولا يمكن دفع شره عن عباد الله إلا بقتله، فلابد من المبادرة إلى ذلك.

هذا.. ولا بأس بأن نشير هنا إلى بعض ما يرتبط بإهدار دم هؤلاء الناس بصورة تفصيلية، فنقول:

١ـ عكرمة بن أبي جهل:

أما عكرمة[١] بن أبي جهل، فإنه إنما أمر بقتله، لأنه كان هو وأبوه أشد

---

(١) العكرمة: هي الأنثى من الحمير.

الناس أذية للنبي «صلى الله عليه وآله»، وكان أشد الناس على المسلمين.

ولما بلغه أن النبي «صلى الله عليه وآله» أهدر دمه فرّ إلى اليمن، فاتبعته امرأته وهي بنت عمه، أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد أن أسلمت، فوجدته في ساحل البحر يريد أن يركب السفينة.

وقيل: وجدته في السفينة فردته[1].

وروي: أن عكرمة قال: بلغني أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نذر دمي يوم الفتح، وكنت في جمع من قريش بأسفل مكة ـ وقد ضوى إلي من ضوى ـ فلقينا هناك خالد بن الوليد، فأوقع بنا، فهربت منه أريد ـ والله ـ أن ألقي نفسي في البحر، وأموت تائهاً في البلاد قبل أن أدخل في الإسلام، فخرجت حتى انتهيت إلى الشعيبة.

وكانت زوجتي أم حكيم بنت الحارث امرأة لها عقل، وكانت قد اتبعت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقالت: يا رسول الله، إن ابن عمي قد هرب يلقي نفسه في البحر، فأمنه[2].

وعن سعد بن أبي وقاص، عن عروة: أن عكرمة ركب البحر، فأصابتهم

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩١ وكتاب التوابين ص١٢٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٩ وكنز العمال ج١٣ ص٥٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٦٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٢ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩١ وراجع البحار ج٢١ ص١٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٧٠ ص٢٢٥ والمنتخب من ذيل المذيل ص٩.

ريح عاصف، فنادى عكرمة اللات والعزى، فقال أهل السفينة: أخلصوا، فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً[1].

فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره، اللهم لك عهداً، إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفواً غفوراً كريماً، فجاء وأسلم[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩١، والبحار ج٩ ص١٣٧ وج٢٢ ص٤٩ وسنن النسائي ج٧ ص١٠٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٠٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٦٩ وعون المعبود ج٧ ص٢٤٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٣٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٠٢ ومسند أبي يعلى ج٢ ص١٠١ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٣٣٠ وكنز العمال ج١٠ ص٥١٧ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص٩٥ وزاد المسير ج٦ ص١٦٧ والدر المنثور ج٣ ص٣٠٣ وفتح القدير ج٢ ص٤٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٣ وج٤١ ص٥٩ وأسد الغابة ج٤ ص٥ والإصابة ج٤ ص٤٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٥ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص١١١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٢ عن ابن أبي شيبة، وأبي داود، والنسائي، والبيهقي، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٦١ ومجمع البيان ج٨ ص٣٢٣ وسنن النسائي ج٧ ص١٠٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٠٥ وعون المعبود ج٧ ص٢٤٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٠٣ ومسند أبي يعلى ج٢ ص١٠١ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٣٣٠ وكنز العمال ج١٠ ص٥١٨ والدر المنثور ج٣ وفتح القدير ج٢ ص٤٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٣ وأسد الغابة ج٤ ص٥ والإصابة ج٤ ص٤٤٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٥.

وقيل: وقع بصره على دفة السفينة، فرأى عليها مكتوباً: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ﴾[١] وكان معه محك، فأراد أن يمحو به تلك الكتابة فلم يستطع، فعلم أنه كلام الحق جل وعلا، فوقع في باطنه تغيُّر[٢].

وفي المشكاة: أن عكرمة هرب حتى قدم اليمن، فسافرت أم حكيم حتى قدمت عليه اليمن، فدعته إلى الإسلام فأسلم، وثبتا على نكاحهما[٣].

وقالوا: إن أم حكيم قالت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، قد ذهب عكرمة عنك (أو هرب عكرمة منك) إلى اليمن، وخاف أن تقتله، فأمنه يا رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هو آمن».

فخرجت أم حكيم في طلبه، ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنِّيه حتى قدمت به على حي من عك، فاستعانتهم عليه، فأوثقوه رباطاً، وأدركت عكرمة وقد انتهى إلى البحر، فركب سفينة، فجعل نوتي يقول له: أخلص أخلص.

قال: أي شيء أقول؟

قال: قل: لا إله إلا الله.

قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا، وإن هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتي!! ما الدين إلا ما جاء به محمد، وغيَّر الله قلبي.

---

(١) الآية ٦٦ من سورة الأنعام.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٩١.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٩١ عن المشكاة عن مالك، والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٢.

وجاءتني أم حكيم على هذا الأمر، فجعلت تليح إلي وتقول: يا ابن عم، جئتك من عند أبر الناس، وأوصل الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك.

فوقف لها حتى أدركته، فقالت له: إني قد استأمنت لك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأمنك.

فرجع معها، وقالت: ما لقيته من غلامك الرومي، وأخبرته خبره، فقتله، وهو يومئذ لم يسلم.

فلما وافى مكة قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً، مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت»[1].

فجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها، فتأبى عليه، وتقول: أنت كافر وأنا مسلمة.

فقال: إن أمراً منعك مني لأمر كبير.

وقالوا: فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عكرمة وثب إليه ـ وما على رسول الله «صلى الله عليه وآله» رداء ـ فرحاً بعكرمة، (زاد في بعض المصادر قوله: مرحباً بمن جاء مؤمناً مهاجراً)[2]، ثم جلس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوقف عكرمة بين يديه، ومعه زوجته متنقبة، فقال:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٢ وكتاب التوابين ص١٢٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٩ وكنز العمال ج١٣ ص٥٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٦٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٢ و (ط دار المعرفة) ص٤٠ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩١ و ٩٢ وراجع: تحفة الأحوذي ج٨ ص٤.

يا محمد!! إن هذه أخبرتني أنك أمنتني.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «صدقت فأنت آمن».

قال عكرمة: فإلامَ تدعو يا محمد؟

قال: «أدعو إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتفعل وتفعل» حتى عد خصال الإسلام.

فقال عكرمة: والله، ما دعوت إلا إلى خير وأمر حسن جميل، قد كنت فينا يا رسول الله قبل أن تدعونا ـ إلى ما دعوتنا إليه ـ وأنت أصدقنا حديثاً، وأبرنا براً، ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسر بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم قال: يا رسول الله، علمني خير شيء أقوله.

قال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله».

قال عكرمة: ثم ماذا؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تقول: أشهد الله، وأشهد من حضر أني مسلم، مجاهد، مهاجر». فقال عكرمة ذلك[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٢ و ٢٥٣ عن الواقدي، والبيهقي، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥١ و ٨٥٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٩٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٩ و ١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٢ و (ط دار المعرفة) ص٤٠ وراجع: كتاب التوابين ص١٢٤ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٤٢ وكنز العمال ج١٣ ص٥٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٦٤ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥ وراجع: البحار ج٢١ ص١٤٤ والمنتخب من ذيل المذيل ص٩ وكتاب الأم ج٧ ص٢٣٠.

قالوا: فرد رسول الله «صلى الله عليه وآله» امرأته بذلك النكاح الأول[1] وقد أسلمت امرأته قبله.

وعن عطاء قال: أسلم أبو سفيان، وحكيم بن حزام، ومخرمة بن نوفل قبل نسائهم، ثم قدموا على نسائهم في العدة، فردهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك النكاح.

مع أنه قد تقدم: أن رد هند على أبي سفيان بالنكاح الأول كان هو الأول بالنسبة إلى من أسلم، مع أنهم يذكرون: أن حكيم بن حزام قد أسلم هو وأبو سفيان معاً في مر الظهران.

وفي بعض النصوص: أنه وبديل بن ورقاء قد أسلما قبل أبي سفيان[2].

وأسلمت امرأة صفوان، وامرأة عكرمة قبل أزواجهما، ثم أسلما، فرد رسول الله «صلى الله عليه وآله» نساءهم عليهم، وذلك أن إسلامهم كان في عدتهن[3].

لم يقم النبي ﷺ إلا لعكرمة:

قالوا: قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعكرمة قائماً، وهو بعد

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١٠ وكنز العمال ج١٣ ص٥٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٦٤ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٦ عن الواقدي، وابن عقبة، ومصادر أخرى تقدمت.

(٣) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٥.

مشرك لم يسلم، ولم يقم رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجل داخل عليه من الناس، شريف ولا مشرف إلا عكرمة[١].

ونقول:

أولاً: إن قيام النبي «صلى الله عليه وآله» لرجل مشرك، ليس له في الدين أثر ولا مقام، مما لا يمكن قبوله.

فعن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام» من قام من مجلسه تعظيماً لرجل؟

قال: مكروه إلا لرجل في الدين[٢].

والنبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليقدم على عمل المكروه.

ثانياً: ما زعمته الرواية: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقم لأحد دخل عليه إلا لعكرمة، غير صحيح، فلاحظ:

١ ـ ما روي من قيامه «صلى الله عليه وآله» عند إقبال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن والحسين «عليهم السلام» عليه، وتقبيله إياهم[٣].

٢ ـ كان «صلى الله عليه وآله» يقوم لابنته فاطمة إذا دخلت إليه،

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٣٠٤.

(٢) البحار ج٢ ص٤٣ وج٧٢ ص٤٦٦ والمحاسن ج١ ص٢٣٣ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٥٦ ومشكاة الأنوار ص٢٣٧ ومنية المريد للشهيد الثاني ص٢٠٩ ودرر الأخبار ص٣٨ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٠٠٣.

(٣) البحار ج٢٧ ص١٠٤ وراجع ج٧ ص٣٣٣ وج٢٦ ص٢٣٨ وج٣٨ ص٣١٣ وج٤١ ص١٨١، والروضة في المعجزات والفضائل ص١٤٤ ومدينة المعاجز ج١ ص٤٦٨ ومشارق أنوار اليقين ص١٩٧.

تعظيماً لها[١].

٣ ـ قام «صلى الله عليه وآله» لجعفر بن أبي طالب حين قدم من الحبشة، فرحاً بقدومه[٢].

٤ ـ قام «صلى الله عليه وآله» للأنصار لما وفدوا عليه[٣].

ثالثاً: لا ندري ما هو الشيء الذي ميَّز عكرمة عن غيره، حتى استحق

---

(١) مستدرك الوسائل ج٩ ص١٥٩ وغوالي اللآلي ج١ ص٤٣٤ والبحار ج٤٣ ص٤٠ عن مناقب آل أبي طالب، وسنن أبي داود ج٤ كتاب الأدب حديث ٥٢١٧ ومناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» ج٢ ص١٨٦، ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٣ ومناقب أهل البيت ص٢٣٣ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٧٢ وفضائل الصحابة ص٧٧ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٦١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٦٠ وفتح الباري ج٨ ص١٠٣ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٢٦ والأدب المفرد ص٢٠٩ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٦٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٩٦ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٠٣ ونصب الراية ج٦ ص١٥٦ وموارد الظمآن ص٥٤٩ ونور العين في مشهد الحسين «عليه السلام» ص٨٣ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص١٦ وإعلام الورى ج١ ص٢٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص١٥١ وج١١ ص٤٤ وينابيع المودة ج٢ ص٥٥ واللمعة البيضاء ص٤٥.

(٢) مستدرك الوسائل ج٩ ص١٥٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٢٣ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣٢ وغوالي اللآلي ج١ ص٤٣٤ والوسائل كتاب الحج باب ١٢٨ حديث ١.

(٣) غوالي اللآلي ج١ ص٤٣٤ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣٢ ومستدرك الوسائل ج٩ ص١٥٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٢٣.

هذا من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

هل هذا اتهام لخالد؟!:

وقد ذكر عكرمة: أنه كان بأسفل مكة مع بعض الأشخاص، فلقيهم خالد بن الوليد، فأوقع بهم.

وهو تعبير يشير إلى: أن خالداً هو المتعمد للإيقاع بهم، والبادئ بذلك، دون أن يكون لدى الطرف الآخر خطة أو نشاط في هذا الإتجاه..

وسواء أكان هذا الإستنتاج دقيقاً أو غير دقيق. على اعتبار أن من الجائز أن يكونوا هم المعتدين، ثم يوقع بهم المعتدى عليهم.. غير أن الحقيقة هي: أن خالداً كان هو المبادر للقتال، مخالفاً بذلك أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولا يصح ما ادَّعوه لتبرير هذه الفعلة من خالد: بأنهم اجتمعوا بالخندمة لحربه، فقاتهلم وقتلهم.

كما لا يصح قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر بذلك..

بل الصحيح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نهى خالداً عن القتال، فعصى خالد أمره.

غصّة عكرمة ويأسه:

ونرى في الحديث المتقدم عن عكرمة كيف أن عكرمة يعيش الغصة، ويهيمن عليه اليأس، ويصده عمله السيء عن الإيمان بالله، ويفكر بالإنتحار غرقاً، أو بأن يهيم على وجهه، على أن لا يدخل في دين الله تعالى..

ولكن هذا الإستكبار والعناد سرعان ما تحول ـ حسب زعمهم، ونصوصهم المجعولة ـ إلى إيمان وهجرة، وفضائل وكرامات، وجهاد

ونفقات، وما إلى ذلك!!

فهل ترى الأمر بهذه السهولة حقاً؟!

وهل ما رآه من آيات ودلالات كان أعظم وأهم مما كان قد رآه طيلة عشرين سنة سبقت؟!

إن ذلك يبقى مثاراً للريبة بالدوافع التي تدعو لنسج هذه الكرامات والفضائل لمن لا تدل على حياته قبل إسلامه وبعده على أي تبدل جوهري، في حياته وفي ممارساته.

عكرمة مهاجر ومؤمن:

١ ـ وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لهم: يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً.

مع أنهم قد رووا: أنه لا هجرة بعد الفتح، وعكرمة إنما أسلم بعد الفتح، وبعدما هرب من مكة إلى اليمن.. أو غيرها.

٢ ـ وعن إيمان عكرمة نقول:

كيف يصف النبي «صلى الله عليه وآله» عكرمة: بأنه مؤمن وهم قد صرحوا في روايات إسلامه: بأنه حين جاء إلى النبي لم يكن قد اسلم، فضلاً عن أن يكون قد آمن. وإنما اسلم بعد مجيئه..

غاية الأمر: أنهم يدَّعون: أنه قد وقع في باطنه تغير، ولكنهم اختلفوا في سببه.

فتارة يقولون: إن السبب هو: أن عاصفة ضربتهم في البحر، فطلب منهم النوتي أن يخلصوا (أي أن يقولوا كلمة الإخلاص).

وتارة يقولون: إنه رأى آية مكتوبة على دفة السفينة، فأراد أن يمحوها، فلم يستطع، فعلم أنه كلام الحق جل وعلا.

٣ ـ سيأتي قصة منام النبي «صلى الله عليه وآله» عن عذق أبي جهل في الجنة، وأنه لما جاءه عكرمة مسلماً فرح، وأوَّل ذلك العذق به.

فهذه الرواية تفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما عرف بإسلامه بعد ان جاءه. ولو لم يأته مسلماً لم يؤول ذلك العذق به.

ولكنهم يناقضون قولهم هذا، فيقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يدعُ على أبي جهل في أول بعثته لأن عكرمة كان في صلبه كما سيأتي.. وأنه أخبر عن إسلام عكرمة قبل الفتح حين طعن مسلماً فقتله في بعض الحروب.

لا تسبوا أبا جهل:

وأما نهي النبي «صلى الله عليه وآله» عن سب أبي جهل، فإن سب الميت يؤذي الحي[1].

فأولاً: إننا لا نعرف السبب في تخصيص أبي جهل بهذا النص الناهي عن التعرض له بالسب، رغم أن العشرات، والمئات، وربما الألوف من الصحابة كان آباؤهم يحاربون الإسلام، وقد قتلوا، وبقي أبناؤهم يعيشون بين المسلمين. إلا إن كان سب أبي جهل دون سواه هو المرسوم والشائع والمتداول بين المسلمين!!

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١ ص٢٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٥٦ و ٦٧ وكنز العمال ج١٣ ص٥٤١ وذخائر العقبى ص١٩٤ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٠٨٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١١ ص٦٨.

ثانياً: إن هذا التعليل الذي ذكره، وهو: أن سب الميت يؤذي الحي لا يختص بأبي جهل، وابنه عكرمة، فلماذا تأخر إصدار الأمر للمسلمين كل تلك السنين؟! ولماذا سكت النبي «صلى الله عليه وآله» كل هذه المدة وهو يرى المسلمين واقعين بهذا الخطأ، ولا يحذرهم منه؟!

ثالثاً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد ذم أبا جهل بما لا مزيد عليه، فهل يجيز للناس أن ينقلوا أقواله فيه؟! أم لا يجيز لهم ذلك؟!

وإذا نقلوها، فهل يؤذي ذلك أولاده الأحياء أم لا يؤذيهم؟!

ألا يتوقع أن يكون تأذيهم به أكبر بكثير مما قد يسمعونه من الناس العاديين الذين قد يوصفون بالجهل وسوء الأدب..

ولكن كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبقى خالداً عبر العصور والدهور.. وإلى يوم القيامة.

ويكفي أن يقول الناس: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي سماه بأبي جهل، مع أن كنيته هي: أبو الحكم[1].

ورووا: أن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عدَّه من الفراعنة[2]، ولم يكن «عليه السلام» ليخالف أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه، ولا في غيره..

---

(١) البحار ج١٠ ص٣٧ وج١٧ ص٢٨٤ وج١٨ ص٢٣٧ عن الإحتجاج ج١ ص٣٢٣ والثاقب في المناقب ص١١٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٢٩٢ و ٣٠٠ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٥٠ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١١٣.

(٢) البحار ج١٠ ص٣٥ وج١٧ ص٢٨٢ عن الإحتجاج ج١ ص٣٢١ وحلية الأبرار ص١٢٥ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٣٥ وج٤ ص٥٥٥.

تناقضات وتشابه بين قصتي صفوان وعكرمة:

١ ـ إن ملاحظة ما جرى لصفوان، وما جرى لعكرمة تعطي: أن ثمة تشابهاً بينهما، فكلاهما قصد اليمن.

وكلاهما يريد أن يلقي بنفسه في البحر.

وكلاهما يأتيه قريب له بالأمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وكلاهما يدركه وسيطه عند البحر.

وكلاهما يقول له وسيطه: جئتك من عند أبر الناس، وأوصل الناس، ونحو ذلك.

وكلاهما يذهب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ويقول له: إن فلاناً زعم أنك أمنتني.

غير أن في قصة صفوان زيادة طلب العلامة، وفي قصة عكرمة زيادات، فيما يرتبط بمقامه، وثناء النبي «صلى الله عليه وآله» عليه، وقيامه له، ووصفه بالمؤمن المهاجر، وما إلى ذلك.

٢ ـ إن هناك تناقضات ظاهرة في رواية عكرمة يمكن استخلاصها بالمراجعة والمقارنة.

سر تعظيم عكرمة:

إن عكرمة بن أبي جهل هو أحد من أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه، حتى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة، بسبب شدة طغيانه، وعظيم استكباره، وقبيح عدوانه..

وقد عظموه، وبجلوه بصورة لافتة، حتى ادَّعوا: أنه «صلى الله عليه

وآله» رأى في منامه أنه دخل الجنة، ورأى فيها عذقاً، فأعجبه وقال: لمن هذا؟

فقيل: لأبي جهل.

فشق ذلك عليه «صلى الله عليه وآله»، وقال: لا يدخلها إلا نفس مؤمنة.

فلما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسلماً فرح به، وأوَّلَ ذلك العذق لعكرمة(١).

وأنه حين أسلم قام إليه «صلى الله عليه وآله» واعتنقه، وقال: مرحباً بالراكب المهاجر.

وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يدعُ على أبي جهل في أول بعثته، لأن عكرمة كان في صلبه(٢).

وأنه طعن مسلماً فقتله، فضحك النبي «صلى الله عليه وآله»، فسئل عن ذلك، فقال «صلى الله عليه وآله»: أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة(٣).

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩١ و ٩٢ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٢٥ وسفينة البحار ج٦ ص٣٣٣ والإصابة ج٢ ص٤٩٦ عن الترمذي.

(٢) راجع: تفسير الإمام العسكري ص٥١٣ و ٥١٤ والبحار ج٩ ص٢٧٩ وج١٧ ص٣٥٢ و ٣٥٣ والإحتجاج ج١ ص٣٦ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٢٦ وسفينة البحار ج٦ ص٣٣٣ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥٠٣.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٣ وكنز العمال ج١١ ص٧٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٦٠ وج٤١ ص٦٠.

ونقول:

أولاً: حديث الرؤيا منقطع: لأن راويه هو مصعب بن سعد عنه، ومصعب لم يدركه[(١)]، وحتى لو أدركه فإنه هو راوي ذلك لنفسه، وهو إنما يجر النار إلى قرصه.

ثانياً: كيف يكون مهاجراً ـ كما ورد في الحديث الآخر ـ وهم يدَّعون: أنه لا هجرة بعد الفتح؟!

ثالثاً: إن عكرمة كان في أول البعثة كبير السن، وفي يوم أحد كانت معه زوجته أم حكيم[(٢)]. وكان من رؤساء القوم[(٣)]. وكان يومئذٍ على ميسرة المشركين. وكان على الحرس أيضاً، وكان خالد بن الوليد على ميمنتهم[(٤)].

ويوم الأحزاب عبر الخندق مع عمرو بن عبد ود، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله[(٥)].

---

(١) الإصابة ج٢ ص٤٩٦.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢١٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١.

(٣) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٧٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٣١٩ وأسد الغابة ج١ ص٢٢٢.

(٤) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣١ و ٢٢٨ و ٢٣٥ وراجع ص٢٤٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٤٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٦٧.

(٥) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ و ٦٤ والبحار ج٢٠ ص٢٠٢ و ٢٢٥ و ٢٥٤ وج٣٩ ص٤ ورسائل المرتضى ج٤ ص١١٧ و ١٢٢ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٣٩٤ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٦ والإرشاد ج١ ص٩٩ =

وفي بدر ضرب معاذ بن عمرو بن الجموح على عاتقه فطرح يده، وذلك حين رآه قتل أباه أبا جهل[1].

وقتل من المسلمين يوم بدر رافع بن المعلى الزرقي[2] ولكن زياد بن لبيد سلب عكرمة درعه يوم بدر[3].

= و ١٠٢ والأمالي ج٣ ص٩٥ والمستجاد في الإرشاد ص٦٩ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص١٣١ وكشف الغمة ج١ ص١٩٨.

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١٤٠ والسير الكبير ج٢ ص٦٠٠ وكتاب المنمق ص٤١٢ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٥١ ونيل الأوطار ج٨ ص١٠٠ وفتح الباري ج٧ ص٢٣١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٥٤ وعيون الأثر ج١ ص٣٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٤٠ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٥٠ والأعلام ج٧ ص٢٥٨ والبحار ج١٩ ص٣٣٧ و ٢٥٧ وأسد الغابة ج٤ ص٣٧٩ و ٣٨١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٤٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٠ والمستدرك ج٣ ص٤٢٤ ومجمع الزوائد ج٦ ص٨٠ و ١٠٤ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٧٧ والثقات ج١ ص١٧١ والإصابة ج٦ ص١١٣.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٠٨ ومنتهى المطلب (ط ج) ج٢ ص٨٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥٠٣ وتفسير الميزان ج٩ ص٣٥ والطبقات الكبرى ج٣ ص٦٠١ وتاريخ خليفة بن خياط ص٣٣ والجرح والتعديل ج٣ ص٤٨٠ والإصابة ج٢ ص١٦٩ و ٣٧٠ والمعجم الكبير ج٥ ص٢٠ وأسد الغابة ج١ ص٣٥٧ وج٢ ص١٥٩ والبحار ج١٩ ص٣٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٩٥.

(٣) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٢٣ ومواقف الشيعة ج٣ ص١٦١.

وكان ممن قدم في أسرى بدر[1] وكان من أشراف قريش الذين مشوا إلى أبي سفيان يحرضونه على المسير إلى أُحد[2].

رابعاً: إنه كان من المناوئين لأمير المؤمنين «عليه السلام».. ولعل هذا هو السبب في إغداقهم الأوسمة عليه، ونسج الكرامات له.

فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: أنه قد ظاهر أعداءه عليه «صلوات الله وسلامه عليه»، وحين هتف الأنصار باسم علي «عليه السلام» قال: «وإن الذى هم فيه من فلتات الأمور ومن نزغات الشيطان، وما لا يبلغه المنى، ولا يحمله الأمل. أَعْذِرُوا إلى القوم، فإن أبوا فقاتلوهم. فوالله، لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصيَّر الله هذا الأمر فيه»[3].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١٩٩ و ٢٠٤ وعن مغازي الواقدي ج١ ص١٣٩.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢١٣ و ٢١٤ وعين العبرة ص٥٤ والبحار ج١٧ ص١٨٠ وج١٩ ص٢٣١ وتفسير مجمع البيان ج٤ ص٤٦٤ وتفسير الميزان ج٤ ص١٤ وجامع البيان ج٩ ص٣٢٣ وأسباب نزول الآيات ص١٥٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٢٠ وتفسير الجلالين ص٤١٩ والدر المنثور ج٢ ص٦٧ ولباب النقول ص٩٩ وفتح القدير ج٢ ص٣٠٧ وعيون الأثر ج١ ص٤٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٨٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٥٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١٩.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٢٤ ومواقف الشيعة ج٣ ص١٦٢ والإصابة ج١ ص٦٩٨ و ٦٩٩.

٢ـ صفوان بن أمية:

ولما علم صفوان بن أمية أن النبي «صلى الله عليه وآله» أهدر دمه يوم فتح مكة، هرب مع عبد له، اسمه يسار إلى جدة[1].

وقالوا: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك وسلم.

قال: «هو آمن».

وفي الحلبية: (فأمنه، فإنك أمنت الأحمر والأسود.

فقال «صلى الله عليه وآله»: أدرك ابن عمك، فهو آمن.

فقال: أعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطى «صلى الله عليه وآله» لعمير عمامته التي دخل بها مكة)[2].

فخرج عمير حتى أدركه ـ وهو يريد أن يركب البحر ـ وقال صفوان لغلامه يسار ـ وليس معه غيره ـ: ويحك!! أنظر من ترى؟

قال: هذا عمير بن وهب.

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٩ وأسد الغابة ج٣ ص٢٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٥٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٨٤ والثقات ج٢ ص٥٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٨ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٢ وسبل الهدى والرشاد ح٥ ص٢٥٤.

قال صفوان: ما أصنع بعمير بن وهب، والله ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر علي محمداً.

فلحقه، فقال: يا أبا وهب جعلت فداك، جئت من عند أبر الناس، وأوصل الناس، فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جئتك به.

قال: ويحك، أغرب عني فلا تكلمني.

قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي. أفضل الناس، وأبر الناس، وخير الناس ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك.

قال : إني أخافه على نفسي.

قال: هو أحلم من ذلك وأكرم.

قال: ولا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها.

فقال: امكث مكانك حتى آتيك بها.

فرجع عمير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: إن صفوان أبى أن يأنس لي حتى يرى منك أمارة يعرفها، فنزع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمامته فأعطاه إياها، وهي البرد الذي دخل فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» معتجراً به برد حبرة.

فرجع معه صفوان حتى انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يصلي بالمسلمين العصر في المسجد، فلما سلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» صاح صفوان: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني ببردك، وزعم: أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمراً، وإلا سيَّرتني شهرين.

فقال: «انزل أبا وهب».

قال: لا والله حتى تبين لي.

قال: «بل لك تسيير أربعة أشهر».

فنزل صفوان.

ولما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هوازن (وعند الواقدي والدياربكري: أرسل إليه يستعير سلاحه، فأعاره سلاحه، مائة درع بأداتها، فقال: طوعاً أو كرهاً.

قال «صلى الله عليه وآله»: عارية مؤداة.

فأعاره، فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» فحملها إلى حنين، فشهد حنيناً والطائف، ثم رجع «صلى الله عليه وآله» إلى الجعرانة، فبينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسير في الغنائم ينظر إليها).

وفرق غنائمها، فرأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» صفوان ينظر إلى شعب ملآن نعماً وشاء ورعاء، فأدام النظر إليه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يرمقه، فقال: «يا أبا وهب يعجبك هذا الشعب»؟

قال: نعم.

قال: «هو لك وما فيه».

فقبض صفوان ما في الشعب، وقال عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وأسلم مكانه[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٣ و ٢٥٤ عن ابن إسحاق، والبيهقي، والواقدي، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٣ ـ ٨٥٥ ودلائل النبوة للبيهقي =

يحسبون كل صيحة عليهم:

وبعد.. فقد حكى الله حالة الرعب التي تهيمن على أعداء الله من المنافقين، فكيف بالكافرين، فقال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وحالة صفوان بن أمية تجسد مضمون هذه الآية بصورة دقيقة، فقد كان يرى نفسه من الرؤساء والزعماء الكبار في قومه، وكان يعيش حالة الإستكبار والجحود، ويمارس الطغيان والتعدي والظلم، حسب ما يروق ويحلو له.. وإذ به بين ساعة وأخرى يرى نفسه شريداً طريداً هارباً، يستجدي الرحمة من أي كان من الناس.

ويرى: أن كل شيء يلاحقه، حتى أبناء عشيرته، ولذلك فهو يقسم: أن عمير بن وهب، وهو من قومه وعشيرته، جاء يريد قتله، وقد ظاهر عليه محمداً «صلى الله عليه وآله».

مع أن عميراً كان يفكر في الإتجاه الآخر، وقد حصل له على الأمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو يلاحقه ليعيد السكينة إلى قلبه، وليحفظ حياته، بل هو يريد أن يراه عزيزاً شريفاً مكرماً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولذلك قال له، كما تقدم: «عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك».

= ج٥ ص٩٨ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٩٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٣ و ٩٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١١ و ١٢ وكنز العمال ج١٠ ص٥٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٤ ص١١٤ و ١١٥ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٦٦ والمعجم الأوسط ج٣ ص١٥٢.

(١) الآية ٤ من سورة المنافقون.

إنقلاب الصورة:

واللافت هنا: أن هذا الرجل المشرك الذي لم يزل يفتئت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويرميه بكل فرية، ويصفه بأنه قاطع الرحم، وبأنه شاعر، وكاهن، وكاذب، ومفرق الجماعة، وسبب الشرور والبلايا، والمصائب والرزايا. ولا تزال هذه الكلمات تتزاحم في فمه، وتتراكض على لسانه.

وإذ به حين يختار الإسلام يبادر إلى الحديث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما يناقض ذلك كله.. فيصفه: بأنه أبر الناس، وأكرمهم، وأفضلهم، وخيرهم..

وتجده بالغ الحماس لإثبات صحة ما يقول في إسراره وإعلانه، وفي سائر المواقف، مهما اختلفت خصوصياتها، وحالاتها، واقتضاءاتها..

ما أسرع ما أجاب!!:

واللافت أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يتردد في العفو عن عكرمة، وعن صفوان، وعن غيرهما ممن أهدر دمهم في فتح مكة.

وتجد سهولة ظاهرة في إعطائه الأمان لهم، حتى كأنه ينتظر هذا الطلب، وقد أعد له هذه الإجابة والإستجابة!!

ولم نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ناقش أحداً في أمر الأمان، أو ذكَّر أحداً منهم بما صدر منه، مما اقتضى اعتباره مجرماً مهدور الدم.

وقد طلب منه صفوان أن يسيره شهرين، فأعطاه «صلى الله عليه وآله» أربعة أشهر، تفضلاً منه «صلى الله عليه وآله» وكرماً، وسماحة، وفضلاً.

ولكن ذلك لا يقلل من قيمة الإجراء الأول، وهو إهدار الدم، الذي

اتخذه في حق ذلك المجرم، بل ذلك إعلان لكل أحد: بأن ثمة جرائم وعظائم تستحق أمثال هذه العقوبات، ولا ترتفع عقوباتها إلا بهذا الأمان، الذي يستبطن انصياعاً واعترافاً، واستسلاماً، وتخلياً عن منطق الجحود، والطغيان، وخروجاً عن صفة العتو والتمرد، ورفضاً وإدانة لسبل الجبارين والمفسدين.

فيأتي هذا التفضل النبوي، ليعطي للناس الإنطباع الصحيح عن حقيقة هؤلاء، ليدركوا بعقولهم، وبفطرتهم البون الشاسع بينهم وبين حقيقة الشخصية النبوية الإلهية، التي تعيش روح التقوى، والعمل الصالح في كل مفردات حياتها.

هذه هي معاييرهم:

والذي يثير استغراب الإنسان العاقل والمنصف حقاً: أن ترى صفوان بن أمية، وهو من الزعماء والرؤساء في قومه، لا يستجيب لنداء العقل، ولا ينساق مع قضاء الفطرة، ولا يخضع لما تقتضيه المعجزات الإلهية القاهرة، التي تضطر كل ذي لب، وضمير، ووجدان حي للانقياد، والتسليم، والخضوع، ولا لغير ذلك من كرامات حبا الله بها نبيه والمؤمنين، أو دلالات وآيات بينات.

إن صفوان يتجاهل ذلك كله، ويرى أنه لا يعني له شيئاً، ويصر على العناد واللجاج والجحود، وعلى مواصلة حرب الله ورسوله، والمؤمنين..

ثم يبوء بالفشل، ويواجه الهزيمة الذليلة، ويعيش الخزي بأقسى وأظهر معانيه، حتى استنقذه بعض أهل الإسلام، الذين حاربهم، وبغى ـ ولم يزل ـ

الغوائل لهم، ووجد الخلق الرفيع، وأعظم مظاهر الكرم، والفضل، والبر، والنبل، والسماحة لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين عفا عن جرائمه الكبيرة، التي جعلته مهدور الدم..

نعم.. إن صفوان لا يرى في ذلك كله: أية دلالة على الحق والهدى، ولا يدله على بطلان ما يعتقده في أصنامه، التي هي مجرد أحجار، وجمادات ومخلوقات لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فيعطيها مقام الألوهية والخالقية، والرازقية. ولا يدله ذلك على قبح الظلم والإفساد، والطغيان، وغير ذلك من جرائم يرتكبها.

ولكنه يهتدي للحق ـ بزعمه ـ حين يرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد منحه بعض فضول الحطام في هذه الدنيا الدنية، فيدَّعي: أن ذلك قد دله على بطلان أصنامه، وعلى أن ثمة ألهاً سواها يستحق أن يعبد، وعلى وجود حساب وعقاب، وثواب، وعلى وجود آخرة، وعلى صحة نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى رسوليته و.. و.. الخ.

فهو يقول عندما أعطاه النبي «صلى الله عليه وآله» بعض الإبل التي رمقها بعين الوامق: «ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وأسلم مكانه..».

فهل عميت بصيرته عن كل تلك الدلالات، وعن جميع المعجزات والكرامات؟! أم انطفأ سراج عقله؟! وتلاشت كل ومضات النور في فطرته؟! حتى لم يبق إلا رشحات الأطماع، وومضات الأهواء والشهوات لتكون هي التي تهدي صفوان من الضلال، وتحفظه من الضياع؟!

ولكنك مع ذلك كله تجد بعض الناس يعظمون أمثال صفوان،

ويعتقدون عدالته، وإخلاصه.

فما أعجب أمر هؤلاء!! وما عشت أراك الدهر عجباً!!

صفوان بن أمية في ميزان الإعتبار:

لقد حاولت بعض الروايات: أن تعطي صورة مشرقة عن صفوان قبل إسلامه، ثم تدَّعي: أنه قد حسن إسلامه، بعد أن كان من المؤلفة قلوبهم.

غير أن مراجعة تاريخ صفوان، لا تشجع على تصديق ما يذكرونه عنه، فهو قبل أن يتظاهر بالإسلام كان من المعاندين والجاحدين، الذين يجهدون لإطفاء نور الله تبارك وتعالى بماله، وبلسانه، وبيده..

وإذا تتبعنا أحوال هذا النوع من الناس، فقد لا نعثر على أي واحد منهم يمكن الإطمينان إلى إخلاصه وسلامة دينه، بعد أن أظهر الإسلام.

ويكفي أن نذكر: أن صفوان هو الذي أخرج خمس مائة دينار ليجهز بها جيش المشركين إلى بدر(١).

وهو الذي ضمن لعمير بن وهب قضاء دينه، وأن يضم عياله إلى عياله، على أن يقتل محمداً «صلى الله عليه وآله»، إذا أصيب في هذا السبيل، ثم جهزه وأرسله إلى المدينة، لينفذ ما تآمرا عليه(٢).

---

(١) سفينة البحار ج٥ ص١٣٠ وتفسير القمي ج١ ص٢٥٧ والبحار ج١٩ ص٢٤٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص١١٣.

(٢) سفينة البحار ج٥ ص١٣٠ والبحار ج١٧ ص٢٩٦ وج١٠ ص٤٩ ـ ٥١ وج١٨ ص١٤٠ وج١٩ ص٣٢٦ والإحتجاج ج١ ص١١٨ ـ ١٢٠ والخرائج والجرائح ج١ ص١١٩ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص١١٣ والمنتقى للكازروني =

ويروى عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: جرت في صفوان بن أمية الجمحي ثلاث من السنن: استعار منه رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعين درعاً حطمية، فقال: أغصباً يا محمد؟

قال: بل عارية مؤداة.

فقال: يا رسول الله إقبل هجرتي.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «لا هجرة بعد الفتح»[1].

= ص١١٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣١٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص١٤٧ ـ ١٤٩ والثاقب في المناقب ص١٠١ وكلمات الإمام الحسين للشريفي ص١٨٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٣٤١ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٩٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٠٠ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٨٥ والمعجم الكبير ج١٧ ص٥٦ و ٥٨ و ٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١٥٤ وكنز العمال ج١٣ ص٥٦٣ وأسد الغابة ج٤ ص١٤٩ والإصابة ج٤ ص٦٠٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٦٧ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٨١ وعيون الأثر ج١ ص٣٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٨٦.

(١) المنتقى من السنن المسندة ص٢٥٧ وتاريخ المدينة ج٢ ص٤٨٢ وقصص الأنبياء للراوندي ص٢٩٢ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣٥٠ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص٧١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٦ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٤٥٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦٥ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص٣٠٨ ولسان العرب ج٣ ص١٣٥ وتاج العروس ج٢ ص٣٢٩ والمعجم الكبير ج٣ ص٢٧٣ ومعرفة علوم الحديث ص٢٤ ومسند الشهاب ج٢ ص٤١ ورياض الصالحين للنووي ص٥٧ وفيض القدير ج٦ ص٥٦٧ وتفسير مجمع البيان ج٤ ص٤٩٩ وجامع البيان ج١٠ ص٦٧ =

= وأحكام القرآن ج٢ ص٣٤ وتفسير القرطبي ج٥ ص٣٠٨ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٥٩ والدر المنثور ج٦ ص٤٠٦ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٢٢١ وفتح القدير ج١ ص٥٠٥ والمحصول ج٤ ص٣٣٢ والسير الكبير ج١ ص٩٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٢ والطبقات لخليفة بن خياط ص٧٧ والتاريخ الكبير ج٧ ص١٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٤ ص١٠٥ وأسد الغابة ج١ ص١١٩ وتهذيب الكمال ج٢ ص٤٩٤ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٦٤ وتهذيب التهذيب ج٥ ص١٦٠ والإصابة ج١ ص٢٦٨ والمبسوط للطوسي ج٢ ص٤ والسرائر للحلي ج٢ ص١٤ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص١٨٠ مسند أبي يعلى ج٨ ص٣٦٢ ومسالك الأفهام ج٣ ص١٧ ومجمع الفائدة ج٧ ص٤٤٦ وزبدة البيان ص٣١٤ وجواهر الكلام ج١٣ ص٣٦٣ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٦٣ وبدائع الصنائع ج١ ص١٥٨ وتكملة حاشية المحتار ج١ ص٣٦١ والمغني لابن قدامة ج١٠ ص٥١٣ وج١١ ص٢٤٨ والشرح الكبير ج١٠ ص٣٨٠ وج١١ ص٢٠٨ وكشاف القناع ج١ ص٥٧٤ وج٣ ص ٤٧ وسبل السلام ج٢ ص٢٨ والمحلى ابن حزم ج٧ ص ٤٥ و ٢٩١ ونيل الأوطار الشوكاني ج٣ ص ١٩٣ وج٨ ص ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ وفقه السنة الشيخ سيد سابق ج٢ ص٦٢٣ ونهج البلاغة خطب الإمام ج٢ ص١٢٩(ش) والخصال ص١٩٣ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٢٦١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٩ ص٩٥ و (ط دار الإسلامية) ج١٣ ص٢٣٩ والخرائج والجرائح ج٢ ص٥٤٥ والمحتضر ص١٨٧ و ٣٢١ وعوالي اللآلي ج١ ص٤٤ و ١٦٢ والبحار ج١٩ ص٩٠ وج٣٣ ص٩٤ وج٤١ ص١٧٠ وج٦٦ ص٢٢٩ و ٢٣٠ وج٧٦ ص١٨٢ وج٨٥ ص ٤٦ وج١٠٠ ص١٧٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص٤ وج٢٥ ص٥٥٢ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٨١ وج١٠ ص٤٨٦ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦١٧ ومسند أحمد =

= الإمام ج١ ص٢٢٦ و ٣٥٥ وج٣ ص٢٢ و ٤٦٨ و ٤٦٩ وج٥ ص١٨٧ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٩ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٠٠ و ٢١٠ وج٤ ص٣٨ و ٢٥٣ وج٥ ص٩٨ وصحيح مسلم ج٦ ص٢٨ وسنن الترمذي ج٣ ص٧٥ والمستدرك الحاكم ج٢ ص٢٥٧ وج٣ ص ١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٧ وشرح مسلم النووي ج٥ ص١٧٣ وج٩ ص١٢٣ وج١٣ ص٦ و ٧ و ٨ وج١٤ ص٢٠٩ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٥ ص٢٥٠ وفتح الباري ج١ ص١٢٦ وج٦ ص٣ و ٢٨ و ١٣٢ و ٢٠٣ وج٧ ص١٧٨ و ١٧٩ و ٢٠٢ و ٢١٦ و ٣٤٠ وج١٠ ص١٥٥ و ٤٥٧ وج١٣ ص ١٧٣ وعمدة القاري ج١ ص٢٩ و ٣١٥ وج٩ ص١٥ وج١٤ ص٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ١٢٢ و ٢٢٥ وج١٥ ص١٠ وج١٧ ص٣٧ الديباج على مسلم للسيوطي ج٣ ص٣٩٧ وج٥ ص٢٣٢ وتحفة الأحوذي ج٥ ص ١٧٨ وج٨ ص٤ وعون المعبود ج٢ ص٢٠٤ وعون المعبود ج٧ ص١١٣ ومسند ابن المبارك ص١٣٣ ومسند أبي داود الطيالسي ص٨٤ و ١٣٠ و ٢٩٣ والمصنف عبد الرزاق الصنعاني ج٥ ص ٣٠٩ وج٨ ص٤٧٤ وج١٠ ص١٥٢ والمصنف ابن أبي شيبة الكوفي ج٨ ص٥٣٩ و ٥٤٠ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٨٣ والآحاد والمثاني للضحاك ج٣ ص٨٦ ج٤ ص٢٣٠ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٣٦٢ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٥٧ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣٥٠ وج١٠ ص٤٥٢ ج١١ ص٢٠٩ والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٢٧٣ وج١٠ ص٣٤٠ وج١١ ص٢٦ وج١٨ ص٢٦٢ و ٢٦٣ وج٢٠ ص ٣٢٥ ومعرفة علوم الحديث للنيسابوري ص٢٤ ومسند الشهاب لابن سلامة ج٢ ص٤١ و ٤٢ والإستذكار لابن عبد البر ج٧ ص٢٧٧ وج٨ ص٢٢٦ الإستيعاب ج١ ص٨ و ١٠٦ وج٢ ص٧٢٠ و ٧٢٣ و ٨٣٧ وج٣ ص١٢٥٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص٢١٨ وج٨ ص٣٩٠ وشرح نهج البلاغة =

وكان راقداً في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتحت رأسه رداؤه، فخرج يبول، فجاء وقد سرق رداؤه، فقال: من ذهب بردائي؟ وخرج في طلبه، فوجده في يد رجل، فرفعه إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

فقال «صلى الله عليه وآله»: اقطعوا يده.

فقال: أتقطع يده من أجل ردائي يا رسول الله؟ فأنا أهبه له.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ألا كان هذا قبل أن تأتيني به.

فقطعت يده[1].

= للمعتزلي ج١٣ ص٢٧٥ وج١٧ ص٢٥٦ وتغليق التعليق لابن حجر ج٢ ص٥١ وج٤ ص١٤٦ وكنز العمال ج٢ ص٣٧٠ و ٥٦٠ و ٥٦١ وج١٠ ص٥٠٠ وج١٦ ص٦٥٤ و ٦٥٦ و ٦٦٠ ولتبيان الشيخ الطوسي ج٥ ص ١٦٤تفسير مجمع البيان الشيخ الطبرسي ج٤ ص٤٩٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج٥ ص١٧٣٨ وج٦ ص١٧٦٩ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٤ وج٣ ص٩٧ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٨٤ وتفسير الثعلبي الثعلبي ج٤ ص٣٧٥ وتفسير السمعاني ج١ ص٤٦٩ وتفسير البغوي ج١ ص٤٦٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص١٤٦ و ٢٠٦ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص٥٥٧ وج٥ ص٢٥٩ وج١٠ ص٢٢١ وج١٥ ص٢١٣ وج٢٩ ص٢١٨ وتفسير القرطبي ج٥ ص٣٠٨ وج٨ ص٥٨.

(١) الخصال ج١ ص١٩٣ والبحار ج٧٦ ص١٨٢ وج١٠٠ ص١٧٦ وسفينة البحار ج٦ ص٥٤٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٨١ وقاموس الرجال ج٥ ص١٢٦ وراجع: الوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٣ ص٢٣٩ وج١٨ ص٣٢٩ والمصنف الصنعاني ج١٠ ص٢٢٩ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦٢٧ وشرائع الإسلام ج٤ ص٩٥٤ ومسالك الأفهام ج١٤ ص٤٩٦ وجواهر الكلام ج٤١ =

ويلاحظ: أن هذه السنن التي جرت فيه قد جاءت كلها على خلاف رغباته وتوجهاته.

هذا، وقد عاش صفوان أكثر من ثلاثين سنة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم نسمع عنه أنه نصر حقاً، أو اعترض على باطل.. رغم أنها كانت فترة مليئة بالأحداث الكبيرة والخطيرة والحافلة بالتعديات على الحق وأهله، بدءاً مما جرى على أهل البيت «عليهم السلام» حين استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وانتهاءً بما كان من معاوية ضد الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام»، ومن معه من أهل الدين والإيمان.

٣ـ عبد العزى بن خطل:

وقد أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دم ابن خطل، وكان اسمه عبد العزى، وكان قد أسلم، فسماه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد الله، وهاجر إلى المدينة، وبعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ساعياً، وبعث معه رجلاً من خزاعة (أو من أسلم، أو من الروم)، وكان يصنع له طعامه ويخدمه، فنزلا في مجمع ـ وهو المكان الذي تجتمع الأعراب يؤدون فيه الصدقة ـ فأمره أن يصنع له طعاماً، ونام نصف النهار، واستيقظ،

= ص٥٠١ و ٥٥٢ وجامع المدارك ج٧ ص١٣٦ و ١٣٨ و ١٦٣ ومباني تكملة المنهاج ج١ ص٢٨٦ و ٣١٣ والدر النضود ج٢ ص٦٤ والمحلى ج١١ ص١٥٢ والكافي ج٧ ص٢٥١ والإستبصار ج٤ ص٢٥١ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص١٢٣ وسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٣٢٩ ونصب الراية ج٤ ص١٩٩ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٥.

والخزاعي نائم، ولم يصنع له شيئاً، فعدى عليه فضربه فقتله، وارتد عن الإسلام، وساق ما أخذ من الصدقة، وهرب إلى مكة.

(**زاد الواقدي قوله**: فقال له أهل مكة: ما ردك إلينا؟!

قال: لم أجد ديناً خيراً من دينكم).

وكان يقول الشعر يهجو به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وكانت له قينتان، وكانتا فاسقتين، فيأمرهما ابن خطل أن يغنيا بهجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

وعن أنس قال: دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة يوم الفتح على رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل، فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٣ و ٢٢٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩١ وراجع ص١١١ وقرب الإسناد ص٦١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٩ و ٨٦٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص٣٩ وقرب الإسناد ص١٣٠ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٣٦ والمستجاد من الإرشاد للعلامة الحلي ص٧٧ والبحار ج٢١ ص١٠٥ و ١١١ و ١٣١ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١١٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٢١ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص٢١٨ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٧ ص٦٨ والإستذكار لابن عبد البر ج٥ ص٢٥ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٤٧٢ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٩٥ وتفسير الميزان ج٢٠ ص٣٨٢ والإصابة ج٨ ص٢٧٩ وفتوح البلدان للبلاذري ج١ ص٤٦ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٢٥١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٦ وإعلام الورى ج١ ص٢٢٤ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٥ وسبل الهدى والرشاد الصالحي الشامي ج٥ ص٢٢٤.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اقتلوه»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ وقال: رواه مالك والشيخان، وأشار المعلق في الهامش إلى البخاري ٤/٥٩ (١٨٤٦، ٤٢٨٦)، ومسلم ٢/٩٨٩ (٤٥٠/١٣٥٧). وراجع: مغني المحتاج ج٤ ص٤٣ وكتاب الموطأ لمالك ج١ ص٤٢٣ والمحلى لابن حزم ج١٠ ص٤٩٨ ونيل الأوطار ج٥ ص٢٧ وج٧ ص١٩١ ومسند أحمد ج٣ ص١٠٩ و ١٨٦ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٤٠ وسنن الدارمي ج٢ ص٧٣ وصحيح البخاري ج٢ ص٢١٦ وج٤ ص٢٨ وج٥ ص٩٢ وصحيح مسلم ج٤ ص١١١ وسنن أبي داود ج١ ص٦٠٧ وسنن الترمذي ج٣ ص١١٩ وسنن النسائي ج٥ ص٢٠١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٧٧ وج٦ ص٣٢٣ وج٧ ص٥٩ وج٨ ص٢٠٥ وج٩ ص٢١٢ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١٣١ وعمدة القاري ج١٠ ص٢٠٥ وج١٤ ص٢٨٩ وج١٧ ص٢٨٢ وكتاب العلم للنسائي ص٣٧ والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٨ ص٥٣٦ والشمائل المحمدية للترمذي ص٦٤ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص٢١٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٧١ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٢٤٥ و ٢٤٦ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٢٥٩ وج٣ ص٣٢٩ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٣٤ و ٣٧ والمعجم الأوسط للطبراني ج٩ ص٢٩ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٤ ص١٦٩ وج٧ ص١٣٧ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص٤٠٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٦ ص١٥٧ و ١٥٩ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٤ ص٢١١ ونصب الراية للزيلعي ج٣ ص٨٧ وج٤ ص٢٥٥ الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج٢ ص١١٩ وكنز العمال ج١٠ ص٥٢١ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص١٥١ وتفسير القرطبي ج٢ ص٣٥٢ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٤٩٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣٩ و ١٤٠ وتاريخ بغداد للخطيب =

زاد في نص آخر قوله: إن الكعبة لا تعيذ عاصياً، ولا تمنع من إقامة حد واجب. فقتله سعيد بن حريث، وأبو برزة، وقيل: قتله الزبير، وقيل سعد بن ذؤيب، وقيل: سعيد بن زيد.

قال في النور: والظاهر اشتراكهم فيه جميعاً جمعاً بين الأقوال(١).

وقال الواقدي يقال: قتله سعيد بن حريث المخزومي، ويقال: عمار بن ياسر، ويقال: شريك بن عبدة العجلاني، وأثبته عندنا أبو برزة(٢).

وقيل: إن الجميع ابتدر قتله، فكان المباشر أبو برزة(٣).

= البغدادي ج١ ص٢٨٩ و ٤٣٢ وج٢ ص٥٥ وج٨ ص١٤٥ وج١٠ ص٣٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص٤١١ وج١٩ ص١٠٩ وج٤٦ ص٣٢٤ وج٥٥ ص٤٦ وتاريخ جرجان ص٤٤٦ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص١٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٤٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٣٤ وج٦ ص٧ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٧ ص١٥٠ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٥٤ وج٤ ص٧٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٤ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٩١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩١ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ وحديث قتل أبي برزة له رواه ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن المبارك، والبلاذري وغيرهم.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٩ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦٨ ومقدمة فتح الباري ص٢٨٩ وفتح الباري ج٤ ص٥٢ وعمدة القاري ج١٠ ص٢٠٧ وراجع البداية والنهاية ج٤ ص٣٤١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٤ وتاج العروس ج١٤ ص٢٠٢.

وقال الطبرسي: استبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً فقتله(١).

ولما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ذي طوى، أقبل ابن خطل من أعلى مكة مدججاً بالحديد، على فرس، وبيده قناة. فمر ببنات سعيد بن العاص، فقال لهن: أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضرباً كأفواه المزاد.

قالوا: ثم خرج حتى انتهى إلى الخندمة، فرأى خيل الله، ورأى القتال، فدخله رعب، حتى ما يستمسك من الرعدة، فرجع حتى انتهى إلى الكعبة،

---

(١) مجمع البيان ج١٠ ص٥٥٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١٠ ص٤٧٢ والبحار ج٢١ ص١٠٥ و ١٣١ عن إعلام الورى، والمناقب، ونيل الأوطار ج٨ ص١٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١١١ وسنن النسائي ج٧ ص١٠٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٠٥ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦ ص١٦٩ وعمدة القاري للعيني ج١٠ ص٢٠٧ وعون المعبود للعظيم آبادي ج٧ ص٢٤٨ والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٨ ص٥٣٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٠٢ ومسند أبي يعلى ج٢ ص١٠١ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٣٣٠ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص٤٠٤ والتمهيد لابن عبد البر ج٦ ص١٧٥ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٤ ص٢١١ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٩٥ وتفسير الميزان ج٢٠ ص٣٨٢ والدر المنثور للسيوطي ج٣ ص٣٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٣ وج٤١ ص٥٨ وأسد الغابة لابن الأثير ج٤ ص٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٥٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤١ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٣ ص١١٠ وإعلام الورى للطبرسي ج١ ص٢٢٤ والسيرة النبوية ابن كثير ج٣ ص٥٦٥.

فنزل عن فرسه، وطرح سلاحه، وأتى البيت، فدخل تحت أستاره، فأخذ رجل من بني كعب سلاحه، وأدرك فرسه عائراً، فاستوى عليه، ولحق برسول الله «صلى الله عليه وآله» بالحجون، وأمر «صلى الله عليه وآله» بقتله(١).

ولنا توضيحات أو تأملات فيما تقدم، فلاحظ ما يلي من مطالب:

تغيير الاسم إحسان وتفضل:

وأول ما يواجهنا في قصة ابن خطل هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» غيَّر اسمه من عبد العزى إلى عبد الله.

وهذا التغيير، الذي يأتي من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمطاع أمره، والنافذ قراره، يعد إحساناً وتفضلاً منه «صلى الله عليه وآله» على ابن خطل.

يضاف ذلك إلى ما له عليه من فضل وإحسان، بهدايته إلى الله تعالى، ودلالته على شرائعه، وإخراجه من الظلمات إلى النور.

وللأسماء إيحاءاتها، وتأثيراتها على النفس، وعلى المكانة، والنظرة، والسمعة، وفي كثير من الجهات، فتغيير الاسم من عبد العزى إلى عبد الله لا بد أن ينقل هذا الإنسان إلى أجواء تختلف عن الأجواء التي كان فيها، ولابد أن يتبع ذلك تبدل في المشاعر لديه، ولدى الآخرين، الذين يتعاملون معه،

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩١ و (ط دار المعرفة) ص٣٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٦ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٨٧.

وتبدل في الإيحاءات وفي الخلجات، وفي الصور التي سوف تفرض نفسها بصورة عفوية، وسينتقل تلقائياً إلى جو جديد، ومحيط مختلف في ذلك كله وسواه.

الهروب إلى الأمام:

لم يكتف ابن خطل بارتكاب جريمته في حق رفيقه الذي بعثه النبي «صلى الله عليه وآله» معه، وكان يخدمه، فقتله لمجرد أنه نام ولم يصنع له الطعام الذي طلبه منه..

بل زاد على ذلك: بأن ارتد عن الإسلام، واستولى على ما كان في يده من أموال الصدقة، وهرب إلى مكة، وصار يقول الشعر في هجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ويأمر جاريتيه بأن يغنيا بهجائه «صلى الله عليه وآله»..

مع أنه لو اقتصر على الجريمة الأولى، لأمكن أن يكون له مخرج، بأن يعفو ولي المقتول، فيسقط القصاص. ولعل العفو يأتي من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» مباشرة إذا رأى المصلحة في ذلك، فإنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم..

ولكن شدة خبث سريرة هذا الرجل، وسوء نواياه، قد حجب اللطف الإلهي عنه، ووكله الله سبحانه إلى نفسه على قاعدة: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[1].

فساقته شقوته إلى الإيغال في طريق الغي، فقد كان من الذين يقول الله

---

(١) الآية ٥ من سورة الصف.

تعالى فيهم: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[1].

الكعبة لا تعيذ عاصياً ولا تمنع من إقامة الحد:

ثم إننا نقول:

١ ـ إن ابن خطل قد ارتكب جرائمه في حرم الله تعالى، فاستحق العقوبة عليها، ولا تراعى له حرمة في ذلك، لأنه لم يراع حرمات الله في حرم الله. ولو أنه ارتكب جرمه خارج الحرم، ثم دخل الحرم متعوذاً لكان اللازم هو التضييق عليه حتى يخرج منه، ليؤخذ، ويقام عليه الحد الواجب.. وذلك واضح لا يخفى.

٢ ـ إن دخول ابن خطل تحت أستار الكعبة، يدل على معرفته بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعظم بيت الله، ولا يمكن أن يفعل أي شيء يؤدي إلى هتك حرمته، أو المساس بقدسيته..

وقد فاته: أن تطهير البيت من دنس الشرك والمشركين، وكبح جماح المجرمين، والذين تجرؤوا على حرمات الله، في حرم الله، وعند بيته المعظم ـ إن ذلك ـ لا يتنافى مع تعظيم البيت وتكريمه، بل هو واجب إلهي، وفرض إنساني وأخلاقي لا بد من تأديته على أكمل وجه وأتمه.

فليس لهؤلاء أن يتوقعوا أن يتركوا يمارسون هتك حرمة بيت الله، ثم يتخذون من الكعبة ملاذاً ومعاذاً، يمنع من التصدي لهم لإقامة حدود الله

---

(١) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف.

عليهم، وردعهم عن معصية الله في حرم الله.

٤ـ عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

قال الحلبي الشافعي وابن إسحاق: «وإنما أمر بقتل عبد الله بن أبي سرح[1]، لأنه كان أسلم قبل الفتح، وكان يكتب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الوحي، وكان إذا أملى عليه: سميعاً بصيراً، كتب عليماً حكيماً، وإذا أملى عليه: عليماً حكيماً، كتب غفوراً رحيماً.

وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال: إن محمداً لا يعلم ما يقول.

فلما ظهرت خيانته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتدّ وهرب إلى مكة[2].

وقيل: إنه لما كتب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ..﴾ تعجب من تفصيل خلق الإنسان فنطق بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[3] قبل إملائه.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اكتب ذلك، هكذا أنزلت.

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٩٠ و (ط دار المعرفة) ص٣٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٠٥ وتفسير البغوي ج٤ ص٥٤٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٥٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٠ و (ط دار المعرفة) ص٣٦ وتفسير البغوي ج٤ ص٥٤٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ وتفسير القمي ج١ ص٢١٠ والتفسير الصافي ج٢ ص١٣٩ وتفسير الميزان ج٧ ص٣٠٥.

(٣) الآيات ١٢ ـ ١٤ من سورة المؤمنون.

فقال عبد الله: إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إليّ، فارتد ولحق بمكة[١]، فقال لقريش: إني كنت أصرف محمداً كيف شئت، كان يملي عليّ عزيز حكيم. فأقول: أو عليم حكيم، فيقول: نعم، كل صواب[٢]. وكل ما أقوله يقول: اكتب، هكذا نزلت.

فلما كان يوم الفتح، وعلم بإهدار النبي «صلى الله عليه وآله» دمه لجأ إلى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة[٣]، فقال له: يا أخي استأمن لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل أن يضرب عنقي.

فغيبه عثمان حتى هدأ الناس واطمأنوا، فاستأمن له، ثم أتى به إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأعرض عنه النبي «صلى الله عليه وآله»، فصار عثمان يقول. يا رسول الله، أمنته؟ والنبي «صلى الله عليه وآله» يعرض عنه.

---

(١) راجع أيضاً: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٤٠ وفتح القدير ج٢ ص١٤٠ والتفسير الكبير ج١٣ ص٨٤ وتفسير البيضاوي ج١ ص٣٩١ والكشاف ج٢ ص٤٥ وتفسير الخازن ج٢ ص٣٧ وتفسير النسفي (مطبوع مع الخازن) ج٢ ص٣٧ وأنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص٤٩، وعن جامع البيان، وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩١ وعين العبرة ص٦٥ والغدير ج٨ ص٢٨١.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ وراجع: أنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص٥٣١ و ٥٣٢ و ٣٥٨.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩١ وأسد الغابة ج٣ ص١٧٣ وتاريخ المدينة ج٢ ص٤٨١ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص١٣٢ والنصائح الكافية ص٢٠٧.

ثم قال: نعم.

فبسط يده فبايعه.

فلما خرج عثمان وعبد الله قال «صلى الله عليه وآله» لمن حوله: أعرضت عنه مراراً، ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه.

وقال «صلى الله عليه وآله» لعباد بن بشر، وكان نذر إن رأى عبد الله قَتَلَه، أي وقد أخذ بقائم السيف، ينتظر النبي «صلى الله عليه وآله» يشير إليه أن يقتله، فقال له «صلى الله عليه وآله»: «انتظرتك أن تفي بنذرك».

قال: يا رسول الله خفتك، أفلا أومضت إليّ.

فقال: «إنه ليس لنبي أن يومض».

وفي رواية: «الإيماء خيانة ليس لنبي أن يومي»[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٥ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٩ ووضوء النبي «صلى الله عليه وآله» ج٢ ص٤١٧ وعين العبرة للسيد أحمد آل طاووس ص٦٤ و ٦٧ والبحار ج٣٢ ص٤٣٩ وج٨٩ ص٣٥ والغدير ج١٠ ص٢١ ومكاتيب الرسول ج١ ص١٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٢٠ و ٢١٢ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦ ص١٦٧ و ١٧٣ والمعجم الأوسط للطبراني ج٦ ص٣٤٣ والمعجم الكبير ج٦ ص٦٦ وسنن الدارقطني ج٢ ص٢٦٣ والدرر لابن عبد البر ص٢١٩ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٣ ص١١٤ وتفسير القمي ج١ ص٢١٠ والتفسير الصافي ج٢ ص١٣٩ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٧٤٦ وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٣٦٠ وجامع البيان لابن جرير الطبري ج١٠ ص٦٦ وتفسير البغوي ج٤ ص٥٤٠ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص٣٢٢ وتفسير القرطبي ج٧ ص٤٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٣ ص٣١٨ وتفسير =

فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يا رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين(١).

= البحر المحيط ج٤ ص١٨٣ و ١٨٤ والبرهان للزركشي ج١ ص٢٠٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤١ والثقات لابن حبان ج٢ ص٥٢ وج٣ ص٢١٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٢٢ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٥ وأسد الغابة ج٣ ص١٧٤ وتهذيب الكمال للمزي ج١١ ص١١٤ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٣٣ والإصابة ج٤ ص٥٤٠ والأنساب للسمعاني ج٣ ص٢٤٣ وفتوح البلدان للبلاذري ج١ ص٢٦٢ والكامل في التاريخ ج٣ ص٨٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج٧ ص٢١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٥٢٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤٠ و ٣٤٢ وج٥ ص٣٧٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ق١ ص١٢٨ وج٢ ق٢ ص٤٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٦ و ٤٨٠ وج٧ ص٣٨٨ ووقعة صفين للمنقري ص١٦١ السيرة والنبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٣ و ٥٦٦ وج٤ ص٦٨٩.

(١) راجع ما تقدم في: سنن أبي داود ج٤ ص١٢٨ وفتح القدير ج٢ ص١٤١ وأنساب الأشراف ج٥ ص٤٩ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٠٠ وأسد الغابة ج٣ ص١٧٣ والإصابة ج٣ ص٣١٧ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٣٨١ و (ط دار الجيل) ج٣ ص٩١٨ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٤٠ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج٢ ص٥٦٦ وكشف اللثام (ط ج) ج٧ ص٣٥ و (ط ق) ج٢ ص١١ والمجموع للنووي ج١٦ ص١٤٣ ونيل الأوطار ج٨ ص٨٥ والبحار ج١٦ ص٣٨٨ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٣٦٢ والغدير ج٨ ص٢٨٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٠٥ والدرر لابن عبد البر ص٢١٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١٣ وتفسير الميزان ج١٧ ص٣٢٢ والدر المنثور ج٥ ص٣٤٩ وفتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤٨٧.

وقيل: إنه أسلم وبايع والنبي «صلى الله عليه وآله» بمرّ الظهران، وصار يستحيي من مقابلته، فقال «صلى الله عليه وآله» لعثمان: أما بايعته وأمنته؟

قال: بلى، ولكن يذكر جرمه القديم فيستحيي منك.

قال: «الإسلام يجبّ ما قبله». وأخبره عثمان بذلك، ومع ذلك فصار إذا جاء جماعة للنبي «صلى الله عليه وآله» يجيء معهم، ولا يجيء إليه منفرداً(١).

قال الواقدي: «قالوا: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الوحي، فربما أملى عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيكتب عليم حكيم، فيقرأ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيقول: كذلك الله، ويقره.

وافتتن وقال: ما يدري محمد ما يقول. إني لأكتب له ما شئت. هذا الذي كتبت يوحى إلي كما يوحى إلى محمد. وخرج هارباً من المدينة إلى مكة مرتداً، فأهدر «صلى الله عليه وآله» دمه يوم الفتح»(٢).

وعند الواقدي: أنه طلب من عثمان أن يحتبسه في مكان مّا، ثم يذهب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليكلمه فيه، لأنه لو رآه لقتله، لأن جرمه

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٠ و (ط دار المعرفة) ص٣٧ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٦ و ٨٥٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٨١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩١ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٥.

أعظم جرم، فأصر عليه عثمان أن ينطلق معه.

فلم يرع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا بعثمان آخذ بيد ابن أبي سرح واقفين بين يديه، فكلمه فيه، فأعرض عنه. «وجعل عثمان كلما أعرض عنه النبي «صلى الله عليه وآله» بوجهه استقبله، فيعيد عليه هذا الكلام.

فإنما أعرض النبي «صلى الله عليه وآله» عنه إرادة أن يقوم رجل فيضرب عنقه، لأنه لم يؤمنه.

فلما رأى أن لا يقدم أحد، وعثمان قد أكب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقبل رأسه، وهو يقول: يا رسول الله، تبايعه فداك أبي وأمي».

فقال: نعم.

ثم التفت إلى أصحابه، فقال: ما منعكم أن يقوم رجل منكم إلى هذا الكلب فيقتله؟! أو قال: الفاسق.

فقال عباد بن بشر: ألا أومأت إليَّ يا رسول الله؟ فوالذي بعثك بالحق إني لأتبع طرفك من كل ناحية، رجاء أن تشير إليَّ فأضرب عنقه.

ويقال: قال هذا أبو اليسر (أو أبو البشير).

ويقال: عمر بن الخطاب.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني لا أقتل بالإشارة، أو إن النبي لا تكون له خائنة الأعين[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٥ وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص٨٥ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٣٦٢ والغدير ج٨ ص٢٨٠ وسنن أبي داود ج١ ص٦٠٧ وج٢ ص٣٢٩ وسنن النسائي ج٧ ص١٠٦ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٠ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦ ص١٦٩ =

قال الصالحي الشامي وغيره: وحسن إسلامه بعد ذلك، وولاه عمر بعض أعماله، ثم ولاه عثمان، ومات وهو ساجد في صلاة الصبح، أو بعد انقضائها، وكان أحد النجباء، الكرماء، العقلاء من قريش، وكان فارس بني عامر بن لؤي المقدم فيهم[1].

= وفتح الباري ج٦ ص١١٢ وج١١ ص٨ وعون المعبود ج٧ ص٢٤٩ وج١٢ ص٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٠٣ ومسند أبي يعلى ج٢ ص١٠٢ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٣٣٠ والإستيعاب ج٣ ص٩١٨ والتمهيد لابن عبد البر ج٦ ص١٧٦ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٣ ص١١٤ وج٤ ص٢١٢ وكنز العمال ج١٠ ص٥١٨ وتفسير الميزان ج١٧ ص٣٢٢ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٤٧٢ وزاد المسير ج٦ ص٢٠٢ وتفسير القرطبي ج٧ ص٤٠ وج١٥ ص٣٠٣ وتفسير الثعالبي ج٥ ص١١٠ والدر المنثور ج٥ ص٣٤٩ وفتح القدير ج٤ ص٤٨٧ وتفسير الآلوسي ج١١ ص١٧٤ وشرح السير الكبير للسرخسي ج٢ ص٥٠٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٤ وأسد الغابة ج٣ ص١٧٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٤٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٥٣ والوافي بالوفيات ج١٧ ص١٠١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤٠ و ٣٤٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ق٢ ص٤٤ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٣ ص١١١ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٥ والسيرة النبوية ج٣ ص٥٦٣ و ٥٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤١٨ وج١١ ص٣٨٧.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٤ المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٥ و ٨٥٦ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٥٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٣.

ابن أبي سرح أعظم إجراماً:

إن من يراجع حديث الذين أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم يلاحظ: أن النبي رغم إصداره هذا القرار الحازم الحاسم بقتل هؤلاء سرعان ما يعفو عنهم، ويعطيهم الأمان بمجرد أن يطلب ذلك منه، ولاسيما بعد أن كسرت شوكتهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت..

غير أن من بين جميع هؤلاء يوجد استثناء واحد، كان النبي «صلى الله عليه وآله» حريصاً على إنفاذ الأمر بقتله أكثر من سائرهم، لولا تدخل عثمان بن عفان، وعدم التفات من حضر من المسلمين إلى ما كان ينبغي لهم أن يفعلوه لحظة مجيء ابن أبي سرح إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ظل حماية عثمان له..

فما هو السر لتلك السهولة في العفو والسماح هناك، والرغبة في إجراء الأمر هنا؟!

إن الإجابة على هذا السؤال، وإن كانت تحتاج إلى مزيد من البسط والبيان، لكننا سنكتفي بالإلماح إلى بعض النقاط التي تفتح نافذة يستطيع الباحث عن الحقيقة أن يطل منها على الأسباب والمعطيات لكلا موقفيه «صلى الله عليه وآله»، فنقول:

إن الذي اقتضى إهدار دم هؤلاء هو جرائم وفظائع ارتكبوها، في حق الدين والإنسانية، لصد الناس عن الحق، وزعزعة أركانه، وتقويض بنيانه.. لكن جرائمهم هذه تختلف فيما بينها، فهناك جرائم رغم بشاعتها، وفظاعتها، تبقى محصورة في نطاقها الخاص، بل ربما يكون الزمن قد تجاوزها، بعد أن ضرب الإسلام بجرانه، وبعد ثبات ورسوخ قواعده وأركانه..

كما أن بعضها الآخر قد يكون بنفسه سبباً لنفرة الناس من فاعله، لأنه يجرح العاطفة الإنسانية، ويصدم الروح، وتتقزز منه النفس.

ومن ذلك: إقدام هند بنت عتبة على استخراج كبد الحمزة، والتشفي بقطع أطرافه «عليه السلام»، وجعلها قلادة تتزين بها.

كما أن بعضها الآخر البشعة والقاسية، قد يرتبط في أذهان الناس بشخص ما، فيكون بنظره حقاً له.

كما أن بعض تلك الجرائم يمكن تجاوزه والعفو عنه، لمصلحة أقوى منه تقتضي ذلك. ولعلهم يرون أن قضية هبار بن الأسور مع زينب من هذا القبيل.

بل وكذلك الحال بالنسبة لأولئك الذين هجوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو تغنوا بهجائه، سعياً منهم في توهين أمره «صلى الله عليه وآله»، وصد الناس عن الإيمان به..

ولكن الحال بعد انتصار الإسلام في مكة قد تغير، وأصبح بالإمكان تجاوز هذه السلبية، بسبب قوة الإسلام، التي قد تفرض على نفس هؤلاء السعي إلى جبر ذلك الكسر، ومدح الرسول «صلى الله عليه وآله» بما هو فيه.

وليظهر للناس مدى التزوير والتضليل الذي كانوا يمارسونه لصدهم عن الحق، وإضعاف أمر نبي الله «صلى الله عليه وآله» في القلوب والنفوس.

وتبقى جريمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح هي الأشد خطراً، والأبعد والأقوى أثراً، من حيث إنها تستهدف النبوة في الصميم، وتثير شبهة لا يقوى الإنسان العادي على دفعها، ولا على التخلص من آثارها..

وهي شبهة لا يحدها زمن، ولا تنتهي عند جيل من الناس.. بل هي تسري عبر الأجيال إلى آخر الزمان.. حيث إن هذا الرجل قد زعم: أنه يستطيع أن ينزل قرآناً مثل الذي أنزل على محمد «صلى الله عليه وآله».

وزعم أيضاً: أنه كان يغيِّر في الآيات، ويكتب سميعاً بصيراً، بدل حكيماً عليماً مثلاً، ولا يلتفت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى فعله هذا، بل كان يرضى بفعله أحياناً، ولا يفرق بين ما نزل عليه، وبين ما كتبه ابن أبي سرح من عند نفسه..

وهذه شبهة هائلة، وخبيثة، وسيئة الأثر، لأن الإنسان العادي لا يملك سبيلاً إلى دفعها، أو التخلص من الآثار التي تتركها في روحه ووجدانه، إذا ثار لديه احتمال أن يكون ثمة من يقدر على مجارات القرآن، ويغير في كلماته من عند نفسه، ولا شك في أن هذا يؤثر في يقينه، وفي صحة إيمانه. ويجعله فريسة سهلة لأصحاب الأهواء، وطلاب اللبانات، وما أكثرهم!!.

بين الحياء، وظن السوء:

وقالوا: إن ابن أبي سرح لم يكن يأتي إلى مجلس النبي «صلى الله عليه وآله» فأخبروا النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك.

وزعموا: أنه لا يأتيه حياءً، فقال «صلى الله عليه وآله»: الإسلام يجب ما قبله، وأخبروه بذلك. ومع ذلك، فإنه صار يأتي إليه مع الجماعات، ولا يأتيه منفرداً..

ونقول:

إن اتهام ابن أبي سرح بالحياء لا يمكن أن يكون مرضياً ولا مقبولاً، فإن تاريخه يشهد بخلاف ذلك.

ولعل الصحيح هو: أنه كان لا يأتي النبي «صلى الله عليه وآله» خشية من أن يقتل عنده، وبإيماءة منه إلى بعض أصحابه، لأنه يظن أنه «صلى الله عليه وآله» إنسان غادر لا يؤمن جانبه. أي أنه يقيس النبي «صلى الله عليه وآله» على نفسه..

ويكفي أن نذكر: أنه يقتل حامل رسالة عثمان إليه، فإنه حين جعله عثمان عاملاً له على مصر، وشكاه المصريون. أرسل عثمان إليه كتاباً ينهاه فيه عما شكاه المصريون من أجله، فأبى أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، وضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله.. فكان ذلك من أسباب خروج المصريين إلى عثمان.. وتطورت الأمور حتى قتل عثمان(1).

تبارك الله أحسن الخالقين:

وعن قولهم: إنه وافق ما أنزل الله، حين قال: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾.

نقول:

إنه غير صحيح.

---

(١) الإمامة والسياسة (تحقيق طه محمد الزيني) ج١ ص٣٩ و ٥٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص٢٥٦ وقاموس الرجال ج٥ ص٤٦٧ والغدير ج٩ ص٨٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٤١٦ وتاريخ المدينة لابن أبي شبة ج٤ ص١١٥٨ .

أولاً: لأن الآية المذكورة قد وردت في سورة «المؤمنون» وهي من السور المكية، واستثني منها قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿مُبْلِسُونَ﴾[1].

على أنهم قد ادّعو: أن عمر بن الخطاب أيضاً قد وافق ربه (أو وافقه ربه) في هذا الجزء من الآية.. فراجع[2]. فأي ذلك هو الصحيح؟! وإن كنا نعتقد أنهما معاً من المكذوبات!!

ثانياً: إن زيد بن ثابت ينقل: «أن النبي «صلى الله عليه وآله» أملى آيات خلق الإنسان عليه، فقال معاذ بن جبل: فتبارك الله أحسن الخالقين، فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال له معاذ: ما أضحكك يا رسول الله؟

قال: إنها ختمت: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾»[3].

---

(١) الآيات ٦٥ ـ ٧٧ من سورة المؤمنون، وراجع: الإتقان ج١ ص١٦ وتفسير الشوكاني ج٣ ص٤٩٥.

(٢) الدر المنثور ج٥ ص٦ و ٧ عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطيالسي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، والطبراني وراجع: عمدة القاري ج٢ ص٢٨٤ وتفسير الرازي ج٢٣ ص٨٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٠١ وكنز العمال ج١٢ ص٥٥٤ و ٥٥٥ والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١١٢ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٥٢ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٠٢ وتاريخ المدينة ج٣ ص٨٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٧٠.

(٣) الدر المنثور ج٥ ص٧ عن ابن راهويه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في=

ومن الواضح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يملي الآية على كل من كان يكتب، بل كان يمليها على أحد الكتاب، أو على من حضر منهم.. فلا معنى للقول بتكرار الحادثة تارة مع معاذ بن جبل، وأخرى مع ابن أبي سرح!!

عثمان وأخوه، وعلي عليه السلام وأخته:

وقد قرأنا فيما سبق: موقف علي «عليه السلام» من الذين أجارتهم أخته أم هاني بنت أبي طالب، حيث أصر على قتلهم، ولم يرض من أخته أن تجيرهم، حتى اشتكته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاءه قبول إجارتها لهم من الرسول «صلى الله عليه وآله» مباشرة.

ولكن عثمان ليس فقط لا يبادر إلى تنفيذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ابن أبي سرح، بل هو يخبؤه في بيته، ثم يأتي به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويبدأ في التماس الأمان له، ويعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرة بعد أخرى، ولا يرتدع ولا يتراجع.

حتى اقتنص من النبي «صلى الله عليه وآله» الأمان له على مضضٍ، وبمزيد من المرارة، بل هم ينقلون: أنه «صلى الله عليه وآله» حتى بعد أن أعطاه الأمان قد وصفه بـ «الكلب»، وأظهر العتب على من حضره من المسلمين: كيف لا يقتلونه وهم يرون امتناعه عن إعطائه الأمان..

= الأوسط، وابن مردويه مجمع الزوائد ج٧ ص٧٢ والمعجم الأوسط ج٥ ص٥٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص٢٧١ وفتح القدير ج٣ ص٤٧٩ وتفسير الآلوسي ج١٨ ص١٦.

فما هذه المخالفات الظاهرة من عثمان؟

ولماذا هذا الإصرار على كسر القرار النبوي بقتل ذلك الكلب على حد تعبير النبي «صلى الله عليه وآله»؟

ولماذا يريد عثمان الحياة لشخص يريد الله ورسوله له أن يقتل؟

وأي نفع للإسلام وللمسلمين من حياة من يريد الله ورسوله له ذلك؟!

كله صواب:

تقدم قول ابن أبي سرح: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يملي عليه عزيز حكيم، فيقول ابن أبي سرح: أو عليم حكيم، فيقول له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كل صواب.

ونقول:

قد لا يكون الحكم على هذه الرواية بأنها مكذوبة من الأساس صواباً، لأن قول ابن أبي سرح: أو عليم حكيم، ليس من الأوصاف المكذوبة على الله تعالى، فإنه عزيز، وعليم، وحكيم حقاً بلا ريب، فيكون قول النبي «صلى الله عليه وآله»: كل صواب، في محله.. لأن هذا وذاك مما يصح وصف تعالى الله به..

وليس مقصوده «صلى الله عليه وآله»: تصويب كون هذا جزءاً للآية، كصوابية كون ذاك جزءاً لها.

أما بالنسبة لرواية الكافي عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما «عليهما السلام» قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى**

عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[1]. قال نزلت في ابن أبي سرح الذي كان عثمان استعمله على مصر وهو من كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم فتح مكة هدر دمه وكان يكتب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فإذا أنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. كتب: ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، فيقول له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: دعها فإن الله عليم حكيم. وكان ابن أبي سرح يقول للمنافقين: إني لأقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيِّر عليّ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه الذي أنزل. ـ فإن هذه الرواية ـ لا تنافي ما ذكرناه، فإن المقصود بقوله دعها: هو أن يدع الآية التي أنزلت على ما هي عليه من دون تغيير، فالضمير في قوله دعها يعود إلى الآية الأولى، أي اتركها في مكانها ولا تغير فيها، فإننا نقر أن الله عليم حكيم ولكن ليس هذا موقع كلمة عليم التي تريد أن تستبدل بها كلمة عزيز.

أما إذا كان الضمير يرجع إلى الفقرة التي يريد ابن أبي سرح أن يكتبها، فالمقصود بقوله دعها: أي اتركها وأسقطها، فإن هذا الموقع ليس محلاً لها، مع العلم أن الله عليم حكيم بلا ريب.

استأمن له، ثم أتى به:

وأما ما ذكره الحلبي: من أن عثمان استأمن لابن أبي سرح، ثم جاء به إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأعرض عنه، فهو:

أولاً: كلام متناقض. لأنه إذا كان مقصود عثمان بقوله: قد أمنته الله

---

(١) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف.

أخذ له الأمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا معنى لأن يعطيه النبي «صلى الله عليه وآله» الأمان، ثم يعرض عنه مرة بعد أخرى.

ثم يقول: نعم، فيبسط يده فيبايعه. ولا يصح أن يطلب عثمان له الأمان من النبي «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، ويصر عليه فيه..

ثانياً: قد صرحت رواية الواقدي: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما أعرض عنه «إرادة أن يقوم رجل فيضرب عنقه، لأنه لم يؤمنه».

أين كان علي عليه السلام ؟!:

وقد يسأل سائل: لماذا لم يقم علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فيقتل ابن أبي سرح، حين كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعرض عنه مرة بعد أخرى؟! فإنه لا شك في أن علياً «عليه السلام» كان أعرف الناس بمرادات رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويمكن أن يجاب: بأنه لم يثبت أن علياً «عليه السلام» كان حاضراً في ذلك المجلس، ولكن عمر كان حاضراً جزماً، حتى زعموا: أنه كان ـ كأبي اليسر، أو كعباد بن بشر ـ يتتبع طرف النبي «صلى الله عليه وآله» في كل ناحية، رجاء أن يشير إليه ليضرب عنقه..

كما أن عثمان الذي يصر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يعطيه الأمان، ولا يبالي بإعراض النبي «صلى الله عليه وآله» عنه مرة بعد أخرى. كان ينبغي أن يبادر إلى تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله» فيه، لا أن يأتي شافعاً له إلى حد الإلحاح..

وملامة النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحابه على عدم مبادرتهم إلى

قتله تدل على أن لزوم قتله كان على درجة من البداهة والوضوح، بحيث صح للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يرجو مبادرتهم إليه، ثم صح له أن يلومهم على عدم إقدامهم عليه..

الوسطاء لابن أبي سرح:

وذكر عكرمة والحسن البصري: أن الذين سعوا لدى النبي «صلى الله عليه وآله» ليؤمن ابن أبي سرح هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان.

وزعموا: أنه هو الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

مع أنه هذه الآية قد نزلت في عمار[2]، أو في غيره من الذين فتنوا عن دينهم[3].

---

(١) الآية ١١٠ من سورة النمل. والرواية في الدر المنثور ج٤ ص١٣٢ و ١٣٣ عن ابن جرير، عن عكرمة، والحسن البصري.. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مثله، وراجع: جامع البيان ج١٤ ص٢٤٠ وسنن النسائي ج٧ ص١٠٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٩٢ وفتح القدير ج٣ ص١٩٦ و ١٩٨.

(٢) البرهان ج٢ ص٣٨٦ وتفسير القمي ج١ ص٣٩١ ومعاني القرآن للنحاس ج٤ ص١٠٧ و ١٠٨ وزاد المسير ج٦ ص١٢٠ وتفسير القرآن العظيم ج١٠ ص١٩٢ والتسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص١٦٢ و ١٦٣ تنوير المقياس في تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص٢٣١ وفتح القدير ج٤ ص١٩٥ وتفسير الآلوسي ج١٤ ص٢٣٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٦٢١ .

(٣) راجع: الدر المنثور ج٤ ص١٣٣ عن عبد بن حميد، وابن جرير، و ابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي، وزاد المسير ج٤ ص٣٦٣ وتفسير الميزان ج١٢ ص٣٥٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٤.

علماً بأن ابن أبي سرح لم يهاجر.

ولم يفتن عن دينه كما جرى لعمار.

ولم يجاهد ولم يصبر.

وإنما افتتن وارتد.

هذا كله، عدا عن أن هذا يتنافى مع ما أسلفناه، من ادِّعائهم أن عمر كان يتتبع طرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» علَّه يشير إليه بقتله.

مات وهو ساجد:

ولا ندري ماذا نقول في رجل يصفه هؤلاء: بأنه من النجباء، الكرماء، العقلاء في قريش. وكان المقدم في بني عامر، وأنه حسن إسلامه، وأنه مات وهو ساجد في صلاة الصبح و.. و.. الخ..؟! مع أن حياته مليئة بما يدل دلالة واضحة على ضد ذلك، ويكفي أن نشير إلى ما يلي:

إن عثمان ولاه مصر سنة خمس وعشرين، وأعطاه خُمس جميع ما أفاءه الله على المسلمين في فتح إفريقية[1]، والذي بلغ من كثرته أن قالوا: إن سهم الفارس في فتح إفريقية بلغ ثلاثة آلاف مثقال ذهباً، وسهم الراجل

---

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٢٦ و ٣٩ و ٣١٣ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٣٦٢ والنص والإجتهاد ص٤٠٢ والغدير ج٨ ص٢٥٩ و ٢٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣١٢ و ٣٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٣١٩ و ٤٣٧ وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص١٢٨ و ١٢٩ والكامل في التاريخ ج٣ ص٨٨ و ٩١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٤ والبداية والنهاية ج٧ ص١٧٠ وفتوح مصر وأخبارها للقرشي المصري ص٢٩٩ .

ألف مثقال[١].

وقال ابن قتيبة: إن أهل مصر جاؤوا يشكون ابن أبي سرح، عاملهم. فكتب إليه عثمان يتهدده، فأبى أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، وضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج من أهل مصر سبع مائة إلى عثمان، ودخل معهم علي «عليه السلام»، فكان مما قاله «عليه السلام» لعثمان: إنما يسألونك رجلاً مكان رجل، وقد ادَّعوا قِبَلَهُ دماً، فاعزله عنهم، واقض بينهم[٢].

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ**﴾[٣]، قال: ذاك عمار.

وفي قوله تعالى: ﴿**ولَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً**﴾[٤] قال: عبد الله بن

---

(١) قاموس الرجال ج٥ ص٤٦٨ وعون المعبود ج٧ ص٢٤٧ والثقات ج٢ ص٢٤٥ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٨ ـ ٤٠ وأسد الغابة ج٣ ص١٧٣ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٦ والإصابة ج٤ ص٩٥ و ٩٦ وفتوح مصر وأخبارها ص٣١٣ وتاريخ الإسلام ج٣ ص٣١٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق١ ص١٢٩.

(٢) قاموس الرجال ج٥ ص٤٦٧ والإمامة والسياسة ج١ ص٣٦ و ٣٩ ودلائل الصدق ج٣ ق١ ص١٤٨عن العقد الفريد ج٣ ص٧٩ وتاريخ الإسلام ج٣ ص٤٥٨.

(٣) الآية ١٠٦ من سورة النحل.

(٤) الآية ١٠٦ من سورة النحل.

سعد بن أبي سرح[1].

٥ـ عبد الله بن الزبعرى:

وكان ابن الزبعرى يهجو المسلمين، ويحرض عليهم كفار قريش وكان من شعراء العرب، وهو الذي تمثَّل يزيد «لعنه الله» بأبياته التي قالها في غزوة أحد. وذلك حين جيء إليه برأس الإمام الحسين «عليه السلام» وبالأسارى، فصار ينكت ثنايا الإمام «عليه السلام» بقضيب كان في يده «لعنه الله».

وكان ابن الزبعرى يهجو النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً، ويعظم القول فيه، وهو الذي ألقى الفرث والدم عليه الله «صلى الله عليه وآله» وهو يصلي، ثم جاء أبو طالب، وسل سيفه، فأمرَّ ذلك الفرث على لحاهم وأسبلتهم[2].

---

(١) قاموس الرجال ج٥ ص٤٦٨ وأنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص١٠٦ والدر المنثور ج٤ ص١٣٢ عن ابن سعد، والبرهان في تفسير القرآن ج٤ ص٣٨٦، وتفسير القمي ج١ ص٣٩٠ وتفسير مجمع البيان ج٦ ص٢٠٣ والتفسير الأصفى ج١ ص٦٦٤ والتفسير الصافي ج٣ ص١٥٧ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٨٨ و ٩٠ وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٢٣٩ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٢٩٣ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٣ ص٤٢٥ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٥٢٢ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٤٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٦ وج٤٣ ص٢٣١ و ٣٧٤ و ٣٧٥ وفتح القدير ج٣ ص١٩٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٥٠.

(٢) البحار ج١٨ ص١٨٧، وراجع ج٣٥ ص١٢٦ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٥٤ ونور البراهين ج١ ص٤٠٤ وأبو طالب حامي الرسول وناصره ص٢١٥ والغدير ج٧ ص٣٨٨ والدر النظيم ص٢١٢ والكنى والألقاب ج١ ص٢٩٣ وإيمان أبي طالب للأميني ص٨٠.

وكان أيضاً يهجو أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، ويحرض المشركين على قتالهم.

ويوم الفتح سمع أن النبي «صلى الله عليه وآله» أهدر دمه، فهرب إلى نجران وسكنها[1].

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن حسان بن ثابت رماه وهو في نجران ببيت واحد، فما زاد عليه:

لا تعدمن رجلاً أحلك بغضه ... نجران في عيش أجد لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلم، وحسن إسلامه[2].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٤ وحلية الأبرار ج١ ص١٢٠ والإستيعاب ج٣ ص٩٠٢ والدرر ص٢٢٢ وكتاب التوابين ص١١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٧٧ وج١٨ ص٧ والإصابة ج٤ ص٧٦ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص٤١٢ وأسد الغابة ج٣ ص١٥٩ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٩٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٣ وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٨٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٠ و ٢٩٥.

(٢) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٢ ص٣٠٩ و (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٠٢ وأسد العابة ج٣ ص١٥٩ و ١٦٠ والإصابة ج٤ ص٧٦ والإعلام ج٤ ص٨٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٩٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٨٥ والبحار ج٢١ ص١٠٦ وراجع: تفسير مجمع البيان ج١٠ ص٤٧٢.

وقال الصالحي الشامي وغيره:

فأرسل حسان بن ثابت أبياتاً يريد بها ابن الزبعري:

لا تعدمن رجلاً أحلك بغضه ... نجران في عيش أحذ لئيم

بليت قناتك في الحروب فألفيت ... خوارة خوفاء ذات وصوم

غضب الإله على الزبعرى وابنه ... وعذاب سوء في الحياء مقيم[1].

وذكر ابن إسحاق البيت الأول فقط.

فلما جاء ابن الزبعرى شعر حسان، خرج إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس في أصحابه، فلما نظر إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «هذا ابن الزبعرى، ومعه وجه فيه نور الإسلام».

فلما وقف على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، الحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد عاديتك، وأجلبت عليك، وركبت الفرس والبعير، ومشيت على قدمي في عداوتك، ثم هربت منك إلى نجران، وأنا أريد أن لا أقر بالإسلام أبداً، ثم أرادني الله منه بخير، وألقاه في قلبي، وحببه إلي. وذكرت ما كنت فيه من الضلالة، واتباع ما لا ينبغي، من حجر يذبح له

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٠ و٢٥١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٤٧ و ٨٤٨، والإصابة ج٢ ص٣٠٨ وكتاب التوابين ص١١٧ وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٣٩ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٣٥٣ وإمتاع السماع ج١٣ ص٣٨٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٧.

ويعبد، لا يدري من عبده، ولا من لا يعبده.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي هداك للإسلام، إن الإسلام يجب ما كان قبله»[1].

وقال عبد الله حين أسلم:

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أباري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لربي ... ثم قلبي الشهيد أنت النذير

إنني عنك زاجر ثم حيا ... من لؤي وكلهم مغرور[2]

وقال عبد الله أيضا حين أسلم:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٤٨، وراجع: أنساب الأشراف ج١ ص٣٦٢ وكتاب التوابين ص١١٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٨ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٣٨٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٠ و ٢٥١، وراجع: البحار ج٢١ ص١٠٦، عن مجمع البيان ج١٠ ص٥٥٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤ ٧٣ وج٦ ص٧٦ وج٧ ص٢٨٤ وج٩ ص١٩٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٨٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٤٤ وفتح الباري ج٨ ص٤٤٦ والتبيان للطوسي ج٨ ص٤١٧ ونور الثقلين ج٥ ص٦٩٦ وجامع البيان ج١٣ ص٢٨٧ و ج١٨ ص٢٥٣ وتفسير القرطبي ج١٣ ص١١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٠٨ و ٣٢٤ و ٣٦٧ وأسد الغابة ج٣ ص٣٦٠ والإصابة ج٤ ص٧٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٠.

منع الرقاد بلابل وهموم ... والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامني ... فيه فبت كأنني محموم
يا خير من حملت على أوصالها ... عيرانة سرح اليدين غشوم
إني لمعتذر إليك من الذي ... أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطة ... سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني ... أمر الوشاة وأمرهم مشؤم
فاليوم آمن بالنبي محمد ... قلبي ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة فانقضت أسبابها ... ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والداي كلاهما ... زللي فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة ... نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه ... شرفاً وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق ... حق وأنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى ... مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرع تمكن في الذرى وأروم[1]

ونقول:

إننا لا نناقش في أن يكون ابن الزبعرى وسواه يمدحون رسول الله «صلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٠ ـ ٢٥٢ وكتاب التوابين ص١٢٠ وتفسير القرطبي ج٦ ص٤٠٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٨٦.

الله عليه وآله» بمثل هذه المدائح، أو بما هو أجل وأعظم منها ولكننا نشك كثيراً في صحة ما يدَّعى: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشار إلى وجود نور الإسلام في وجه هؤلاء الذين قضوا عمرهم في حرب هذا الدين، ولم يسلموا إلا بعد أن فقدوا كل أمل بالإنتصار عليه، وبعد أن أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم، ولم يعودوا يأمنون على حياتهم، حتى من أقرب الناس إليهم.

فإن الاستسلام للأمر الواقع، أو التظاهر بالإسلام شيء، والإسلام الصادق وظهور نوره في الوجه شيء آخر..

٦ـ الحويرث بن نقيدر:

قالوا: كان الحويرث بن نقيدر يؤذى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد نخس بزينب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما هاجرت إلى المدينة، فأهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه.

فبينما هو في منزله قد أغلق عليه بابه، سأل عنه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقيل: هو بالبادية.

فأخبر الحويرث أنه يطلب، فتنحى علي «عليه السلام» عن بابه، فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى آخر، فتلقاه علي «عليه السلام»، فضرب عنقه[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٤ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٨١ و ٩١ و (ط دار المعرفة) ص٣٨، والبحار ج٢١ ص١٣١، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٧، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١٣ وإمتاع ألسماع ج١ ص٣٩٩ والإرشاد ج١ ص١٣٦ والمستجاد من الإرشاد =

وقالوا أيضا: كان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة، وأم كلثوم بنتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث، فرمى بهما الأرض[1].

وكان (يؤذي) يعظم القول في رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينشد الهجاء فيه، ويكثر أذاه وهو بمكة[2].

= ص٧٨ وفتوح البلدان ج١ ص٤٦ وسنن الدارقطني ج٢ ص٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٢ وتهذيب الكمال ج١١ ص١١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٦ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٠ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٤ وكشف الغمة ج١ ص٢١٨ ونهج الحق وكشف الصدق ص٢٥٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ عن ابن هشام، وراجع: السير ة الحلبية ج٣ ص٩١ و (ط دار المعرفة) ص٣٨، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٢، عن الإكتفاء، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٦٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤١ والسيرة لابن كثير ج٣ ص٥٦٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٥١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥، عن البلاذري، والسيرة الحلبية ج٣ ص٩١ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٠ وتاريخ الإسلام ج٤ ص١٨٤ والإرشاد ج١ ص١٣٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق ج٣٢ ص٣٠٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٥٢ والدرر لابن عبد البر ص٢٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٠٩ وكشف الغمة ج١ ص٢١٨ ونهج الحق وكشف الصدق ص٢٥٠.

ونقول:

أولاً: إن العباس بن عبد المطلب لم يحمل فاطمة ولا سواها من بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة إلى المدينة، بل كان علي «عليه السلام» هو الحامل للفواطم من مكة يوم الهجرة.

ثانياً: إن أم كلثوم لم تكن بنتاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كانت ربيبة زوجته من قبل أختها على ما يظهر.. فراجع كتابنا: «بنات النبي أم ربائبه»، وكتابنا: «القول الصائب في إثبات الربائب».

ثالثاً: لعل الصحيح هو الرواية التي تقول: إن هذا الرجل كان هو وهبار، وقد نخساً ربيبة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسقطت، وأسقطت، حسبما تقدم[1].

أسلوب استدراجي:

وقد لوحظ: أن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»، لم يهاجم ذلك الرجل في بيته. ولعل سبب ذلك:

أولاً: أنه لم يرد أن يفهم بعض قاصري النظر: أنه «عليه السلام» قد

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٢، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٤، والسيرة الحلبية ج٣ ص٨١ و ٩١، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٧، والبحار ج٢١ ص١٣١ ونيل الأوطار ج٨ ص٧٥ وفتح الباري ج٦ ص١٠٤ ونصب الراية ج٤ ص٢٦٣ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص١٢٠ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٤٧ ومقدمة فتح الباري ص٢٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٠ ص٥٢٦ والإصابة ج٥ ص٥١ والأنساب ج٤ ص٥٧٣ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٤٧ و ٣٤٨.

نقض قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أغلق بابه فهو آمن، ثم أن يتخذ المغرضون ذلك ذريعة للتشنيع على الإسلام وأهله، واتهام علي «عليه السلام» بعدم احترام قرار النبي «صلى الله عليه وآله». ثم اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه قد شارك في ذلك، من حيث إنه لم يعترض على علي «عليه السلام» فيما فعله، ولا اتخذ إجراءً ضده.

مع أن من البديهي: أن النداء بالأمان لمن أغلق باب داره لا يشمل الذين أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم..

ثانياً: قد يكون «عليه السلام» أراد أن يتجنب إلحاق أي أذى بالآخرين الذين قد يكونون في ذلك البيت، ولو بمقدار إثارة جوٍ من الرهبة والخوف لديهم..

فاتجه صلوت الله وسلامه عليه إلى أسلوب استدراجي، أخرج ذلك المجرم إلى الشارع، وأجرى فيه أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فقد سأل عنه بنحو أوصل إليه الخبر، بأن ثمة من يبحث عنه، إذ إن من الطبيعي أن يكون بيت الرجل أول هدف للبحث وهو المنطلق، فيفتش البيت أولاً، ويسأل عنه ساكنيه، ثم يسأل عنه جيرانه، وربما بعض أهل عشيرته، وأصدقائه. ثم يواصل البحث وفق المعطيات التي توفرت لديه، بسبب هذه الأسئلة الإستقصائية..

فلما سأل عنه علي «عليه السلام» بادر المطلوب إلى الإبتعاد عن هذه النقطة الحساسة، والمقصودة والمرصودة، ليكون أكثر أمناً. وأكثر قدرة على الحركة في الإتجاهات المختلفة فإن ابتعاده عن موطن الخطر. يمكِّنه من أن يتدبر أمره، وفق ما يتوفر له من معطيات..

فكان علي «عليه السلام» له بالمرصاد.. وأنزل فيه ما يستحقه من جزاء..

٧ـ هبار بن الأسود:

كان هبار بن الأسود شديد الأذى للمسلمين، وعرض لزينب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما هاجرت فنخس بها، أو ضربها بالرمح، فسقطت عن راحلتها، فأسقطت، ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت[(١)]، فلما كان يوم الفتح، وبلغه أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أهدر دمه، أعلن بالإسلام، فقبله منه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعفا عنه[(٢)].

وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «إن لقيتم هباراً هذا فأحرقوه، ثم قال: إنما يعذب بالنار رب النار، إن ظفرتم به فاقطعوا يده ورجله، ثم اقتلوه. فلم يوجد يوم الفتح، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه[(٣)].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥، وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٧ ونصب الراية ج٤ ص٢٦٣ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٤٧ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٤٤ والإستيعاب ج٤ ص١٨٥٤ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٦٦ والمنتخب من ذيل المذيل ص٢ وأعيان الشيعة ج٧ ص١٤١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص١٩٤ وعيون ألثر ج٢ ص١٩٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥، والسيرة الحلبية ج٣ ص٩١ وفتح الباري ج٨ ص٩ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٣٢.

(٣) السير ة الحلبية ج٣ ص٩١ و ٩٢ و (ط دار المعرفة) ص٣٩ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٣ والإستيعاب ج٤ ص١٥٣٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٥٢ وأسد الغابة ج٥ ص٥٣ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص١٣٨ وعيون الأثر ج٢ص ١٩٦.

ويذكر: أنه لما أسلم، وقدم المدينة مهاجراً جعلوا يسبونه، فذكر ذلك للنبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: «سب من سبك» فانتهوا عنه.

وهذا السياق يدل على: أنه أسلم قبل أن يذهب إلى المدينة.

وفي لفظ: ولما رجع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة جاء هبار رافعاً صوته، وقال: يا محمد، أنا جئت مقراً بالإسلام، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. واعتذر إليه. أي قال له بعد أن وقف عليه: السلام عليك يا نبي الله، لقد هربت منك في البلاد، فأردت اللحوق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وفضلك في صفحك عمن جهل عليك، وكنا يا نبي الله أهل شرك فهدانا الله بك، وأنقذنا بك من الهلكة، فاصفح عن جهلي، وعما كان مني، فإني مقر بسوء فعلي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا هبار، عفوت عنك، وقد أحسن الله إليك حيث هداك إلى الإسلام، والإسلام يجب ما قبله.

وقوله: «مهاجراً» فيه، إنه لا هجرة بعد فتح مكة.

إلا أن يقال: هي مجاز عن مجرد الإنتقال عن محل إلى آخر[1].

غير أننا نقول:

قال الواقدي: بينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس بالمدينة في أصحابه، إذ طلع هبار بن الأسود ـ وكان لَسِناً ـ فقال: يا محمد، سبّ من سبّك، إني جئت مقراً بالإسلام، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٢ و (ط دار المعرفة) ص٣٩ والقصة ذكرها الواقدي في مغازيه ج٢ ص٨٥٨ و ٨٥٩ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٣.

له، وأن محمداً عبده ورسوله الخ..

فقبل منه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فخرجت سلمى مولاة النبي «صلى الله عليه وآله»، فقالت: لا أنعم الله بك عيناً، أنت الذي فعلت وفعلت.

فقال: إن الإسلام محا ذلك.

ونهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن سبه والتعرض له[1].

ثم ذكر الواقدي وغيره، عن جبير بن مطعم: إن هباراً أسلم بعد منصرف النبي «صلى الله عليه وآله» من الجعرَّانة، حين فرغ «صلى الله عليه وآله» من حنين حيث طلع عليه، وهو جالس في مسجده، فأراد بعضهم القيام إليه، فأشار إليه النبي «صلى الله عليه وآله» أن اجلس، فأسلم هبار واعتذر إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقبل منه.

وعن الزبير بن العوام: «ما رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكر هباراً قط إلا تغيّظ عليه، ولا رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث سرية قط إلا قال: إن ظفرتم بهبار فاقطعوا يديه ورجليه، ثم اضربوا عنقه.

فوالله، لقد كنت أطلبه وأسأل عنه، والله يعلم لو ظفرت به قبل أن يأتي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقتلته.

ثم طلع على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا عنده جالس، فجعل يعتذر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويقول: سُبّ يا محمد من سَبّك

____

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٧ وشرح النهج ج١٤ ص١٩٤ وج١٨ ص١٤ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٩٨ وج١٢ ص٢٨٧ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٣٨.

وأوذي من آذاك، فقد كنت موضعاً في سبِّك وأذاك، وقد نصرني الله وهداني إلى الإسلام.

قال الزبير: فجعلت أنظر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وإنه ليطأطئ رأسه استحياءً مما يعتذر هبار، فقال له: قد عفوت عنك، والإسلام يجب ما قبله.

وكان يسبّ حتى يبلغ منه فلا ينتصف من أحد.

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» حلمه، وما يحمل عليه من الأذى، فقال: يا هبار سُبّ من سبّك[1].

ونقول:

إن في النصوص المتقدمة مواضع للنظر والتأمل، نذكر منها ما يلي:

ذنب هبار:

لا يصح أن يدخل في وهم أحد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد التشفّي الشخصي بهبار، لأنه قد ارتكب جريمته ضد بعض من يخصّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينتسب إليه، وهي زينب التي يدَّعي البعض: أنها ابنته على الحقيقة، أو بالتربية ـ كما هو الحق ـ.

فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يتخذ مواقفه من هذه المنطلقات، لأنه نبي معصوم. بل هو مسدد ومؤيد، ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٧ و ٨٥٩ وكتاب التوابي ص١٢١ والمنتخب من ذيل المذيل ص٤٠ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٣٩.

(٢) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

كما أن ما فعله هبار كان جرماً عظيماً، بجميع المعايير، فلاحظ ما يلي:

١ ـ إن ما أقدم عليه تجاه زينب كان عملاً عدوانياً، يهدف إلى منع الناس من ممارسة حرياتهم في أمور تعود إليهم وتخصهم.

٢ ـ إنه تعدٍّ على حدود الشرع والدين، وتحدٍ للإرادة الإلهية، وسعي في إبطال الحق، ونصرة الباطل.

٣ ـ إنه عدوان على إنسان ضعيف، غير قادر على الدفاع عن نفسه، وهو أمر معيب حتى عند أهل الجاهلية، وعبدة الأصنام أنفسهم.

جرأتهم على رسول الله ﷺ:

وقد ادَّعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان كلما بعث سرية أمرها بهبار: إن أخذ أن يحرق بالنار، ثم قال: «إنما يعذب بالنار رب النار، اقطعوا يديه ورجليه، إن قدرتم عليه، ثم اقتلوه»[1].

ونقول:

أولاً: إن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» لا يتردد في أحكامه، ولا يتراجع عنها، بل هو مسدد ومؤيد بالوحي، ولا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.. فإنه حين أمر أن يحرق بالنار لم يقل ذلك من عند نفسه؟!

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٣، والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٢ و (ط دار المعرفة) ص٣٩ والبحار ج١٩ ص٣٥٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٣٨ وراجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٩٤ وكنز العمال ج٥ ص٣٩١ وأسد الغابة ج٢ ص٦٠ والمنتخب من ذيل المذيل ص٣٩ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٣٨.

حاشاه!!.. وإذا كان قد قاله بأمر من الله، فما معنى أن يتراجع عنه، ثم يستدل لصحة تراجعه بقاعدة عامة تقول: لا يعذب بالنار إلا رب النار؟![1].

ثانياً: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» كما يقولون: قد أحرق عبد الله بن سبأ بالنار حين ادَّعى ربوبية الإمام «عليه السلام»[2] ولا أحد مثل علي «عليه السلام» يتقيد بأحكام الله، ويلتزم بشرعه تبارك وتعالى.

رابعاً: قد أحرق أبو بكر الفجأة السلمي، واسمه أياس بن عبد الله بن عبد ياليل، وكان ذلك هو أحد الأمور الثلاثة التي ندم على فعلها، كما

---

(١) الوسائل ج١٨ باب ٥ من أبواب اللواط حديث رقم ١ والباب رقم ٣ من أبواب حد اللواط، الحديث رقم ٩ و ٥.

(٢) رجال الكشي (ط كربلاء) ص٩٩ و ١٠٠، وخلاصة الرجال للعلامة ص وقاموس الرجال ج٥ ص٤٦١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٨ ص٥٥٤ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص١٦٩ والهداية الكبرى ص١٥١ ونوادر المعجزات ص٢١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٢٧ ومدينة المعاجز ج١ ص٢٢٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٦٧ والغدير ج٣ ص٩٤ وتأويل مختلف الحديث ص٧٠ واختيار معرفة الرجال ج١ ص٣٢٣ وخلاصة القوال ص٣٧١ والتحرير الطاووسي ص٣٤٥ ونقد الرجال ج٣ ص١٠٩ وجامع الرواة ج١ ص٤٨٥ وطرائف المقال ج٢ ص٩٦ ومستدركات علم رجال الحديث ج٥ ص٢١ ومعجم رجال الحديث ج١١ ص٢٠٥ وميزان الإعتدال ج٢ ص٤٢٦ ولسان الميزان ج٣ ص٢٨٩ و ٢٩٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٣١ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٦٤٦.

صرح به حين حضرته الوفاة(١).

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٣٧ وتاريخ الإسلام للذهبي: ج١ ص١١٧ و ١١٨، وإثبات الهداة ج٢ ص٣٥٩ و ٣٦٧ و ٣٦٨، والعقد الفريد ج٤ ص ٢٦٨، والايضاح لابن شاذان ص١٦١، والإمامة والسياسة ج١ ص١٨، وسير أعلام النبلاء، (سير الخلفاء الراشدين) ص١٧، ومجموع الغرائب للكفعمي ص٢٨٨، ومروج الذهب ج١ ص٤١٤، وج٢ ص٣٠١، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج١ ص١٣٠، وج١٧ ص١٦٨ و ١٦٤، وج٦ ص٥١ وج٢ ص٤٧ و ٤٦، وج٢٠ ص٢٤ و ١٧، وميزان الإعتدال ج٣ ص١٠٩، وج٢ ص٢١٥، والإمامة (مخطوط) توجد نسخة مصورة منه في مكتبة المركز الإسلامي للدراسات في بيروت ص٨٢. ولسان الميزان ج٤ ص١٨٩، وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٤٣٠ وكنز العمال ج٣ ص١٢٥، وج٥ ص٦٣١ و ٦٣٢، والرسائل الإعتقادية (رسالة طريق الإرشاد) ص٤٧٠، و ٤٧١. ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج٢ ص١٧١. والمعجم الكبير للطبراني ج١ ص٦٢ وضياء العالمين (مخطوط) ج٢ ق٣ ص٩٠، و ١٠٨، عن العديد من المصادر. والنص والإجتهاد ص٩١، والسبعة من السلف ص١٦ و ١٧، والغدير ج٧ ص١٧٠، ومعالم المدرستين ج٢ ص٧٩، وعن تاريخ ابن عساكر (ترجمة أبي بكر)، ومرآة الزمان. وراجع: زهر الربيع ج٢ ص١٢٤، وأنوار الملكوت ص٢٢٧، وبحار الأنوار ج٣٠، ص١٢٣ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤١ و ٣٥٢، ونفحات اللاهوت ص٧٩، وحديقة الشيعة ج٢ ص٢٥٢، وتشييد المطاعن ج١ ص ٣٤٠، ودلائل الصدق ج٣ ق١ ص٣٢. والخصال ج١ ص١٧١ و ١٧٣، وحياة الصحابة ج٢ ص٢٤، والشافي للمرتضى ج٤ ص١٣٧ و ١٣٨. والمغني لعبد الجبار ج٢٠ ق١ ص٣٤٠ و ٣٤١. ونهج الحق ص٢٦٥، والأموال لأبي عبيد ص١٩٤ (وإن لم يصرح بها).=

بل كان أبو بكر يأمر سراياه بإحراق المعارضين له فيما عرف بحروب الردة[1]. مع أنها حروب اعتراض على خلافته، لا أكثر.

زينب بنت رسول الله ﷺ:

قد ذكرنا في أوائل هذا الكتاب، وفي كتاب: «بنات النبي أم ربائبه»، وكتاب: «القول الصائب في إثبات الربائب»: أن زينب، وأم كلثوم، ورقية، اللواتي كبرن وتزوجن لم تكنّ بنات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من خديجة..

= ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٠٣، وتلخيص الشافي ج٣ ص١٧٠، وتجريد الإعتقاد لنصير الدين الطوسي ص٤٠٢، وكشف المراد ص٤٠٣، ومفتاح الباب (أي الباب الحادي عشر) للعربشاهي (تحقيق مهدي محقق)، ص١٩٩، وتقريب المعارف ص٣٦٦ و ٣٦٧، واللوامع الإلهية في المباحث الكلامية للمقداد ص٣٠٢، ومختصر تاريخ دمشق ج١٣ ص١٢٢، ومنال الطالب ص٢٨٠، وراجع: الكامل لابن الأثير (حوادث سنة ١١ هـ) ج٢ ص١٤٦، والإصابة ج٢ ص٢٢٣ والبداية والنهاية ج٦ ص٣١٩، وتاريخ الأمم والملوك ج٣ (حوادث سنة ١١ هـ). وراجع المواقف للإيجي ص٤٠٣.

(١) مختصر السيرة ج١ ص٢٦٩ والإكتفاء ج٣ ص٢٩ وتفسير غريب ما في الصحيحين ج١ ص٤٩٩ وج١٠ ص٤٢ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص٣٧١ والتمهيد لابن عبد البر ج٥ ص٣١٦ وفيض القدير ج٦ ص٢٩٥ وراجع: الوافي بالوفيات ج١٣ ص١٦٢ والغدير ج٧ ص١٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٤٠ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٧٢ والرياض النضرة ج٢ ص٤٨ الشرح الكبير ج١٠ ص٨٢ والمغني لابن قدامة ج٩ ص١٨ و (ط دار الكتاب العربي) ص٧٨.

ولكن ذلك لا يمنع من القول: بأنه قد كان للنبي «صلى الله عليه وآله» بنات يحملن هذه الأسماء بالذات، ولكنهن متن في حال الصغر..

وإنما توصف هؤلاء بأنهن بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبب أنهن قد عشن في بيته، وتربين عنده.. ويصح أن يطلق على من تتربى في بيت رجل: أنها بنت ذلك الرجل..

أما من كان يصر على بنوتهن الحقيقية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكذلك الذين ما زالوا يصرون على هذا الرأي، فذلك منهم إما لجهلهم بحقيقة الحال.. إما بسبب عدم تعرضهم للبحث المعمق في هذه المسألة، وإما لأنهم ممن يريدون التقليل من شأن فاطمة الزهراء «عليها السلام»، بإيجاد منافسات لها حسب زعمهم[1]. ومنح شرف المصاهرة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لأناسٍ آخرين غير علي «عليه السلام»، فلعل هذا ـ بزعمه الفاسد، ورأيه الكاسد ـ يقلل من شأن علي «عليه السلام» و يحط من مقامه ولو شيئاً مّا!!..

موقف الرسول ﷺ من هبار:

ولكن مهما قيل في تعظيم هؤلاء البنات، فإن الزهراء «عليها السلام» تبقى تحلّق في عليائها، ولا تدانيها أية امرأة خلقها الله تعالى، بل هي أفضل الخلق كلهم، باستثناء النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» بمقتضى

---

(١) إذ لا شك في خطئهم في زعمهم هذا، بل يكون وجود بنات تميزت هي عليهن من شأنه أن يظهر فضلها، ومكانتها ـ لو صح وجود بنات له «صلى الله عليه وآله» غيرها، والحقيقة هي تعذر إثبات ذلك بصورة علمية ومقبولة..

ما دل عليه حديث: «لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ، آدم فمن دونه»[1].

---

(١) كشف الغمة للأربلي ج٢ ص١٠٠ عن صاحب كتاب الفردوس، واللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص٩٦، وبيت الأحزان للشيخ عباس القمي ص٢٤، وحياة أمير المؤمنين لمحمديان ج١ ص١٠٧، ومجمع النورين للمرندي ص٢٧ و ٤٣، وتفسير القمي لعلي بن إبراهيم ج٢ ص٣٣٨، والصحيح من السيرة (الطبعة الرابعة) ج٥ ص٢٧٣ عن حياة الإمام الحسن للقرشي ج١ ص١٥ وص٣٢١ عن تلخيص الشافي ج٢ ص٢٧٧، والأنوار القدسية للشيخ محمد حسين الأصفهاني ص٣٦ عن المحجة البيضاء ج٤ ص٢٠٠، وشرح أصول الكافي للمازندراني ج٧ ص٢٢٢، ووسائل الشيعة للحر العاملي ج٢٠ ص٧٤ وج١٤ ص٤٩، ودلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري ص٨٠، وعلل الشرائع ج٢ ص١٧٨، وأمالي الصدوق ص٤٧٤، ونوادر المعجزات ج٦ ص٨٤، وتفضيل أمير المؤمنين «عليه السلام» للشيخ المفيد ص٣٢، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٩٠، والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٤٠٨ وج٣ ص٤١١، وبحار الأنوار ج٨ ص٦ وج٤٣ ص١٠ و ١٠٧، وشهادة النبي «صلى الله عليه وآله» للشيخ محمود شريفي ص١٤٠، وإعلام الورى ج١ ص٢٩٠، وتسلية المجالس وزينة المجالس ج١ ص٥٤٧، ومناظرات في العقائد للشيخ عبد الله محسن ص٢٦٨، والأسرار الفاطمية للشيخ محمد فاضل المسعودي ص٨٣، ونور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ج١ ص٣١٥، ومستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي ج٩ ص١٢٦و ٢٨٨، والإمام علي «عليه السلام» لأحمد الرحماني الهمداني ص١٢٦ و ٣٣٤، ومستدرك الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص٢٤١، والحدائق الناضرة للمحقق البحراني ج٢٣ ص١٠٨، والتهذيب ج٧ ص٤٧٠ ح٩٠ وص٤٧٥ ح١١٦، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ج٣ ص٣٩٣، والكافي للكليني ج١ ص٤٦١،=

وبعدما تقدم نقول:

إنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد أهدر دم هبار بن الأسود، والحويرث بن نقيدر، لأنهما روَّعا زينب، أو لأن الحويرث نخس بها الجمل، فوقعت على الأرض، فماذا سيكون موقفه «صلى الله عليه وآله» ممن ضرب فاطمة «عليها السلام»، وأسقط جنينها، وكسر ضلعها، وتسبب لها بعلَّتها التي ماتت منها، فكانت صدِّيقة شهيدة كما روي؟![1].

فهل سوف يكون «صلى الله عليه وآله» راضياً عمن فعل بها ذلك؟!!

أم أنه سيعاقبه، بما يستحقه؟!

= وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٠٣ و(ط أخرى) ج١ ص٢٢٥، والخصال ص٤١٤، والمختصر ص١٣٣ و ١٣٦، وبشارة المصطفى ص٣٢٨، وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج٧ ص١ و ٢ وج١٧ ص٣٥ وج١٩ ص١١٧ عن عدد من المصادر التالية: مودة القربى للهمداني (ط لاهور) ص١٨ و٥٧، وأهل البيت «عليهم السلام» لتوفيق أبي علم ص١٣٩، ومقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ص٩٥، و (ط أخرى) ج١ ص٦٦، والفردوس ج٣ ص٣٧٣ و ٥١٣، والسيدة الزهراء «عليها السلام» للحاج حسين الشاكري ص٢٣، والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي، وكنوز الحقائق للمناوي (ط بولاق ـ مصر) ص١٣٣، وينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي ج٢ ص٨٠ و ٢٤٤ و ٢٨٦. لكن أكثر مصادر أهل السنة قد اقتصرت على عبارة لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ.. ولم تذكر كلمة، آدم فمن دونه.

(١) الكافي ج١ ص٤٥٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٢ ص٤٧٣ ومنتقى الجمان ج١ ص٢٢٤ ومشرق الشمسين ص٣٢٤ والصراط النجاة ج٣ ص٤٤١ ومسائل علي بن جعفر ص٣٢٥ والحدائق الناضرة ج٣ هامش ص٢٩٦ .

وهل العقوبة هي مجرد إهدار الدم؟! والأمر بالإحراق بالنار، بعد قطع اليد والرجل ـ كما زعموا ـ ثم العفو عنه؟!! أم أن الأمر أعظم، والموقف سيكون أشد وأقسى؟!

سبّ من سبّك:

ولا نريد أن نبحث كثيراً لاستكشاف قائل كلمة: «سبّ من سبّك»، هل هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لتكون كلمة: «سبّ» فعل أمر؟!

أم هو هبار، وتكون الكلمة «سبّ» فعل ماضٍ مبني للمجهول؟!

ولكننا نريد أن نقول:

إن الأمر بالسبّ لا يصدر من النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو الذي يقول ـ حسبما روي عنه ـ: لا تسبنّ أحداً. وإن امرؤ سبك بأمر لا يعلمه فيك، فلا تسبه بأمر تعلمه، فيكون لك الأجر، وعليه الوزر[1].

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعّان، السبّاب، الطعّان على المؤمنين، الفاحش

---

(١) البحار ج٧٣ ص٣٥٥ عن كنز الفوائد للكراجكي ص٩٥ ومسند أحمد ج٥ ص٦٤ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٦٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٣٦ والآحاد والمثاني ج٢ ص٣٩٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٨٧ والمعجم الكبير ج٧ ص٦٥ وكتاب الدعاء ص٥٧٠ ورياض الصالحين ص٣٨٤ والعهود المحمدية ص٨٤٦ وكنز العمال ج١٥ ص٨٨١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٨٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص٦٥.

المتفحش الخ..[١].

وعن الإمام الكاظم «عليه السلام»: ما تسابّ اثنان إلا انحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل[٢].

تقوى هبار؟!:

ثم إن ما تضمنته الروايات المتقدمة: من إشارات إلى تحول هبار من إنسان ساقط في حمأة الجهالات والضلالات، إلى إنسان فاضل، ومنضبط، وصابر ومتسامح.. حتى لو فرضنا صحته، فليس ثمة ما يوجب الوثوق بكونه يعبر عن تحول حقيقي في شخصية هبار، فإن من القريب جداً أن يكون ذلك سياسة منه، تهدف إلى أن يجد موقعاً مناسباً في هذا المجتمع الجديد، الذي أصبح مقهوراً على الإستسلام له، والعيش فيه.

---

(١) البحار ج٦٥ ص١٥٢ وج٧٥ ص١٨١ عن تحف العقول، وأمالي الصدوق ص٣٢٦ وتحف العقول ص٣٠٠ وروضة الواعظين ص٣٧٠ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٨٢ ومشكاة الأنوار ص٣٣٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٣١ وتفسير العياشي ج١ ص٤٨ وتفسير مجمع البيان ج١ ص٢٨٦ وتفسير الصافي ج١ ص١٥٢ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٢٨٧ وتفسير الميزان ج١ ص٢٢٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٥٨.

(٢) البحار ج٧٥ ص٣٣٣ عن الدرة الباهرة، والدرة الباهرة في الأصداف الطاهرة للشهيد الأول ص٧ وأعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي ص٣٠٥ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٤٢٧ ونزهة الناظر وتنبيه الخاطر للحلواني ص١٢٥ وشرح إحقاق الحق ج١٩ ص٥٥٢.

سبّ المسلمين لهبار موضع ريب:

إننا نظن ظناً قوياً: أن يكون ما يزعم من سب المسلمين لهبار أسطورة، نسجها خيال الرواة الذين يريدون التسويق لهبار، وإلا فإن من البعيد جداً أن يتجاهر المسلمون بسبّ الناس، بعد أن نهاهم النبي «صلى الله عليه وآله» عن السب..

على أنه لو صح ذلك، فإن ما نتوقعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو: أن يجدد نهيه لهم عن السبّ، وأن يعلن لزوم ارتداعهم عن المنكر، لا أن يأمر بمواجهة المنكر بمثله:

وممن أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم:

٨ ـ الحارث بن هشام:

أخو أبي جهل لأبويه. وقد أسلم بعد ذلك[1].

٩ ـ زهير بن أمية:

وكان قد استجار بأم هاني، وأراد علي «عليه السلام» قتله، فأمضى

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٨١ و ٩٣ وراجع: تنوير الحوالك ص٢١٣ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٢٨٣ وج١٠ ص٢٥٠ وعمدة القاري ج٢٠ ص٢١٢ وعون المعبود ج٦ ص٥٦ وتنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ص٣٦٠ و ٣٦١ وتفسير الثعلبي ج٧ ص٢٧٣ والإكمال في أسماء الرجال ص٥٤ والثقات ج٣ ص٧٢ وتاريخ مديمة دمشق ج١١ ص٤٧١ و ٤٩٧ و٤٩٨ و وتهذيب التهذيب ج٢ ص١٤٠ والوافي بالوفيات ج١١ ص١٩٢ والبداية والنهاية ج٧ ص١٠٧ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٣٧٤.

النبي «صلى الله عليه وآله» جوارها، وأسلم زهير بعد ذلك[1].

١٠ـ عبد الله بن ربيعة:

ذكره الأزرقي بدل زهير بن أمية[2].

١١ـ زهير بن أبي سلمى[3]:

١٢ـ مقيس بن صبابة[4]:

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٨١ و ٩٣ و (ط المعرفة) ص٤١ ونيل الأوطار ج٨ ص١٦٧ وفتح الباري ج١ ص٣٩٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٣ ونيل الأوطار ج٨ ص١٦٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٧٧ وفتح الباري ج١ ص٢٩٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٧ ونصب الراية ج٤ ص٢٤٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٤٩٥ وتهذيب الكمال ج٥ ص٢٩٨ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٩ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٨٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٩.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٢.

(٤) راجع: قرب الإسناد ص٦١ و (ط مؤسسة أهل البيت) ص١٣٠ والإرشاد ج١ ص١٣٦ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٧٧ والبحار ج٢١ ص١٠٥ و ١١١ و ١٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٥١ وسنن النسائي ج٧ ص١٠٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٠٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٦٩ و ١٧٣ وفتح الباري ج٨ ص٩ والإستذكار ج٤ ص٤٠٤ والدرر ص١٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥١٧ و ٥٢٨ و ٥٣٥ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٩٥ وتفسير =

كان أسلم، ثم أتى على رجل من الأنصار فقتله، وكان الأنصاري قتل أخاه هشاماً خطأً في غزوة ذي قرد، ظنه من العدو، فجاء مقيس، فأخذ الدية، ثم قتل الأنصاري، ثم ارتد، فقتله نميلة بن عبد الله يوم الفتح(١).

وقد قتله بعد أن أخبروه: بأنه مع جماعة يشربون الخمر، فذهب إليه، فقتله بردم بني جمح، وقيل: قتل وهو متعلق بأستار الكعبة(٢).

ويقال: خرج وهو ثمل فيما بين الصفا والمروة، فرآه المسلمون، فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه(٣).

= البغوي ج١ ص٤٦٤ وزاد المسير ج٢ ص١٧٣ وتفسير العز بن عبد السلام ص٣٤٤ والتسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص١٥٣ وتفسير البحر المحيط ج٣ ص٣٣٨ ولباب النقول ص٧٧ وأضواء البيان ج٢ ص٧٢ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٠٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٣ وج٤١ ص٥٨ وج٥٩ ص١٦٨ وأسد الغابة ج٤ ص٥ وج٥ ص٤٢ و ٦٢ وتهذيب الكمال ج١١ ص١١٤ والإصابة ج٢ ص٤٧٧ وج٦ ص٣٧٣ والأعلام ج٧ ص٢٨٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٥٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٧٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٠٤ وج١٣ ص١١٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٨٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٦٨ وإعلام الورى ج١ ص٢٢٣ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٩٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥، والسيرة الحلبية ج٣ ص٨١ و ٩١، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٣ وراجع مصادر الهامش السابق.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٩١ و (ط دار المعرفة) ص٣٨، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٣.

(٣) المغازي ج٢ ص٨٦١ والأعلام للزركلي ج٧ ص٢٨٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٤٠٠.

١٣ـ الحويرث بن الطلاطل الخزاعي:

كان يؤذي النبي «صلى الله عليه وآله»، قتله علي «عليه السلام» ذكره أبو معشر(١).

١٤ـ كعب بن زهير:

وهو الشاعر الذي كان يهجو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجاء بعد ذلك فأسلم، ومدحه بقصيدة بانت سعاد. ذكره الحاكم(٢).

١٥ـ وحشي بن حرب:

وتقدم شأنه: في غزوة أحد، وفي فتح مكة. هرب إلى الطائف، فلما أسلم أهلها جاء مع وفدهم فأسلم(٣).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤ وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص١٧٢ وج١٢ ص٧٠ وفتح الباري ج٨ ص١٠.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٨٢ و ٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤ ونيل الأوطار ج٨ ص١٧٢ وفتح الباري ج٨ ص١٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٤٢٤ و ٤٢٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٧٩ والآحاد والمثاني ج٥ ص١٦٨ وأسد الغابة ج٤ ص٢٤٠ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص٥٣٨ والإصابة ج٥ ص٤٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٧٠٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥، والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٤، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٣، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٠ وراجع: مجمع الزوائد ج٧ ص١٠١ والمعجم الكبير ج٢٢ ص١٣٦ وتفسير الميزان ج٤ ص٣٨١ وزاد المسير ج٦ ص٢٤ وقاموس الرجال ج١٠ =

فقال له «صلى الله عليه وآله»: غيب عني وجهك[1].

١٦ـ هبيرة بن أبي وهب:

زوج أم هاني يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أهدر أيضاً دمه[2].

١٧ـ سارة:

مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت مغنية

= ص٢٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٤٠٥ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٢٥٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٤٠٠.

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٣، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤ وشرح الأخبار ج١ ص٢٦٩ و ج١٠ ص١١١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٩٨ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٨٦ والآحاد والمثاني ج١ ص٣٦٢ والمعجم الكبير ج٣ ص١٤٨ والدرجات الرفيعة ص٦٨ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٢٦ والكامل ج٦ ص١١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٤٠٥ و ٤٠٧ و ٤٠٩ و ٤١١ وسير أعلام النبلاء ج١ ص١٧٦ والأعلام ج٨ ص١١١ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١ وإمتاع الأسماع ج١ ص٤٠٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٣١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٥٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٧ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٢١٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٥٣٨ وشرح إحقاق الحق ج٧ ص٤١٦.

(٢) شرح معاني الآثار ج٣ ص٣٣١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٧٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٥.

نواحة بمكة[1]، وكانت قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل الفتح، وطلبت منه الصلة وشكت الحاجة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما كان في غنائك ما يغنيك»؟

فقالت: إن قريشاً منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء، فوصلها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأوقر لها بعيراً طعاماً، فرجعت إلى قريش.

وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتغني به. وهي التي وجد معها كتاب حاطب ابن أبي بلتعة.

وقالوا: استؤمن لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأمنها، فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب، أو إلى خلافة أبي بكر[2].

وقال الواقدي: «أمر بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح أن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ وقرب الإسناد ص٦١ والإصابة ج٨ ص٣٩٨ والبحار ج٢١ ص١١١ وفيه: قرسا وأم سارة، وكانتا قينتين تزنيان وتغنيان بهجاء النبي «صلى الله عليه وآله» وتحضضان يوم أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥، والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ و ٨١ و ٩٣، و (ط دار المعرفة) ص٢٢ وراجع: البحار ج٢١ ص٩٣ و ٩٤ و ١١١ عن مجمع البيان ج٩ ص٢٦٩ و ٢٧٠، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٠، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤ و ٧٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٦ وفتح الباري ج٨ ص١٠ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٧٤ والدرر ص٢٢٠ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٥٣ وتفسير البغوي ج٤ ص٥٤٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٦.

تقتل، فقتلت يومئذ»[١].

١٨ـ أرنب مولاة ابن خطل.

١٩ـ فرتنى:

أو قرينا.

٢٠ـ قريبة:

ضد بعيدة. ويقال: هي أرنب السابقة.

وهما قينتان لابن خطل، كانتا تغنيان بهجاء النبي«صلى الله عليه وآله»، فاستؤمن لإحداهما ـ فأسلمت ـ وقتلت الأخرى، قتلها علي«عليه السلام»[٢].

وذكر عن ابن إسحاق: أن فرتنى هي التي أسلمت، وأن قريبة قتلت[٣].

٢١ـ أم سعد:

قتلت فيما ذكره ابن إسحاق.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص١٦.

(٢) البحار ج٢١ ص١٣١، والإرشاد ج١ ص١٣٦ والمستجاد من الإرشاد ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤: أما قريبة فقتلت مصلوبة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ و ٢٢٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٤ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٠ وفتح الباري ج٨ ص١٠ والإصابة ج٨ ص٢٧٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤٠ وإمتاع الأسماع ج١ ص٤٠٠.

ويحتمل ـ كما قال الحافظ ـ: أن تكون أرنب، وأم سعد القينتين.

واختلف في اسمهما باعتبار الكنية واللقب[1].

٢٢ ـ هند بنت عتبة:

وهي التي شقت عن كبد حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولاكت قلبه[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٦ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٥ وفتح الباري ج٨ ص١٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤ وافحتجاج ج١ ص٢٦٥ وسيرة ابن إسحاق ج٣ ص٣١٢ والبحار ج٢٠ ص٥٥ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٣ ونهج السعادة ج٣ ص١٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٦٠٧ وفتح الباري ج٧ ص٢٧٢ وعمدة القاري ج١٧ ص١٤٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٤٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٢ و ٢٣٧ وتفسير القمي ج١ ص١١٧ وعيون الأثر ج١ ص٢٢٤ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٣٧٨ والتفسير الصافي ج١ ص٣٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٠٧ والنزاع والتخاصم ص٣٨ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٣٨٦ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٢١٤ وتفسير الثعلبي ج٣ ص١٤٦ وتفسير القرطبي ج٤ ص١٨٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص١٦٦ والنصائح الكافية ص١١٢ وتقوية الإيمان ص٦٩ والأنوار العلوية ص١٨٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٦٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٠٤ والدرجات الرفيعة ص٦٧ وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٢ والثقات ج١ ص٢٣٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٤١ وشيخ المضيرة =

عن هند بنت عتبة، وهي تذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتقول: أنا عاديته كل العداوة، وفعلت يوم أحد ما فعلت من المثلة بعمه وأصحابه، وكلما سيّرت قريش مسيرة فأنا معها بنفسي أو معينة لقريش، حتى إن كنت لأعين كل من غزا إلى محمد، حتى تجردت من ثيابي، فرأيت في النوم ثلاث ليال ولاء بعد فتح مكة:

رأيت كأني في ظلمة لا أبصر سهلاً ولا جبلاً، وأرى تلك الظلمة انفرجت علي بضوء كأنه الشمس، وإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدعوني.

ثم رأيت في الليلة الثانية: كأني على طريق يدعوني، وإذا هبل عن يميني يدعوني، وإذا إساف عن شمالي يدعوني، وإذا برسول الله «صلى الله عليه وآله» بين يدي يقول: «هلمي إلى الطريق».

ثم رأيت في الليلة الثالثة: كأني واقفة على شفير جهنم، يريدون أن يدفعوني فيها، وإذا بهبل يقول: أدخلوها. فالتفت، فأنظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ورائي آخذ بثيابي، فتباعدت من شفير النار، فلا أرى النار، ففزعت[1].

فقلت: ما هذا؟ وقد تبين لي، فغدوت من ساعتي إلى صنم في بيت كنا

= أبو هريرة ص١٦٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٥٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢١٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٤ و ٢٥٥ عن الواقدي، وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٧١ ومسند عمر بن عبد العزيز ص١٨٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٧٠ ص١٧٧.

نجعل عليه منديلاً، فأخذت قدوماً، فجعلت أفلذه وأقول: طالما كنا منك في غرور، وأسلمت»[1].

وعن عبد الله بن الزبير: أن هنداً أتت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو بالأبطح، فأسلمت، وقالت: الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، لتمسني رحمتك يا محمد، إني امرأة مؤمنة بالله، مصدقة به.

ثم كشفت عن نقابها، فقالت: أنا هند بنت عتبة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مرحباً بك».

فقالت: يا رسول الله، والله، ما كان على وجه الأرض من أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من خبائك، ولقد أصبحت وما على الارض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من خبائك»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٥، والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٣ و (ط دار المعرفة) ص٥٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٩ ومسند عمر بن عبد العزيز ص١٨٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٧٠ ص١٨٤ والأعلام ج٨ ص٩٨ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٦. وراجع ص٩٤، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٠ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٠٠ وعن البخاري ج٧ ص١٧٥ (٣٨٢٥) و (ط دار الفكر) ج٧ ص٢٢٠ وج٨ ص١٠٩ وصحيح مسلم ج٥ ص١٣٠ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٦٦ وج١٠ ص٢٧٠ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٩ وفتح الباري ج٩ ص٤٤٤ وعمدة القاري ج٢٣ ص١٧٣ وج٢٤ ص٢٣٥ ومسند الشاميين ج٤ ص١٩١ وكتاب التوابين ص١٢٣ وتغليق التعليق ج٤ ص٨١ والطبقات الكبرى ج٢ ص٢٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٧٠ ص١٧٩ و ١٨٣ وتاريخ =

وعن أبي حصين الهذلي قال: لما أسلمت هند بنت عتبة، أرسلت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهدية ـ وهو بالأبطح ـ مع مولاة لها بجديين مرضوفين وقد[1]، فانتهت الجارية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ فدخلت عليه وهو «صلى الله عليه وآله»بين نسائه، أم سلمة وميمونة، ونساء من بني عبد المطلب ـ فقالت: إن مولاتي أرسلت إليك هذه الهدية، وهي تعتذر إليك، وتقول: إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بارك الله لكم في غنمكم، وأكثر والدتها».

وكانت المولاة تقول: لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتها ما لم نكن نرى قبل ولا قريباً، فتقول هند: هذا بدعاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبركته.

ثم تقول: لقد كنت أرى في النوم: أني في الشمس أبداً قائمة، والظل مني قريب لا أقدر عليه، فلما دنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأيت كأني دخلت الظل[2].

= الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٠٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٥ وج٧ ص٦٠ وج٨ ص١٣٧ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص١٦٣ و ٣٨٩ و ٣٩٠ والسيرة النبوة لابن كثير ج٣ ص٦٠٤.

(١) المرضوف: الذي يشوى على الرضف، وهو الحجارة المحماة بالنار. والقدّ: جلد السخلة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٥، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٨ و ٨٦٩، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٩٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٧٠ ص١٨٤ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٢٨٣.

تعقيب غير ضروري:

ونحسب: أن من غير الضروري لفت نظر القارئ إلى هذه التلمقات الباردة، والخيالات الركيكة التي أتحفتنا بها هند بنت عتبة، سعياً منها للسخرية بعقول الناس، وإقناعهم عن طريق بهرجة الكلام تارة، والإستناد إلى أضغاث الأحلام، وما تنسجه الأوهام، بزعم: أنه منام أخرى، لإقناعهم بأنها: قد أخلصت الولاء لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنها صادقة فيما تنمقه من ثناء عليه، وما تزوقه من تزلفات له.

واللافت هنا: أن رواة هذه الأخبار عنها هم: الأمويون تارة. والزبيريون أخرى. ومن يحب هؤلاء ويواليهم، ثالثة.

فاقرأ واعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً.

وحسب هند: أنها حين بايع النبي «صلى الله عليه وآله» النساء كانت لا تزال تخشى من أن يعرفها النبي «صلى الله عليه وآله»، فيطالبها، أو يؤاخذها بما فعلته بحمزة..

وقد أطلقت في تلك البيعة تعريضات قارصة، وعبارات جارحة، تتضمن الاتهام له، بل والسخرية به «صلى الله عليه وآله»، حسبما أشرنا إليه في ذلك المورد، وقد تغاضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك كله، رغم أنه كان قد اهدر دمها، ثم عفا عنها.

هند.. وأموال زوجها البخيل:

عن عائشة: أن هنداً بنت عتبة يوم الفتح، قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل مسِّيك، فهل علي من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟

فقال لها: «لا حرج عليك أن تطعميهم بالمعروف»[١].

وفي نص أخر: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت من ماله وهو لا يعلم.

قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٣١ وج٥ ص٢٥٨ عن البخاري، و مسلم. وأشار في هامشه إلى: البخاري ج٩ ص٥٠٧ ح٣٦٤ ومسلم ج٣ ص١٣٣٨ وج٧ ص١٧١٤، وراجع: السيرة الحلبيه ج٣ ص ٩٧ و (ط دار المعرفة) ص٤٧ وسبل السلام ج٣ ص٢١٩ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٣ ص١٠٢ وج٨ ص١٠٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٦٧ وفتح الباري ج٩ ص٤٤٥ وعمدة القاري ج١٣ ص٧ وج٢٤ ص٢٣٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٦١ ومسند الشاميين ج٤ ص١٩١ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٣ ص١٣٦ و ٣٩٠ .

(٢) السيرة الحلبيه ج٣ ص ٩٧ و (ط دار المعرفة) ص٤٧ الخلاف الشيخ الطوسي ج٤ ص١٦٠ وج٦ ص٣٥٥ والمبسوط للشيخ الطوسي ج٦ ص٣ وجامع الخلاف والوفاق ص٣٨١ ورسائل الشهيد الثاني (ط ق) ص٣٠٠ وكفاية الأحكام للسبزواري ج١ ص٤٣٧ كشف اللثام (ط ج) ج٧ ص٥٩٣ وكشف اللثام (ط ج) ج١٠ ص٥٨٦ و (ط ق) ج٢ ص١١٤ و ٤٢٢ والحدائق الناضرة ج١٨ ص١٦١ ورياض المسائل ج١٣ ص١٦٦ و ١٨١ وجواهر الكلام ج٣١ ص٣٠٢ وج٤١ ص٤٩٢ وبلغة الفقيه للسيد محمد بحر العلوم ج٣ ص٢٨٣ والعروة الوثقى للسيد اليزدي ج٦ ص٤٧٨ وكتاب الأم للشافعي ج٥ ص٩٣ و ٩٤ و ١٠٨ و ١١٤ ومختصر المزني ص٢٣٠ والمجموع للنووي ج١٨ ص٢٩٤ و ٣٠٠ وج٢٠ ص٢٠٤ والمبسوط للسرخسي ج١٧ ص٣٩ وحاشية رد المحتار لابن عابـدين ج٦ =

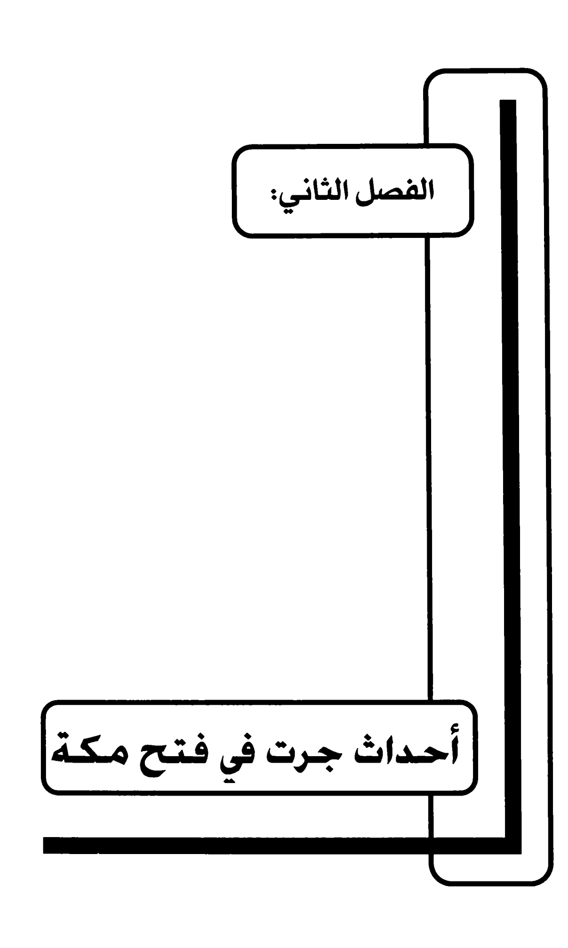
ونقول:

= ص٧٣٠ والمغني لابن قدامه ج٩ ص٢٢٩ و ٢٣٩ وج١١ ص٤٠٠ و ص٤٨٥ والشرح الكبير لابن قدامه ج٩ ص٢٢٩ و ٢٧٠ وج١١ ص٤٢٤ و ٤٥٦ و ٤٦٣ و ٤٦٤ وكشاف القناع للبهوتي ص٥٦٣ وج٦ ص٤٤٩ والمحلى لابن حزم ج١٠ ص٩٢ وج١١ ص٣٤٩ وجواهر العقود للأسيوطي ج٢ ص١٧٠ ونيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص١٣١ وفقه السنة ج٢ ص١٧٠ و ١٧٤ و ٤١٢ والقواعد الفقهية للبجنوردي ج٣ ص٩٥ والبحار الأنوار ج٧٢ ص٢٣٢ وكتاب المسند للشافعي ص٢٦٦ و ٢٨٨ ومسند أحمد ج٦ ص٣٩ و ٥٠ و ٢٠٦ وسنن الدارمي ج٢ ص١٥٩ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٦ ص١٩٣ وج٨ ص١١٦ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٧٦٩ وسنن النسائي ج٨ ص٢٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٦٦ و ٤٧٧ وج١٠ ص٢٧٠ وفتح الباري ج٩ ص٤٤٥ و ٤٤٦ وعمدة القاري العيني ج٢١ ص٢١ وج٢٤ ص٢٥٥ ومسند الحميدي ج١ ص١١٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص٢٤٤ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٢٢٤ والسنن الكبرى النسائي ج٥ ص٣٧٨ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٩٨ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٥٦ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٦٨ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٦ ص١٠١ و ١١٦ وج٧ ص٣٦٩ و ٤٨٢ ورياض الصالحين للنووي ص٦٠٣ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج٢ ص٢٢٥ ونصب الراية للزيلعي ج٣ ص٥٥٦ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٧١ وتفسير القرطبي ج٣ ص١٦٣ والتسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبي ج٤ ص١١٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٤٧١ وج٧٠ ص١٦٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٢٩٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٧ وجامع السعادات للنراقي ج٢ ص٢٣٩.

لا ندري إن كانت هند التي تضرب أبا سفيان برجلها، حين عاد من المدينة، وتطلب من قريش: أن تتخذ منه موقفاً سلبياً، وتستخدم عبارات قاسية في حديثها عنه، وتحريضها عليه!!

نعم.. لا ندري إن كانت تهتم لمعرفة مشروعية أخذها من ماله، ما يسد خلتها هي والعيال.. أم أنها تعبث، وتتماجن، وتسخر!!

فإن من الواضح: أن الإجابة على السؤال الذي طرحته بديهية لدى أجهل الناس، وأشدهم سذاجة، إذ أي إنسان يجهل: أنه يجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها البخيل لتطعم أولادها، مع العلم: بأن مسؤولية أطفالهم تقع على عاتق نفس ذلك الزوج البخيل!!.



الفصل الثاني:

أحداث جرت في فتح مكة

الفصل الثالث

[illegible]

لا تحدوا النظر إلى سهيل:

عن سهيل بن عمرو قال: لما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة وظهر، اقتحمت بيتي، وأغلقت بابي عليّ، وأرسلت إلى ابني عبد الله: أن اطلب لي جواراً من محمد، فإني لا آمن أن أقتل.

(ثم صار يتذكر أفعاله السيئة تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: في بدر وأحد والحديبيّة).

فذهب عبد الله إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله!! أبي تؤمنه؟

قال: «نعم، هو آمن بأمان الله فليظهر».

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمن حوله: «من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد إليه النظر، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضِعُ فيه أنه لم يكن بنافع له».

فخرج ابنه عبد الله إلى أبيه، فأخبره بما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال سهيل: كان والله براً صغيراً، براً كبيراً.

فكان سهيل يقبل ويدبر آمناً. وخرج إلى حنين مع رسول الله «صلى الله

عليه وآله» وهو على شركه حتى أسلم بالجِعْرَّانَة[1].

ونقول:

إن علينا أن نأخذ بنظر الإعتبار أمرين هما:

١ـ سبب تعظيم سهيل بن عمر!!:

إنهم قد عظموا سهيل بن عمرو ما ليس فيه، وأطروه بما لا يستحقه، ولعل سبب هذا الكرم منهم عليه هو أنه حين ندم الأنصار على بيعتهم لأبي بكر، هتفوا باسم علي «عليه السلام»، فقام سهل بن عمرو، فقال:

«يا معشر قريش، إن هؤلاء القوم قد سماهم الله الأنصار، وأثنى عليهم في القرآن، فلهم بذلك حظ عظيم، وشأن غالب، وقد دعوا إلى أنفسهم وإلى علي بن أبي طالب، وعلي في بيته لو شاء لردهم، فادعوهم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته، فإن أجابوكم وإلا قاتلوهم، فوالله إنى لأرجو الله أن ينصركم عليهم، كما نصرتم بهم».

وقد رد عليهم الأنصار على لسان ثابت بن قيس، حيث قال: «يا معشر الأنصار، إنما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش، فأما إذا كان من أهل الدنيا، لاسيما من أقوام كلهم موتور، فلا يكبرن عليكم، إنما

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٩ و ٢٥٠ عن الواقدي، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٢ و (ط دار المعرفة) ص٦٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٤٧ و ٨٤٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٨١ وشرح البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٨٤ وكنز العمال ج١٠ ص٥٠٣ والطبقات الكبرى ج٧ ص٤٠٤ وتهذيب الأحكام ج٤ ص٢٣٣ والوافي بالوفيات ج١٦ ص١٨ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٣٨٧.

الرأي والقول مع الأخيار المهاجرين، فإن تكلمت رجال قريش، [و] الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء، فعند ذلك قولوا ما أحببتم، وإلا فأمسكوا»[١].

٢ـ ليس هذا مدحاً لسهيل بن عمرو:

وأما نهي النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: عن أن يُحِدُّوا النظر لسهيل بن عمرو، فهو وإن كان هناك من يريد أن يعتبره مدحاً لهذا الرجل. ولكن اعتباره قدحاً لعله هو الأقرب والأصوب.. إذا لوحظ فيه أمران:

أحدهما: أن هذا الرجل وإن كان ذا عقل وشرف، ولكنه لا ينقاد لعقله، ولا يختار ما يحفظ له شرفه ومكانته، بل هو يختار ما يتوافق مع نزواته وأهوائه، وحميته الجاهلية، فإذا وجد الناس يحدون النظر إليه، فإنه قد ينكص على عقبيه، ويتخذ سبيل المكابرة، والتحدي والجحود..

ثانيهما: إن من يكون ذا عقل راجح، وذا شرف، فإنه يستخدم عقله لحفظ شرفه، فإذا استخدم عقله لإذهاب هذا الشرف، فمعنى ذلك: أنه يفقد عنصراً ثالثاً كان بحاجة إليه، ألا وهو عنصر الأخلاق الإنسانية الفاضلة، التي تبعده عن الإستكبار وعن الجحود، وعن العصبيات القبلية والجاهلية.. وأن يكون حكيماً، ومنصفاً، ومتواضعاً. فإن ذلك يسهل عليه قبول الحق، ورفض الباطل.. ويدعوه إلى أن لا يتأخر في الدخول إلى

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٢٣ و ٢٤ ومواقف الشيعة ج٣ ص١٦٢.

الإسلام. ولكن سهيلاً بسبب فقده لهذا العنصر الهام قد كابر، وجحد، وتعامى عن الآيات والمعجزات طيلة هذه السنين، بل إنه حتى حين أظهر الإسلام، فإنما انصاع إلى ذلك بداعي الخوف، وليس استجابة لما يحكم به عقله، وتقضي به فطرته..

ولأجل ذلك كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتألفه على الإسلام كغيره من المؤلفة قلوبهم، ليقنعه: بأن الإسلام لا يريد له ضراً، ولا يبغي له شراً، بل هو يريد: أن يسوق إليه المنافع، ويحفظ له مصالحه في دائرة الحق، والصدق، والإستقامة، والعدل..

ومن الواضح: أن نبذ أحكام العقل، والإنقياد لسلطان الهوى والإصرار على الجحود بسبب فقد الخلق الإنساني لا يمكن أن يعد فضيلة للإنسان العادي، فكيف بمن كان ذا عقل وشرف؟!

كما أن من يكابر ويعاند الحق، فإنما يعاند عقله، ويتناقض مع ذاته..

والنتيجة التي ننتهي إليها هي: أن العقل والشرف لا يفيدان، إذا لم يملك الإنسان خلقاً إنسانياً رفيعاً يدعوه للإلتزام بأحكام عقله، وبمقتضيات فطرته..

وإبليس لم يكن ينقصه عقل، ولا معرفة، ولا مكانة، فهو يعبد الله بين الملائكة، ولكنه كان ينقصه الخلق الرفيع، فإن رذالة أخلاقه هي التي جعلته في حظيرته الإبليسية الشيطانية، لأنها عطلت عقله، وحجبته عن ممارسة دوره.

إسلام ابني أبي لهب:

عن ابن عباس، عن أبيه قال: لما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة في الفتح، قال لي: «أين ابنا أخيك عتبة ومعتب ابني أبي لهب. لا أراهما»؟

قلت: تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش.

قال: «ائتني بهما».

فركبت إليهما بِعُرَنَة، فأتيت بهما، فدعاهما إلى الإسلام، فأسلما وبايعا.

ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخذ بأيديهما، وانطلق بهما حتى أتى الملتزم، فدعا ساعة ثم انصرف، والسرور يُرى في وجهه.

فقلت: يا رسول الله، سرك الله، إني أرى السرور في وجهك، فقال: «إني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي»[1].

ونقول:

أولاً: قال العسقلاني عن إسناد هذا الحديث: إنه ضعيف.

ثانياً: إن عتبة بن أبي لهب قد افترسه الأسد قبل الهجرة، بسبب دعاء النبي «صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٠، عن ابن سعد، والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٧ و (ط دار المعرفة) ص٤٨ والإصابة ج٢ ص٤٥٥ و ٤٥٦ وج٣ ص٤٤٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٣٦٥ وج٦ ص١٣٨وكنز العمال ج١١ ص٧٣٧ والطبقات الكبرى ج٤ ص٦٠ وج٢٢ ص٢٠٢ وج٦٢ ص٨١ و ٢٥٩ والمنتخب من ذيل المذيل ص٣٢.

(٢) البحار ج١٦ ص٣٠٩ وج١٧ ص٤١٢ وج١٨ ص٥٧ و ٥٨ و ٢٤١ وج٦٢ =

ثالثاً: رووا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دخل يوم الفتح بين عتبة

= ص٨١ والغدير ج١ ص٢٦١ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٧٨ وج٣ ص٣٧٧ والكشاف للزمخشري ج٤ ص٢٢ وشرح شواهد الكشاف ص٤٥٣ وسفينة البحار ج٦ ص١٣٦ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٧١ وتفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٥٣٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٦٩ والدر المنثور ج٦ ص١٢١ والإصابة ج٦ ص٤١٣ والدرجات الرفيعة ص١٩٢ والمعارف ص١٢٥ والإستغاثة ج١ ص٦٥ وعيون الأثر ج٢ ص٣٧٣ ومستند الشيعة ج١٥ ص٣٠٤ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢١٦ ومواهب الجليل ج١ ص٢٥٨ وسبل السلام ج٢ ص١٩٥ ونيل الأوطار ج٥ ص٩٨ وذخائر العقبى ص١٦٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢١١ وفتح الباري ج٤ ص٣٤ وعمدة القاري ج١٠ ص٨١ والذرية الطاهر النبوية ص٨٥ والخرائج والجرائح ج١ ص٥٦ و ٥٧ وج٢ ص٥٢١ و ٥٢٦ وتصحيفات المحدثين ج٢ ص٧٠٨ والإستذكار ج٤ ص١٥٢ وكنز العمال ج١٢ ص٤٣٩ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٢٨٥ وج٣ ص٣٠ والفتح السماوي ج٢ ص٥٤٨ وفيض القدير ج٣ ص٦٠٤ و ٦٠٧ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص٢٨٧ ونور الثقلين ج٥ ص١٤٦ وتفسير السمعاني ج٦ ص١٥٨ وتفسير النسفي ج١ ص٢٧٠ وتفسير الرازي ج١١ ص١٤٣ وج٣٢ ص١٦٧ وتفسير البحر المحيط ج٣ ص٤٤٤ وتفسير ابن السعود ج٣ ص٨ و ٩ ص٢١٠ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٦٣ وج١٥ ص٢٢٥ وج٣٠ ص٢٦٢ وأضواء البيان ج١ ص٤٣٦ وأسد الغابة ج٤ ص٣٦٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٤٨١ وإعلام الورى ج١ ص٢٧٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٤٦٨ والخصائص الفاطمية ج١ ص٤٥٧ ومعجم ما استعجم ج٢ ص٦٩٦ وشرح المقاصد في علم الكلام ج٢ ص١٨٨ ودلائل النبوة ج٢ ص٣٣٨ و ٣٣٩ بثلاثة طرق، وراجع: إثبات الهداة ج٢ ص١٢٢.

ومعتب ابني أبي لهب، يقول للناس: هذان أخواي، وابنا عمي ـ فرحاً بإسلامهما ـ استوهتبهما من الله، فوهبهما لي[1].

قال العسقلاني: ويجمع: بأنه دخل المسجد بينهما، بعد أن أحضرهما العباس[2].

غير أن ما قاله العسقلاني لا يحل مشكلة التناقض بين حديث دخوله «صلى الله عليه وآله» المسجد، وحديث مجيئه «صلى الله عليه وآله» للملتزم، وبين الحديث المتقدم، لأن حديث المجيء للملتزم يدل على: أن استيهابهما من الله قد حصل بعد دخوله المسجد، وهما معه..

وهذا الحديث الأخير يدل على: أن استيهابهما من الله قد حصل قبل دخوله المسجد..

على أن ثمة أسئلة أخرى تبقى بحاجة إلى جواب، مثل السؤال عن السبب في هذا الإهتمام بهذين الرجلين دون سواهما، حيث لم يذهب «صلى الله عليه وآله» بأحد إلى الملتزم ليستوهبه من ربه؟!

وسؤال آخر، وهو: ما معنى هذا الإستيهاب؟!

فإن كان بمعنى: أن يخرجهما الله من الشرك إلى الإسلام، وغفران ذنوبهما التي ارتكباها في زمان شركهما، فيرد عليه:

أن المفروض هو: أنهما قد أسلما قبل هذا الإستيهاب.. حسب نص الرواية عن العباس.

---

(١) الإصابة ج٣ ص٤٤٣ عن الطبراني.

(٢) الإصابة ج٣ ص٤٤٣.

وإن كان بمعنى: أن يغفر الله تعالى لهما ذنوبها التي يرتكبانها بعد إسلامهما أيضاً، ثم يدخلهما الله تعالى الجنة.. وإن كانا من أهل النار، لولا هذا الإستيهاب.. فيرد عليه:

أن هذا غير مقبول ولا معقول؛ إذ لماذا لا يستوهب غيرهما من سائر أهل النار أيضاً؟!

كما أن ذلك يدخل في دائرة الإغراء بالمعاصي، أو على الأقل يدعو إلى عدم الإهتمام بتجنبها!!

وفي جميع الأحوال، لا بد من وجود أمر، أو ميزة في هذين الرجلين، يستحقان هذا العطاء العظيم لأجلها..

ولابد أن تكون خصوصية غير عادية، وأن تكون ظاهرة فيهما بحيث يعرفها فيهما كل أحد، وأن يدرك الناس كلهم أنها توجب هذا التكريم والتعظيم..

وبدون ذلك يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرَّض الناس لخطر الكفر والخروج من الدين، فيما لو ظنوا فيه «صلى الله عليه وآله»: أنه لا يقيم العدل، ولا يلتزم بمقتضيات الفطرة، وأحكام العقل.

ونحن لا نعرف، وكذلك لا نظن: أن أحداً من البشر يعرف في أبناء أبي لهب أية خصوصية تستحق الذكر، فضلاً عن أن تكون من موجبات هذا العطاء الهائل، الذي لم يفز به غيرهما، رغم أنهما بقيا على عنادهما وعلى جحودهما وعلى حربهما له ولدينه كل تلك السنين..

السائب شريك الرسول ﷺ في التجارة:

عن مجاهد عن السائب: أنه كان شارك رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح أتاه، فقال:

«مرحبا بأخي وشريكي، كان لا يداري ولا يماري، يا سائب!! قد كنت تعمل أعمالاً في الجاهلية لا تتقبل منك وهي اليوم تتقبل منك» وكان ذا سلف وخلة[1].

وعن السائب بن عبد الله، قال: جيء بي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم فتح مكة، فجعل عثمان وغيره يثنون عليّ، فقال رسول الله: «لا تعلموني به، كان صاحبي»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٩ وج٩ ص١٦ عن أحمد، وابن أبي شيبة، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٢ و (ط دار المعرفة) ص٥٥ وج١ ص٢٣٦ وج٢ ص٤٥١ والإستيعاب ج٣ ص١٢٨٨ وراجع: الإصابة ج٢ ص١٠عن أبي داود، والنسائي، عن مجاهد، عن قائد السائب. وراجع: تلخيص الحبير ج١٠ ص٤٠٤ ومسند أحمد ج٣ ص٤٢٥ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٦١ ومجمع الزوائد ج١ ص٩٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٤٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٨٦ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٤٥ والمعجم الكبير ج٧ ص١٣٩ وتخريج الأحاديث الآثار ج٣ ص٢٩ ونصب الراية ج٤ ص٣٨٩ والوافي بالوفيات ج٢٤ ص٢١١ وإمتاع الأسماع ج١ ص١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٧٧ وج٥ ص٢٤٩ عن أحمد، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٢ و (ط دار المعرفة) ص٥٥ والإصابة ج٢ ص١٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٣ ص١٩ ومسند أحمد ج٣ ص٤٢٥ ومجمع الزوائد ج٨ ص١٩٠ وأسد الغابة ج٢ ص٢٥٤.

ونقول:

١ ـ قد اختلفوا في اسم المقصود هنا، هل هو:

السائب بن عبد الله.

أو عبد الله بن السائب.

أو السائب بن عويمر.

أو قيس بن السائب بن عويمر، حسبما روي عنه؟[1].

وقول أبو عمر: وهذا أصح ما قيل[2]، يحتاج إلى ما يعضد صحته، وهو غير موجود.

بل الموجود هو: روايات ضعيفة لا تقوم بها حجة، ولا يثبت بها شيء، فإن ما يرويه السائب لنفسه، يبقى موضع التهمة: بأنه يجر النار إلى قرصه، وما يرويه مجاهد: هو رواية من لم يشهد تلك الأحوال، ولم يكن قد ولد ولا وجد إلا في عالم الخيال.

٢ ـ ما معنى قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجل لم يسلم بعد: مرحباً بأخي؟! لمجرد أنه كان قد شاركه في شراء سلعة أو بيعها؟!

---

(١) الإصابة ج٣ ص٢٤٨ عن البغوي، والحسن بن سفيان، وأبي بشير الدولابي، لكنه قال: أبو قيس. والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٢٠ و ٢٢١ و (ط دار الجيل) ص١٢٨٨ و ١٢٨٩ والأقوال المشار إليها في السيرة الحلبية ج٣ ص ١٠٢ و (ط دار المعرفة) ص٥٥.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٢ و (ط دار المعرفة) ص٥٥ وراجع: الإصابة ج٣ ص٢٤٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج٧ ص١٤٨ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٢١ و (ط دار الجيل) ص١٢٨٩.

٣ ـ إن أبا عمر قد روى الرواية عن قيس بن السائب هكذا: روي عنه أنه قال: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» شريكي في الجاهلية، فكان خير شريك، لا يداري، ولا يماري. ويروى: لا يشاري ولا يماري»[1].

وهذا معناه: أن المدح متوجه من قيس بن السائب لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي مدح شريكه.

٤ ـ عن عبيد الله بن السائب، قال: أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة لأبايعه، فقلت: أتعرفني؟

قال: «نعم، ألم تكن شريكاً لي مرة»؟[2].

فلو صحت هذه الرواية، فهي تدل على: أن الشراكة قد حدثت مرة في ذلك العمر الطويل، كما لو أنهما اشتريا جملاً أو شاةً بمال لهما معاً، ثم باعاه، ثم اقتسما ثمنه. وهذا لا يعطي أي امتياز يستحق التنويه به، سوى أن الشريك قد ملك بعض المال، واستطاع أن يتوافق مع شخص آخر على معاملة لهما في السوق..

٥ ـ لو صح أنه كان للنبي «صلى الله عليه وآله» أخوة وصحبة وشراكة

---

(١) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٢٠ و ٢٢١ والإصابة ج٣ ص٢٤٨ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص٤٦٨ ولسان العرب ج١٤ ص٤٢٩ وج١٥ ص٢٧٨ وتاج العروس ج١ ص١٥٢ وج١٩ ص٥٧١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٢٢ وأسد الغابة ج٢ ص٢٥٣ والتاريخ الكبير ج٥ ص٩ وتفسير الرازي ج٢٤ ص٢٤٢.

(٢) الإصابة ج٢ ص٣١٤ عن البغوي و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٩٠.

مع أحد لظهر ذلك للناس، ولكان قد شاع وذاع، فلماذا لا نجد أية إشارة لهذة الأخوة، والشراكة في أي مناسبة أخرى، سوى هذه المناسبة؟

ولماذا عرف عثمان وسواه هذا الرجل، وحسبوا أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعرفه، حتى احتاجوا إلى مدحه والثناء عليه عنده، فإن الصحبة والشراكة من شأنها أن تظهرا؟!

لأنه إنما يشاركه في المعاملات الظاهرة مع الناس، وفي سوقهم، وكما أن صحبته إنما تعني: أن يكونا معاً في كثير من الأوقات، فلماذا ظن الناس: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعرفه؟!

ألم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» مكياً مثلهم، يعرف ما ومن يعرفون، وينكر ما ومن ينكرون؟!

وإذا صاحب أحداً وآخاه وشاركه، فإن الناس سوف يرون ذلك، ويطلعون عليه؟!.

الخطبة الثانية للنبي ﷺ في مكة:

قالوا: خرج غزي من هذيل في الجاهلية، وفيهم جنيدب بن الأدلع الهذلي، يريدون حي «أحمر باساً» من أسلم. وكان «أحمر باساً» رجلاً من أسلم شجاعاً لا يرام، وكان لا ينام في حيّه، بل ينام خارجاً من حاضره.

وكان إذا نام غط غطيطاً منكراً لا يخفى مكانه، وكان الحاضر إذا أتاهم فزع، صرخوا: يا «أحمر باساً».

فيثور مثل الأسد، فلما جاءهم ذلك الغزي من هذيل، قال لهم جنيدب بن الأدلع: إن كان أحمر باساً قد قيَّل في الحاضر فليس إليهم سبيل، وإن له

غطيطاً لا يخفى، فدعوني أتسمع، فتسمع الحس فسمعه، فأتاه حتى وجده نائماً، فقتله، وضع السيف على صدره، ثم اتكأ عليه فقتله.

ثم حملوا على الحيّ، فصاح الحيّ: يا أحمر باساً، فلا شيء لأحمر باساً، قد قتل.

فنالوا من الحي حاجتهم، ثم انصرفوا، وتشاغل الناس بالإسلام.

فلما كان بعد الفتح بيوم دخل جنيدب بن الأدلع الهذلي مكة يرتاد وينظر، والناس آمنون، فرآه جندب بن الأعجم الأسلمي، فقال: جنيدب بن الأدلع: قاتل «أحمر باساً»؟

قال: نعم.. فمه؟

فخرج جندب يستجيش عليه حيّه، فكان أول من لقي خراش بن أمية الكعبي فأخبره.

فاشتمل خراش على السيف، ثم أقبل إليه والناس حوله، وهو يحدثهم عن قتل «أحمر باساً»، فبينما هم مجتمعون عليه، إذ أقبل خراش بن أمية، فقال: هكذا عن الرجل.

فوالله ما ظن الناس إلا أنه يفرج الناس عنه لينصرفوا، فانفرجوا، فحمل عليه خراش بن أمية بالسيف فطعنه به في بطنه، وابن الأدلع مستند إلى جدار من جدر مكة، فجعلت حشوته تسيل من بطنه، وإن عينيه لتزنّقان في رأسه، وهو يقول: فعلتموها يا معشر خزاعة؟

فانجعف، فوقع فمات (وهو مشرك).

فسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، فقال: «يا معشر خزاعة»، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر القتل، لقد قتلتم قتيلاً لأدِيَنّه، إن خراشاً

لقتّال ـ يعيبه بذلك ـ لو كنت قاتلاً مؤمناً بكافر لقتلت خراشاً[1].

وعند الواقدي: ثم أمر «صلى الله عليه وآله» خزاعة يخرجون ديته، فكانت خزاعة أخرجت ديته.

قال عمران بن الحصين: فكأني أنظر إلى غنم عفر جاءت بها بنو مدلج في العقل[2].

وعن ابن المسيب: أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بني كعب فأعطوا القتيل ماءة من الأبل[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ عن الواقدي، وابن أبي شيبة، وفي هامشه عن: معاني الآثار ج٣ ص٣٢٧، وعن فتح الباري ج١٢ ص١٨١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ وتاريخ الخميس ج٣ ص٨٩ و ٩٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٣ و (ط دار المعرفة) ص٥٧ ونصب الراية ج٦ ص٣٢٢ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٢٦٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٩٦ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢ والمعجم الكبير ج٢٢ ص١٨٦ وكنز العمال ج١٠ ص٥٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٧٩.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٤٥.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٤٦ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢ وفتح الباري ج٤ ص٣٦ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٣٢٧ والمعجم الكبير ج٢٢ ص١٨٦ والثقات ج٢ ص٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٧٩ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧٢.

وعن ابن شريح، خويلد بن عمرو العدوي، عن ابن عباس، وابن منيع، وابن أبي عمرو. وعن ابن عمر، وعن أبي هريرة، وعن الزهري، وغيرهم، قالوا: لما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه ـ وهو مشرك ـ فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطيباً بعد الظهر، وأسند ظهره إلى الكعبة[1].

وعن أبي هريرة: أنه «صلى الله عليه وآله» ركب راحلته، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

«أيها الناس إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، ويوم خلق الشمس والقمر، ووضع هذين الجبلين، ولم يحرمها الناس، فهي حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر: أن يسفك فيها دماً، ولا يعضد فيها شجراً، لم تحل لأحد كان قبلي، ولم تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة، غضباً على أهلها. ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قاتل فيها، فقولوا له: إن الله تعالى قد أحلها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم يحلها لكم.

أيها الناس، إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول الجاهلية، «لا يحل أن يحمل السلاح بمكة».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٦، عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والبيهقي، وابن أبي شيبة، وابن إسحاق، والواقدي، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٢ و ١٠٣ و (ط دار المعرفة) ص٥٦.

يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد والله كثر إن نفع، فقد قتلتم قتيلاً لأَدِيَنَّه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاؤوا فديته كاملة، وإن شاؤوا فقتله.

ثم ودى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة. قال ابن هشام: مائة ناقة.

قال ابن هشام: وبلغني أنه أول قتيل وداه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقالوا: إن الرجل الذي قتلته خزاعة هو الأقرع الهذيلي من بني بكر(1).

ونقول: إننا نسجل هنا ما يلي:

أحلت لي ساعة من نهار:

وقد زعموا ـ كما تقدم ـ: أن «الساعة التي أحل للنبي «صلى الله عليه وآله» القتل فيها بمكة، هي: «من صبيحة يوم الفتح إلى العصر»(2).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧، عن ابن أبي شيبة، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٤٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ عن الإكتفاء، والمواهب اللدنية، وراجع: فتح الباري ج١٢ ص١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧١ و ٨٧٢ والإصابة ج١ ص٦١١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦٨، عن أحمد، والبيهقي، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٣ و (ط دار المعرفة) ص٥٦ وسبل السلام ج٤ ص٥٤ ونيل الأوطار ج٨ ص١٧٥ وفتح الباري ج٨ ص١٣ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٨٢.

وقد أشرنا إلى بعض الكلام حول هذا الأمر فلا داعي للإعادة.

دية القتيل المشرك:

وتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» ودى قتيل خزاعة ـ ولم يكن مسلماً ـ بمائة ناقة.

وأنه «صلى الله عليه وآله» قد حكم: أن من قتل قتيلاً فعليه مئة كاملة، وإن شاؤوا فقتله.

وظاهر الكلام: أنه «صلى الله عليه وآله» يتحدث حتى عما لو كان المقتول غير مسلم.

مع أن الصحيح الثابت هو: أن المسلم لا يقتل بغير المسلم.. بل يعطى: نصف الدية، ولا يعطى الدية كاملة.

ولعل الأقرب إلى الصحة والإعتبار هو ما ذكروه: من أن خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح كانت بسبب القتيل الذي قتلته خزاعة، وكان له عهد، فخطب النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: «لو قتلت مسلماً بكافر لقتلته به»[1].

وقال: «لا يقتل مؤمن بكافر»[2].

---

(١) المجموع للنووي ج١٨ ص٣٥٦ ونيل الأوطار ج٧ ص١٥٣ والغدير ج٨ ص١٧٢ وفتح الباري ج١٢ ص٢٣٢ والمعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص١١٠.

(٢) الخلاف الشيخ الطوسي ج٥ ص١٤٧ وتحرير الأحكام ج٥ ص٤٥٦ والينابيع الفقهية ج٤٠ ق١ ص١٢٣ وق٢ ص٦ وكتاب الأم للشافعي ج٦ ص٢٦ و ٤٠ و ٤٠ و ١١٣ وج٧ ص١٨٧ و ٢٧٥ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ ومختصر المزني =

= ص٢٣٧ والمجموع للنووي ج١٨ ص٣٥٦ و ٣٥٧ والمبسوط للسرخسي ج٢٦ ص١٣١ و ١٣٤ وبدائع الصنائع ج٧ ص٢٣٧ والجوهر النقي ج٨ ص٣٤ و ١٠٠ وتكملة حاشية رد المحتار لابن عابدين ج١ ص٩٩ والشرح الكبير لابن قدامه ج٩ ص٣٦١ والمحلى لابن حزم ج١٠ ص٣٤٩ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ والمحلى لابن حزم ج١١ ص٣٩ و ٣٣٨ و ٣٣٩ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج٢ ص٣٢٥ و ٣٢٦ ونيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ وفقه السنة ج٢ ص٥٢٨ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٢٤٨ والأمالي للشيخ الطوسي ص٢٦٣ وعوالي اللآلي ج١ ص٢٣٥ وج٣ ص٥٨٨ والبحار ج٩٣ ص٨١ وج٩٧ ص٣٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٢٠٧ والغدير ج٨ ص١٦٨ و ١٧٠ و ١٧٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٥ و ١٢٧ واختلاف الحديث للشافعي ص٥٦٥ و ٥٦٦ ومسند أحمد ج١ ص١١٩ و ١٢٢ وج٢ ص١٨٠ و ١٩٤ و ٢١١ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٨٨ وسنن أبي داود ج١ ص٦٢٥ وج٢ ص٣٦٨ و ٣٧٥ وسنن الترمذي الترمذي ج٢ ص٤٣٣ وسنن النسائي ج٨ ص٢٠ و ٢٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ١٠٠ و ١٩٤ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٩٢ وفتح الباري ج٤ ص٧٣ وج١٢ ص١٨٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ وعمدة القاري ج٢ ص١٦١ و ١٦٢ وعمدة القاري ج١٠ ص٢٣٣ وج٢٤ ص٦٦ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٥٥٧ وعون المعبود ج٧ ص٣٠٣ وج١٢ ص١٤٥ و ١٦٨ و ١٦٩ والمصنف ابن أبي شيبة الكوفي ج٦ ص٣٦٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٢١٧ و ٢١٨ و ٢٢٠ والسنن الكبرى النسائي ج٥ ص٢٠٨ و ٢٠٩ ومسند أبي يعلى ج١ ص٤٢٤ و ٤٦٢ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٦٩ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٦ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ والمعجم الكبير ج٢٠ ص٢٠٦ وسنن الدارقطني ج٣ ص١٠٠ =

ولم يقل: إن أهل القتيل إن رضوا بالدية فبها، وإن لم يرضوا بها فلهم

= ومعرفة علوم الحديث ص١٣٩ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٦ ص١٤٩ و ١٥٥ و ٢٣٢ و ٢٣٦ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ والإستذكار لابن عبد البر ج٥ ص٣٦ وج٨ ص١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٧٧ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٢٣٤ والكافي لابن عبد البر ص٥٨٧ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج٢ ص٢٢٧ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج١ ص١٠٨ وج٢ ص٣٣٧ ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص٢٤٦ وج٦ ص٣٢٩ و ٣٣٠ والدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج٢ ص٢٦٢ وكنز العمال ج١ ص٩٢ و ٩٣ وج٤ ص٤٣٥ وج١١ ص٣٢٧ و ٣٣٦ وج١٤ ص و١٣٠ وج١٥ ص٦ و ٩٦ وج١٦ ص٧٠٩ وأحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعي ج١ ص٢٧٥ و ٢٨٤ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص٣٥٠ وتفسير الرازي ج١٩ ص١٤٦ والتسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص١٧٨ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٤٨ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٢٠٨ وعدة الأصول (ط ج) ج٢ ص٤٤٥ و (ط ق) ج٣ ص١١ ومعارج الأصول ص١٠٠ والمستصفى للغزالي ص٢٥٦ و ٣٢٥ والمحصول للرازي ج٣ ص١٣٦ و ١٣٨ وضعفاء العقيلي ج٢ ص٩٨ والكامل لابن عدي ج٥ ص٣٣٢ والكامل لابن عدي ج٧ ص١٩١ وتهذيب الكمال للمزي ج٢٦ ص٢٨ وتاريخ الإسلام الذهبي ج٢ ص٥٥٧ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٤ ص٤٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٠ وغريب الحديث لابن سلام ج٢ ص١٠٤ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٣ ص٣٢٥ ولسان العرب ج٣ ص ٣١٢ ومجمع البحرين الشيخ ج٣ ص٢٦٧ وتاج العروس ج٥ ص١٤٥ ونهج الحق وكشف الصدق ص٥٤٢ و ٥٤٣ وتدوين السنة الشريفة للجلالي ص٥٤.

أن يقتلوه. كما تزعم بعض الروايات.

ونوضح ذلك فيما يلي:

١ ـ إن النصوص الكثيرة صرحت: بأنه لا يقتل مسلم (أو مؤمن) بكافر[1]. ويشهد لهذا: نفس خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» التي نحن

---

(١) راجع: سنن ابن ماجة ج٢ ص٨٨٧ و ٨٨٨ والجامع الصحيح للترمذي ج٤ ص٧ و ١٨ ومسند أحمد ج١ ص٧٩ و ١١٩ و ١٢٢ وج٢ ص٢١١، وكتاب الأم ج٦ ص٣٣ و ٩٢ وج٧ ص٢٥٥ وسنن النسائي ج٨ ص٢٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ١٩٤ وعن صحيح البخاري ج٦ ص٢٥٣٤ ح ٦٥١٧ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص٦٥ و ١٦٥ و ١٦٩ والإعتبار للحازمي ص١٩٠ و ١٨٩ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٢١٠ وسنن أبي داود ج٤ ص١٨٠ و ١٨١ ونيل الأوطار ج٧ ص١٠ و ١٥٠ و ١٥٢و ١٥٣والديات لأبي عاصم ص٢٧ و ٥١ ومغني المحتاج ج٤ ص١٦ وحواشي الشيرواني ج٨ ص٤٠٠ وإعانة الطالبين ج٤ ص١٣٤ والمغني ج٩ ص٣٤١ و ٣٤٢ وج١٠ ص٣٠٧ والشرح الكبير ج٩ ص٣٦٠ و ٣٦١ وج١٠ ص٣٠٦ وكشف القناع ج٥ ص٦١٦ والمحلى ج١٠ ص٣٥٣ ونيل الأوطار ج٧ ص١٥٠ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ وعوالي اللآلي ج٢ ص١٥٨ والغدير ج٨ ص١٦٨ و ١٧١ و ١٧٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص١١٤ و ١٢٢ و ١٢٥ وكتاب المسند ص٣٤٤ ومسند أحمد ج٢ ص١٧٨ و ١٨٠ و ١٩٢ وسنن الدارمي ج٢ ص١٩٠ وصحيح البخاري ج١ ص٣٦ وج٤ ص٣٠ وج٨ ص٤٥ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٨٧ وسنن الترمذي ج٢ ص٤٣٢ وسنن النسائي ج٨ ص٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٤ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٩٣ وفتح الباري ج٤ ص٧٣ وج١٢ ص٢٣٢ وعمدة القاري ج٢ ص١٦١ و ١٦٢ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٥٥٧ والمصنف للصنعاني ج٩

بصدد الحديث عنها، فراجعها فيما تقدم.

٢ ـ قد صرحت النصوص الكثيرة أيضاً: بأن دية الكافر هي نصف دية المسلم[1].

ص٤٠٤ وج١٠ ص٩٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٣٦٣ ج٦ ص٣٦٣ و ٣٦٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٢٢٠ ومسند ابي يعلى ج١ ص٣٥١ وج٨ ص١٩٧ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٠١ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٩٢ و ١٩٦ والأحاديث الطوال ص١٥٠ والمعجم الأوسط ج٣ ص٨١ وسنن الدارقطني ج٣ ص٩٩ ومعرفة السنن والآثار ج٦ ص١٥١ وج٧ ص٣٨ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص١٥٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٨١ ونصب الراية ج٤ ص٢٤٦ وج٦ ص٣٢٩ والجامع الصغير ج٢ ص٧٥٨ وكنز العمال ج١ ص٩٨ و ٩٩ و ٣٧٥ وج٥ ص٨٤٧ وج١٥ ص٦ وفيض القدير ج٦ ص٥٨ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص١٧٣ وتفسير الثعلبي ج٢ ص٥٤ وأحكام القرآن لابن عربي ج٢ ص١٢٩ والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٢٤٧ وج٦ ص١٩١ وج٧ ص١٣٤ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢١٥ وج٢ ص٥٩ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩١ والأحكام لابن حزم ج٥ ص٦٤١ والأحكام للآمدي ج٢ ص٢٥٨ والطبقات الكبرى ج١ ص٤٨٦وسير أعلام النبلاء ج٨ ص٤١ وميزان الإعتدال ج٣ ص١٤٨ وتاريخ الإسلام ج٩ ص٣٩٠ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٩٧ و ٢٩٨ وإمتاع ألأسماع ج١ ص٣٩٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٣ وج٩ ص٢١٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٤٩ وغريب الحديث ج٢ ص١٠٢ و ١٠٦ و ١٠٧ والنهاية في غريب الحديث ج٣ ص٣٢٥ ولسان العرب ج٣ ص٣١٢.

(١) الديات لأبي عاصم ص٥١ وسنن النسائي ج٨ ص٤٥ والجامع الصحيح للترمذي ج٤ ص١٨ وأمالي الطوسي ص٢٦٣ والبحار ج٩٣ ص٨١ وج٩٧ =

وفي بعض النصوص عبر: بالمعاهد[1].

وفي بعضها عبر: بأهل الكتاب[2].

= ص٣٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٣٦١ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٦٤ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٦ والإستذكار ج٨ ص١١٧ وراجع: المجموع للنووي ج١٩ ص٥٢ والدراية في تخريج أحاديث الرواية ج٢ ص٢٧٤ ونيل الأوطار ج٧ ص٢٢١ و ٢٢٢ ومسند أحمد ج٢ ص١٨٠ وسنن الترمذي ج٢ ص٤٣٣ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٥٥٨ وسنن الدارقطني ج٣ ص١٠٢ والتمهيد ج١٧ ص٣٦٠ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ج٢ ص٢٤٦ ونصب الراية ج٦ ص٣٨٥ والجامع الصغير ج١ ص٦٥٢ وكنز العمال ج١٦ ص٧٠٩ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ص٣٠٠ وتاريخ الإسلام ج٢ ص٥٥٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٥٤٨.

(١) سنن ابن ماجة ج٢ ص٣٨٦ والمغني ج٩ ص٥٢٨ والشرح الكبير ج٩ ص٥٢٢ وسبل السلام ج٣ ص٢٥١ ونيل الأوطار ج٧ ص٢٢٤ والغدير ج٨ ص١٧٢ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٨٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٩٩ وعون المعبود ج١٢ ص٢١٠ والمعجم الأوسط ج٧ ص٣٠٩ والتمهيد ج١٧ ص٣٦٠ ونصب الراية ج٦ ص٣٨٦ والدراية في تخريج أحاديث الرواية ج٢ ص٢٧٤ والجامع الصغير ج١ ص٦٥٢ وكنز العمال ج١٥ ص٥٤ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٠٨٠ وأضواء البيان ج٣ ص١١٥.

(٢) سنن ابن ماجة ج٢ ص٨٨٣ وسنن النسائي ج ٨ ص٤٥ و سنن أبي داود ج٤ ص١٨٤ و ١٩٤ وراجع: كتاب الأم ج٧ ص٢٩١ وفقه السنة ج٢ ص٥٦٤ وسن الدارقطني ج٣ ص١٢٠.

ولا يعقل أن تكون دية المشرك أكثر من دية الكتابي، فضلاً عن أن تصل الى مستوى دية المسلم المؤمن!!

٣ ـ على أن نفس تناقض النصوص يشير إلى عدم إمكان الإعتماد على ما زعموه في أمر قاتل «أحمر بأساً»، فهل أعطي الدية مائة من الإبل؟! أم أعطاهم غنماً؟! وهل خطب وهو مسند ظهره إلى الكعبة؟! أم خطب وهو على ظهر راحلته؟!

٤ ـ قوله «صلى الله عليه وآله» في الخطبة عن مكة: «ولم تحل لي إلا هذه الساعة » يتناقض مع النصوص الأخرى..

لأن المفروض: أنها إنما أحلت له ساعة من نهار في أول يوم من أيام الفتح.

والخطبه المتقدمة تصرح: بأن قتل الهذلي كان في اليوم التالي.

ثم إن الحكم في قتيل المشركين هو: تخيير أهله بين أن يقتلوا القاتل، وبين أن يأخذوا الدية. فلماذا فرض عليهم الدية، ثم حكم بهذا التخيير على من يأتي بعد ذلك؟!

ولكن أبا حنيفة خالف في ذلك، فقال: إن دية غير المسلم كدية المسلم[1].

---

(١) راجع: الغدير ج٨ ص١٧٢ عن شرح سنن ابن ماجة في ذيل الحديث المشار إليه، وراجع: الخلاف للطوسي ج٥ ص٢٦٥ وجامع الخلاف والوفاق ص٥٦٣ والينابيع الفقهية ج٤٠ ق٢ ص٧٢ ومغني المحتاج ج٤ ص٥٧ وحواشي الشرواني ج٨ ص٤٥٦ ونيل الأوطار ج٧ ص٢٢٢ وفقه السنة ج٢ ص٥٦٦ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج٢ ص٢٤٥ ونصب الراية ج٦ ص٣٩٠ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٢٧٦ وكنز العمال ج١٥ ص١٤٠ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٠٩ وتفسير الرازي ج١٠ ص٢٣٦.

لماذا التزوير؟!

وقد يحق للبعض: أن يحتمل، أو يظن: بأن سبب هذا الخلاف هو السعي إلى تنزيه رأي بعض الخلفاء عن الزلل والخطل، أو لأجل اعتبار كلامهم تشريعاً وسنة، يمكن الأخذ بها حتى حينما تخالف شرع الله وسنة رسوله.. وخصوصاً إذا كان ذلك الخليفة هو عمر بن الخطاب، فقد قالوا:

إن عمر بن الخطاب قدم الشام، فوجد رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فهمَّ أن يقيده، فقال له زيد بن ثابت: أتقيد عبدك من أخيك؟

فجعله عمر دية[1].

وفي نص آخر: أن أبا عبيدة اعترض على عمر في قصة مشابهة، فعدل إلى الدية[2].

ولعلهما قصة واحدة، ويكون أبو عبيدة وزيد قد اعترضا معاً على عمر. إلا إذا ثبت: أن أحدهما لم يكن مع عمر في سفره إلى الشام.

وفي حادثة أخرى: ضرب عبادة بن الصامت ذمياً (نبطياً)، فشجه، لأنه أبى أن يمسك له دابته، فأراد عمر أن يقتص له منه، فقال زيد بن ثابت:

---

(١) راجع: المصنف للصنعاني ج١٠ ص١٠٠ والغدير ج٦ ص١٣٣عن كنز العمال ج١٥ ص٩٤ و ٩٧ عن عبد الرزاق، وابن جرير، والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٣٢ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٤١٩ ومعرفة السنن والآثار ج٦ ص١٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٢٩٧ وتذكرة الحفاظ ج١ ص٣١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٣٢ وكنز العمال ج١٥ ص٩٤ و ٩٧ والغدير ج٦ ص١٣٣.

أتقيد عبدك من أخيك، فترك القود، وقضى عليه بالدية[1].

وفي عهد عثمان: تتكرر الحوادث بنفس الطريقة، وتكون لها نفس النتائج، فراجع المصادر[2].

ولعل هذا هو الذي دعا أبا حنيفة للحكم بلزوم كامل الدية في غير المسلمين..

أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وآله:

وقد تقدم: أن ابن هشام زعم: أن هذا القتيل الذي قتلته خزاعة، هو أول قتيل وداه رسول الله «صلى الله عليه وآله»!!

لكن هذا غير مسلم، فقد تقدم أنهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» كان قد ودى قتيلاً هو في خيبر[3] فراجع.

لعلها خطبة أخرى في مكة:

روي في الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حنان، عن أبيه، عن

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٣٢ وكنز العمال ج١٥ ص٩٤ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٦ ص١٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٢٩٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٣١ والغدير ج٦ ص١٣٣ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٤٠.

(٢) راجع: كتاب الأم ج٧ ص٣٣٨ و ٣٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٣٣ و ٧٦ والجوهر النقي ج٨ ص٣٣ والغدير ج٨ ص١٦٧ وكتاب المسند ص٣٤٤ ومعرفة السنن والآثار ج٦ ص١٥٠.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٣ وراجع: عون المعبود ج١٢ ص١٨٨ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٣١٧ وحاشية السندي على النسائي ج٨ ص٤٤.

أبي جعفر «عليه السلام». ونقله المجلسي عن كتاب المؤمن، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر «عليه السلام»، قال:

«لما كان يوم فتح مكة، قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، ليبلغ الشاهد الغائب، إن الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، والتفاخر بآبائها وعشائرها.

أيها الناس إنكم من آدم، وآدم من طين.

ألا وإن خيركم عند الله وأكرمكم عليه أتقاكم وأطوعكم له.

ألا وإن العربية ليست بأب والد، ولكنها لسان ناطق، فمن طعن بينكم، وعلم أنه يبلغه رضوان الله حسبه.

ألا وإن كل دم مظلمة، أو إحنة، كانت في الجاهلية، فهي مطل تحت قدمي إلى يوم القيامة»[1].

وروى عدة من أصحابنا، عن أحمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن

---

(١) البحار ج٢١ ص١٣٧ و ١٣٨ وج٦٤ ص١٧٥ وج٧٠ ص٢٩٣ عن الكافي ج٨ ص٢٤٦ وعن ج١ ص٤٠٣ و ٤٠٤ عن كتاب المؤمن، ودعائم الإسلام ج٢ ص١٩٩ ومعاني الأخبار ص٢٠٧ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٣٣٩ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٨٩ وج١٤ ص١٨٤ وكتاب الزهد ص٥٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٧٥ وج٢٠ ص٧٦ ودرر الأخبار ص٤٩٨ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٠ ولسان العرب ج١٥ ص٣٢٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١١ ص٢٨٦.

أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطب الناس في مسجد الخيف، فقال:

نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها، وبلغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصحية لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم[1].

ونقول:

قد صرحت الرواية المتقدمة عن الإمام أبي جعفر «عليه السلام»: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد خطب الناس بمكة يوم الفتح..

أما الرواية الثانية عن الإمام الصادق «عليه السلام» فليس فيها ما يدل على: أن ذلك كان في يوم الفتح، فلعل ذلك كان في حجة الوادع.

---

(١) راجع: شرح أصول الكافي ج٧ ص١٤ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٩ ص٥٢٥ وج٢٩ ص٧٥ و ٧٦ و (ط دار الإسلامية) ج٦ ص٣٦٦ وج١٩ ص٥٥ و ٥٦ والبحار ج٢٧ ص٦٨ و ٦٩ وج٣٧ ص١١٤ وج٦٧ ص٢٤٢ وج٧٤ ص١٣٠ و ١٤٦ وج٩٧ ص٤٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٢٣٠ ومكيال المكارم ج٢ ص٢٣٥ وأمالي الصدوق ص٤٣٢ وتحف العقول ص٤٣ والغارات ج٢ ص٨٢٨ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٨٣ وج٩ ص١٢٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١ ص١٢٨ وتفسير القمي ج١ ص١٧٣.

كما أن من القريب جداً: أن يكون «صلى الله عليه وآله»، قد خطب الناس في فتح مكة مرات عديدة، حيث إن إقامته فيها قد امتدت أياماً كثيرة، كما تقدم في أوائل الحديث عن فتح مكة..

فلعل ما روي عن الإمام أبي جعفر «عليه السلام» يراد به إحدى تلك الخطب.

ومن جهة أخرى، فإن التأمل في هذه الخطبة يعطي: أن ثمة أموراً كثيرة كان «صلى الله عليه وآله» يتصدى لمعالجتها.

وقد ركزت هذه الخطبة على العصبية العربية، ونخوة الجاهلية، والتفاخر بالآباء، والعشائر.

وبعد أن قدم الدليل العقلي على عدم صحة ذلك، باعتبار: أن الجميع من آدم، وآدم من طين. ولا معنى للتفريق، ولا موجب لتمييز هذا على ذاك، ولا العكس.

وحيث إن التناسل، والولادة من هذا الأب أو من ذاك، في المكان والزمان المحدد ليست من الأمور الاختيارية للإنسان، فقد أعطى ضابطة تخضع للإختيار، ويقدر عليها البشر كلهم، وهي: التقوى والعمل الصالح، والطاعة لله سبحانه تعالى، لا للطواغيت، ولا للأهواء.

وأما اللغة فإنها هي الأخرى لا تعطي امتيازاً، لأنها مجرد وسيلة تعبير، ولسان ناطق، فلا معنى للتعصب لها. حتى لو قلنا: بأن الأبوة والوالدية تبرر التعصب.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» أعلن بطلان كل مظلمة، أو إحنة كانت في الجاهلية. وأعلن أنها تحت قدميه إلى يوم القيامة.

وبذلك يكون قد أعطى الضابطة، ورسم المنطلق الصحيح لعلاقات الناس ببعضهم البعض. وأعلن موقفه من منطق الجاهلية، وغسل بذلك أدرانها، وخلص الناس من تبعاتها..

تجديد أنصاب الحرم:

قالوا: أول من نصب أنصاب الحرم إبراهيم «عليه السلام»، كان جبريل «عليه السلام» يدله على مواضعها. فلم تحرك حتى كان إسماعيل «عليه السلام» فجددها، ثم لم تحرك حتى كان قصي بن كلاب فجددها، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» تميم بن أسد الخزاعي، فجدد أنصاب الحرم[1].

ونقول:

إن هذا التسلسل الذي ذكروه فيمن تصدى لتجديد أنصاب الحرم يشير إلى أن هناك أناساً اختارهم الله تعالى لهذا الأمر..

ولعلنا نستطيع أن نفهم من اختيار هؤلاء الأشخاص لذلك أمرين:

أحدهما: أن قصي بن كلاب، وهو أحد آباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن إنساناً عادياً، بل لعله كان من الأنبياء، بل من ذوي المراتب

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١ ص٢٠٣ وج٥ ص٢٤٩ عن الواقدي، والأزرقي، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٤٢ وفقه السنة ج١ ص٦٨٩ وكنز العمال ج١٤ ص١١٣ والدر المنثور ج١ ص١٢٢ و ١٢٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣٧ وج٤ ص٢٩٥ وأسد الغابة ج١ ص٢١٤ والإصابة ج١ ص٤٨٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٩٥ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٢.

العليا فيهم. وقد تقدم في بعض المواضع من هذا الكتاب: أن الحديث الذي يقول: ما زال الله ينقلني من صلب نبي إلى صلب نبي، حتى أخرجني من صلب أبي عبد الله[1] يدل على أن قصياً كان من الأنبياء أيضاً.

الثاني: إن الذين تصدوا لوضع أنصاب الحرم، ولتجديدها هم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وآباؤه الطاهرون. وليس فيهم أي نبي من غير آبائه «صلى الله عليه وآله»..

وفي هذا إشارة ظاهرة إلى موقع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هذا البيت، وهذا البلد، واختصاص إبراهيم، وإسماعيل، وذريته به. كما أن اقتران اسم قصي باسم هؤلاء الأنبياء العظام يدل على مقامه، وعلو درجته أيضاً.

النبي ﷺ يقترض أموالاً ويقسمها:

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي قال: أرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح، فاستسلف من عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة أربعين ألف درهم، فأعطاه، فلما فتح الله تعالى هوازن، وغنّمه أموالها ردها، وقال: «إنما جزاء السلف الحمد والأداء».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١ ص٢٣٥، وراجع: مجمع الزوائد ج٧ ص٨٦ وتفسير السمعاني ج٤ ص٧١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٦٥ وإختيار معرفة الرجال ج٢ ص٤٤٨ ومعجم رجال الحديث ج١٨ ص١٣٢ وإمتاع الأسماع ج٣ ص١٩٠ والبحار ج١٥ ص٣ وج٣٧ ص١٧٥ وتفسير فرات ص٥٠٥.

وقال له: «بارك الله لك في مالك وولدك»[1].

وعن أبي حصين الهذلي، قال: استقرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ثلاثة نفر من قريش، من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم فأقرضه. ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم. ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم، فكانت ثلاثين ومائة ألف درهم، فقسمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أصحابه من أهل الضعف.

قال أبو حصين: فأخبرني رجال من بني كنانة كانوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الفتح: أنه قسم فيهم دراهم، فيصيب الرجل خمسين درهماً، أو أقل، أو أكثر من ذلك[2].

زاد الواقدي قوله: ومن ذلك المال بعث إلى بني جذيمة[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٧ عن الواقدي ونقله في هامشه عن: المغازي الواقدي ج٢ ص٨٦٣ والنسائي في البيوع باب ٩٧، والبيهقي في السنن ج٥ ص٣٥٥ وأبي نعيم في الحلية ج٧ ص١١١ والبخاري في التاريخ ج٥ ص١٠ وابن السني ص٢٧٢، ومسند أحمد ج٤ ص٣٦ وابن ماجة (٢٤٢٤) وراجع: السنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٥٧ وج٦ ص١٠١ والأذكار النووية ص٣١٠ وسنن النسائي ج٧ ص٣١٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٤ و (ط دار المعرفة) ص٥٨ والإصابة ج٤ ص٧٠ وإمتاع الأسماع ج١ ص٤٠٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٣ و ٨٦٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٤٠٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٤٠٠.

فالنبي «صلى الله عليه وآله» لا يعد الفقراء من أصحابه بالمال، ولا يمنّيهم به، كما أنه لا ينتظر إلى حين حصول المال عنده ليفرقه عليهم، بل هو حين يرى حاجة أصحابه، يبادر إلى الاستدانة، لسد عوز اهل الحاجة منهم.

وحين أوقع خالد بن الوليد ببني جذيمة بغير حق، بادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى إصلاح الخلل، ورتق الفتق من هذا المال الذي اقترضه. وأصبح هو المسؤول عن أدائه كشخص.

فهو «صلى الله عليه وآله» حين أخذ المال للفقراء من أصحابه، ثم للمظلومين بسبب عدوان خالد لم يجعل أداء المال المقترض بعهدة بيت المال. ولم يشرك معه أحداً في تحمل مسؤولية الأداء، ولا طالب خالداً ومن معه بشيء مما أخذوه، أو أتلفوه، أو تسببوا بنشوء حق فيه، بل تحمل هو نفسه «صلى الله عليه وآله» كامل المسؤولية عن الأداء.

على أن ثمة أمراً آخر تحسن الإشارة إليه، وهو أن اقتراض النبي «صلى الله عليه وآله» ثم أداؤه لما اقترضه، يعطي دروساً للناس في ذلك المحيط الجديد، مفادها:

١ ـ أنه رغم كل هذا الاتساع في النفوذ، وكل هذه النجاحات التي حققها «صلى الله عليه وآله» لم يكن يهدف إلى الإحتفاظ بالمال ليكون ذا قوة إقتصادية هائلة.

٢ ـ إنه برغم انتصاره العظيم الذي لم تمض بضعة أيام على حصوله لا يأخذ شيئاً من أموال هؤلاء الذين حاربوه طيلة كل تلك السنين، وقد هيمن الآن على بلادهم بقوة السلاح، رغم أن له الحق في أخذ تلك الأموال، كما كان له الحق في استرقاق محاربيه منهم، ولكنه لم يفعل ذلك، بل أطلقهم، ولم

يتعرض لأموالهم. رغم حاجة وفقر أصحابه الذين تحملوا المشقات، وعانوا الكثير معه، لكسر شوكة هؤلاء الطغاة والظالمين والجبارين.

٣ ـ إنه لم يستعمل نفوذه، ولا استفاد من هيبة النصر، ومن إطلاق سراح أرقائه لاستدراج هؤلاء الذين ينعمون بعفوه، ويسرحون ويمرحون مستفيدين من حلمه وكرمه ـ استدراجهم ـ إلى تقديم هدايا الشكر، والتعبير عن الإمتنان مما لاقوه لديه من عفو وكرم وسماح!

٤ ـ وحين أدى إليهم ما اقترضه كان الشعار الذي رفعه هو أن «جزاء السلف الحمد، والأداء»، ليكون بذلك قد أعطاهم الأمثولة في أداء الأقوياء، وأنه لا بد أن يكون أداء مع عرفان الجميل، ومع حمد وثناء.

٥ ـ إن هذا الأداء مع الحمد لا بد أن يقنعهم بأنه لا مطمع له بأموالهم، وأنه لا يريد قهرهم والتعامل معهم بجبارية واستكبار..

٦ ـ وآخر كلمة نقولها هي: إنه «صلى الله عليه وآله» يعطيهم درساً عن كيفية تعامل القائد والرئيس مع مرؤوسيه، وعن أنه لا بد أن يشعر بآلامهم، ويعيش مشاكلهم، وأن يعمل على حلها، مهما كلفه ذلك من تضحيات.

ضفائر أربع!! أم وفرة ؟!:

عن أم سلمة قالت: ضفرت رأس النبي «صلى الله عليه وآله» بذي الحليفة أربع ضفائر، فلم يحلّه حتى فتح مكة، ومقامه بمكة حتى حين أراد أن يخرج إلى حنين حلَّه، وغسلت رأسه بسدر[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٨.

وعن أم هانئ قالت: قدم النبي «صلى الله عليه وآله» مكة وله أربع غدائر تعني ضفائر[١].

ونقول:

إن ما نعرفه عن شعر رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو أنه وفرة لم يبلغ الفرق، فكان إذا طال لم يتجاوز شحمة أذنه[٢].

فمن وصف شعره «صلى الله عليه وآله» بأنه جُمَّة، وهو الشعر الذي ينزل على المنكبين، أو لُـمَّة، وهو الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذنين، فلعله أخذه من الحديث الذي ذكرناه آنفاً، من أنه قد ضفر شعره يوم الفتح أربع ضفائر.

---

(١) وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٥٧ وج٨ ص٥٣٦ وكنزالعمال ج٧ ص١٦٢ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٣ ومسند أحمد ج٦ ص٤٢٥ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٨٨ وسنن الترمذي ج٣ ص١٥٦ وفتح الباري ج٦ ص٤١٦ وج١٠ ص٣٠٤ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣٨٩ و ٣٩٠ وعون المعبود ج١١ ص١٦٣ ومسند ابن راهويه ج٥ ص٢٣ والشمائل المحمدية للترمذي ص٣١ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٤٢٩ والطبقات لابن سعد ج١ ص٤٢٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٦٠ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١١٩٩ وتاريخ بغداد ج١٠ ص٤٣٨.

(٢) مكارم الأخلاق ص٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص١٧ عن ابن عساكر، والجامع للشرايع ص٢٩ والحدائق الناضرة ج٥ ص٥٥٦ والينابيع الفقهية ج٢ ص٦١٤ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١٢٩ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١ ص٤١٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين ج١ ص١٨ والبحار ج٧٣ ص٨٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٦٠٣ وفتح الباري ج٦ ص٤١٦ ومجمع البحرين ج٤ ص٥٢٦.

ونظن أن بعض من يريد هؤلاء الرواة تقديم خدمات لهم من الأمويين، أو الزبيريين، أو من غيرهم كانوا يطيلون شعرهم، ويجعلونه ضفائر، فأرادوا أن لا يعاب ذلك عليهم، فجعلو للنبي «صلى الله عليه وآله» في هذا نصيباً، إذ من أجل عين ألف عين تكرم.

رفع شعر النبي ﷺ إلى السماء:

وروي: أنه كان «صلى الله عليه وآله» يتمشط ويرجل رأسه بالمدرى، وترجله نساؤه، وتتفقد نساؤه تسريحه، إذا سرح رأسه ولحيته، فيأخذن المشاطة ، فيقال: إن الشعر الذي في أيدي الناس من تلك المشاطات، فأما ما حلق في عمرته وحجته فإن جبريل «عليه السلام» كان ينزل فيأخذه فيعرج به إلى السماء. ولربما سرح لحيته في اليوم مرتين[1].

ومن المعلوم: أن الروايات قد صرحت: بأن جسد النبي «صلى الله عليه وآله» قد رفع إلى السماء بعد استشهاده «صلى الله عليه وآله» بثلاثة أيام[2].

---

(١) مكارم الأخلاق ص٣٣ والبحار ج١٦ ص٢٤٨ وج٧٣ ص١١٦ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص١١ وراجع: مستدرك الوسائل ج١ ص٤٤٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٦١٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١ ص١٥٥.

(٢) راجع: الرسائل العشر ص٣١٦ والكافي ج٤ ص٥٦٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٧٧ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص١٧٣ والوسائل (ط آل البيت) ج١٤ ص٣٢٣ و (ط دار الإسلامية) ج١٠ ص٢٥٤ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص١٨٨ و ١٨٩ والمزار للمفيد ص٢٢١ وعوالي اللآلي ج٤ ص٨٤ والبحار ج١١ ص٦٧وج٢٢ ص٥٥٠ وج٢٧ ص٢٩٩ وج٩٧ ص١٣٠ وتفسير نور الثقلين =

وإذا كان دفن الشعر، وقلامة الأظفار يستحب دفنها، وإذا كان جسد رسول الله «صلى الله عليه وآله» سوف يرفع إلى السماء، فمن الطبيعي أن يتولى جبرئيل رفع هذه الأمور التي تعود إلى جسده الشريف بنحو أو بآخر إلى السماء، لتكون في نفس الموضع الذي يكون فيه جسده الشريف، تكريماً له «صلى الله عليه وآله» ورفعة شأن.

شعرات النبي ﷺ لا تحترق:

ومن الواضح: أن لكل شيء من جسده «صلى الله عليه وآله» كرامة ومقاماً، وأن له شأناً يختلف فيه عن غيره.

وقد روي: أن رجلاً من ولد الأنصار أتى إلى الإمام الرضا «عليه السلام» بحقة فضة مقفل عليها، وقال: لم يتحفك أحد بمثلها.

ففتحها وأخرج منها سبع شعرات، وقال: هذا شعر النبي «صلى الله عليه وآله».

فميّز الرضا «عليه السلام» أربع طاقات منها، وقال: هذا شعره، فقبل في ظاهره دون باطنه.

ثم إن الرضا «عليه السلام» أخرجه من الشبهة بأن وضع الثلاثة على النار فاحترقت ثم وضع الأربعة فصارت كالذهب[1].

= ج٥ ص١١٩ ومنتقى الجمان ج١ ص٣١٨ ومجمع البحرين ج١ ص٢٣١ وراجع: بصائر الدرجات ص٤٦٥ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٠٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٢٥٩ والذريعة ج١٣ ص٢٠٦ والدر النظيم ص٤٢٢.

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٥٨ ومدينة المعاجز ج٧ ص٢٣٥ و ٢٣٦ والبحار ج٤٩ ص٥٩ و ٦٠ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص٢٥٠ وج٢ ص٤٨٢.

وروي عن عيسى بن موسى العماني، قال: دخل الرضا «عليه السلام» على المأمون فوجد فيه هماً.

فقال: «إني أرى فيك هماً»؟

قال [المأمون]: نعم بالباب بدوي، وإنه قد دفع سبع شعرات يزعم أنها من لحية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد طلب الجائزة، فإن كان صادقاً ومنعت الجائزة فقد بخست شرفي، وإن كان كاذباً وأعطيته الجائزة فقد سخر بي، وما أدرى ما أعمل به؟

فقال الرضا «عليه السلام»: عليَّ بالشعر، فلما رآه سمه، وقال: «هذه أربعة من لحية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والباقى ليس من لحيته».

فقال المأمون: من أين قلت هذا؟

فقال: عليَّ بالنار (والشعر).

فألقى الشعر في النار، فاحترقت ثلاث شعرات، وبقيت الأربع التى أخرجها الرضا «عليه السلام» لم يكن للنار عليها سبيل.

فقال المأمون: عليَّ بالبدوي.

فأدخل، فلما مثل بين يديه أمر بضرب رقبته.. فقال البدوي: ما ذنبي؟

قال: تصدق عن الشعر.

فقال: أربع من لحية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وثلاث من لحيتى، فتمكن الحسد في قلب المأمون[1].

---

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص٤٩٧ ومدينة المعاجز ج٧ ص٢٣٥ و ٢٣٦ وفرائد السمطين ج٢ ص٢٠٨ ح٤٨٧ وراجع: مستدرك سفينة البحار =

جبر: الغلام المعذب:

وقالوا: إن غلاماً اسمه «جبر» كان قد أسلم على يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكتم ذلك عن أهله فلا يدرون به، فلما ارتد ابن أبي سرح إلى مكة أخبرهم بإسلام ذلك الغلام، فعذبوه أشد العذاب، حتى قال لهم الذي يريدون.

فلما فتح النبي «صلى الله عليه وآله» مكة جاء الغلام فشكا إليه ما لقي بسبب ابن أبي سرح.

قال: فأعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثمنه، فاشترى نفسه فعتق، واستغنى، ونكح امرأة لها شرف[1].

ونقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حل مشكلة ذلك الغلام، بصورة أساسية من ثلاث جهات:

١ ـ أعطاه ما اشترى به نفسه من جلاديه، الذين عذبوه أشد العذاب، وحصل على نعمة الحرية، وهي من أغلى الأمنيات عنده.

٢ ـ أعطاه ما أغناه..

٣ ـ تزوج امرأة لها شرف.

= ج٥ ص٤٢١ والبحار ج٤٩ ص٥٩ وإثبات الهداة ج٦ ص١٥٤ وشرح إحقاق الحق ج٣٣ ص٨٤٤.

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٥ و ٨٦٦ والإصابة ج٤ ص٢٢٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٥.

ولنا أن نشير أيضاً إلى ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يشتر ذلك الغلام من صاحبه، بل أعطاه المال، وكان هو اشترى نفسه منه، فعتق بصورة تلقائية، لأن الإنسان لا يملك نفسه.

ولو أن أحداً كان قد اشتراه، فسيبقى بانتظار إنشاء صيغة العتق من قبل ذلك المشتري.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يأخذ ذلك الغلام من صاحبه قهراً.

٣ ـ إننا لم نستطع أن نعرف من الذي قام بتعذيب ذلك الغلام. هل هو مالكه نفسه؟ أم آخرون من سائر أهله، أم من غيرهم من فراعنة قريش؟!

مظاهر تقوى ابن عبادة:

لما فتح «صلى الله عليه وآله» مكة جلس عبد الرحمن بن عوف في مجلس جماعة، منهم سعد بن عبادة، فمرَّ نسوة من قريش، فقال سعد: قد كان يذكر لنا من نساء قريش حسن وجمال، ما رأيناهن كذلك.

فغضب ابن عوف، وجبه سعداً، فشكاه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فغضب «صلى الله عليه وآله» حتى كان وجهه ليتوقد، ثم قال:

«رأيتهن وقد أصبن بآبائهن، وأبنائهن، وإخوانهن، وأزواجهن. خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد، وأبذله لزوج ما ملكت يد»[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٧.

ونقول:

إن هذه القضية إن دلت على شيء، فإنها تدل على الأمور التالية:

١ ـ إن سعد بن عبادة الذي رشح نفسه لخلافة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يوكل الأمر إلى من عينه الله ورسوله، فيكون معه، ورهن إشارته، وطوع أمره.

نعم، إن سعداً هذا لا يفكر في مستقبل الإسلام في مكة، وفي المنطقة بأسرها.. وفي كيفية حمايته، وتقويته، ونشره، ولكنه يفكر في أمور تدعوه إليها شهوته، ويزينها له هواه، وتعبث به من خلالها شياطين الغواية والإضلال..

ثم لم يردعه شرفه، وموقعه، ولا منعه دينه وتقواه، من أن يتصفح وجوه النساء حتى لو كن محصنات، ليتبين معالم الجمال في تلك الوجوه، ثم يقارن بين ما يراه وما سمعه..

٢ ـ ثم يغضب عبد الرحمن بن عوف، ويجبه سعداً، ولا ندري إن كان قد غضب لله، أو أنه غضب لانتقاص سعد من جمال نساء قريش، حمية للعشيرة، وانسياقاً مع العصبية.

٣ ـ وإذا أردنا أن نصدق أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال كلمته المتقدمة في هذه المناسبة بالذات، ونحن نشك في ذلك ـ كما سنرى ـ فإننا نقول:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغضب من منطق سعد.. وينتصر لنساء قريش. ولكنه انتصار الأتقياء الأبرار، والأصفياء الأخيار، حين يحوِّل مسار المقارنة، من مقارنة بين أمور مبتذلة وساقطة، وشكلية، وشهوانية، لتصبح مقارنة بين واقع راهن. حين يقرن إلى معانٍ سامية، وقيم إنسانية نبيلة.

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يقم وزناً لجمال الصورة، ومثار الشهوات. بل تحدث عن كمال نساء قريش في إنسانيتهن، من حيث أنهن قد بلغن الغاية في الحنان، ولكن على أولادهن، حيث يحتاج أولادهن إلى هذا الحنان الذي يغني أرواحهم، بالعاطفة، وبالرحمة، لا بالقسوة الكاسرة والشريرة..

كما أنهن يمثلن القمة في العطاء، ولكنه ليس عطاء عشوائياً يحمل في طياته تبذير المال، وتمزيق ثروة الزوج، بل العطاء للزوج.. الذي يبني الأسرة ويقويها، ويجعل المال متمركزاً في الموقع القادر على تحريكه، بحكمة، وروية، وبصورة مؤثرة ومنتجة للمزيد من الرخاء، والراحة من التعب والعناء..

لعل ثمة تزويراً:

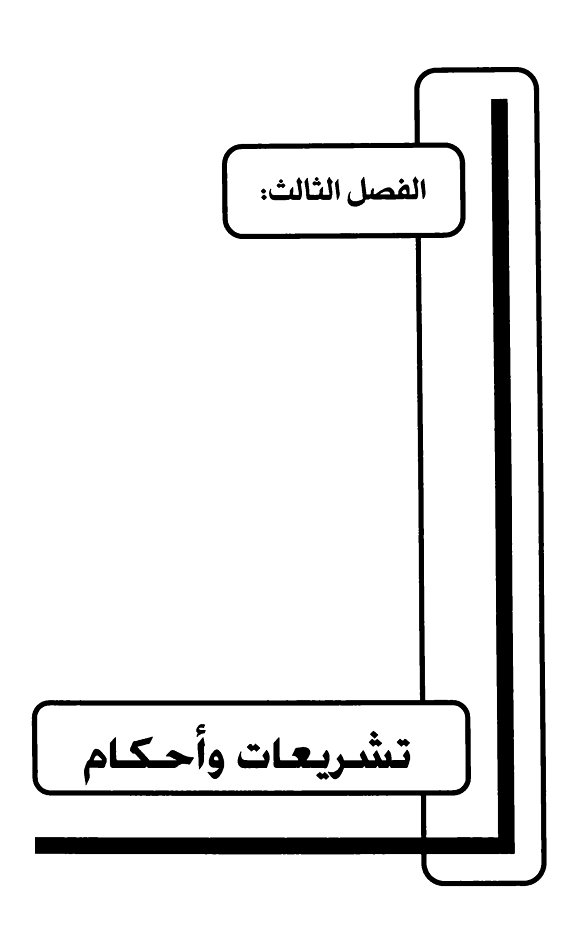
والذي نراه: أن هذا الجواب النبوي ربما يكون قد حوّر وزوّر ليصبح في غير الاتجاه الذي انطلق فيه..

إذ إن الصحيح هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خطب أم هاني أخت علي «عليه السلام»، فاعتذرت له بأنها مصابه فتركها، وقال «صلى الله عليه وآله»: خير نساء ركبن الإبل، نساء قريش، أحناهن على ولد في صغره، وأرعاهن على زوج في ذات يده[1].

---

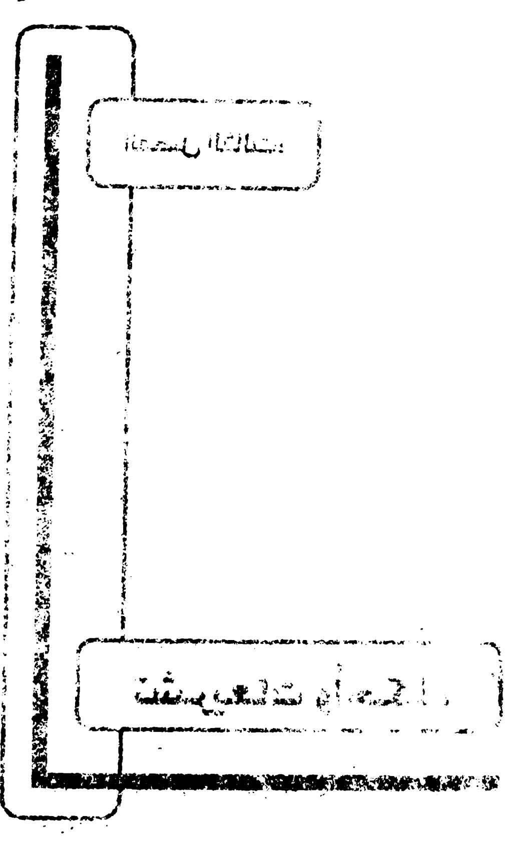
(١) مسند أحمد ج٢ ص٢٦٩ و ٢٧٥ و ٤٤٩ و ٥٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٢٢٥ وج١١ ص٢٣٢ و ٢٣٦ وصحيح مسلم ج٧ ص١٨٢ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٥٢ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٨٣ و ٢٩٥ وج٥ ص٣٨٠ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٤٣٦ و ٤٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٤٣ وج٤١ ص٣٤١ وج٧٠ ص١١٥ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص٩٢ وج١٦ ص٨٠ ومجمع الزوائد ج٤ =

= ص٢٧١ وصحيفة همام بن منبه ص٤٣ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٣٠٣ ومسند الحميدي ج٢ ص٤٥٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٤٧ والآحاد والمثاني ج٥ ص٤٥٩ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٦٢٥ و ٦٢٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٣٥٣ و ٣٥٤ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٢٥ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ ومسند الشاميين ج٢ ص١٢٨ ج٣ ص٢٤ وج٤ ص١٦٦ و ٢٧٥ والجامع الصغير ج١ ص٦٢٩ وكنز العمال ج١٢ ص١٤٥ و ١٤٦ وتفسير القرآن للصنعاني ج١ ص١٢١ وجامع البيان ج٣ ص٣٥٧ و ٣٥٨ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٠ والدر المنثور ج٢ ص٢٣ والإصابة ج٨ ص١٩٧ و ٤٨٥ والمنتخب من ذيل المذيل ص١١٠ والبداية والنهاية ج٢ ص٧١ وج٥ ص٣٢٢ وقصص الأنبياء لابن كثير ج٢ ص٣٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٩٦ ولسان العرب ج١٤ ص٢٠٣ وفقه السنة ج٢ ص٢١ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٦٧ والنوادر للراوندي ص١٧٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٤٨ وصحيح البخاري ج٤ ص١٣٩ وج٦ ص١٢٠ و ١٩٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٩٣ وعمدة القاري ج١٦ ص٢٦ وج٢٠ ص٧٨ وج٢١ ص٢٢ والديباج على مسلم ج٥ ص٣٣١ وصحيفة همام بن منبه ص٤٣ وتغليق التعليق ج٤ ص٣٥ و ٤٨٢ وفيض القدير ج٣ ص٦٥٦ وتفسير ابن أبي حاتم ج٢ ص٦٤٧ والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ج١ ص٤٣٣ وتفسير الآلوسي ج٣ ص١٥٥ وإمتاع السماع ج٦ ص١٠٢ وقصص الأنبياء لابن كثير ج٢ ص٣٧٦.



الفصل الثالث:

تشـريعات وأحـكام



الولد للفراش:

عن عائشة قالت: كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض عبد الرحمن ابن وليدة زمعة، وقال عتبة: إنه ابني.

فلما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة في الفتح رأى سعد الغلام فعرفه بالشبه، فاحتضنة إليه وقال: ابن أخي ورب الكعبة.

فأقبل به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأقبل معه عبد بن زمعة، فقال سعد بن أبي وقاص: هذا ابن أخي عهد إلي أنه ابنه.

فقال عبد بن زمعة: يا رسول الله، هذا أخي، هذا ابن زمعة ولد على فراشه، فنظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ابن وليدة زمعة، فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هو»، أي الولد «لك، هو أخوك يا عبد بن زمعة، من أجل أنه ولد على فراشه، الولد للفراش، وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة، لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص بالولد»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٨ و ٢٥٩ عن البخاري، وفي هامشه عن: البخاري ج٥ ص٣٧١ (٢٧٤٥) وصحيح مسلم ج٢ ص١٠٨٠ (٣٦/ ١٤٥٧) وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٤ و (ط دار المعرفة) ص٥٩ وسنن الدارمي=

فلم يرها حتى لقي الله.

وفي بعض الروايات: احتجبي منه يا سودة، فليس لك بأخ[1].

ونقول:

أولاً: إن مجرد وجود شبه بين طفل وبين شخص، لا يعني أن يكون لذلك الشخص شأن وعلاقة مباضعة توجب انتساب ذلك الطفل إليه، فقد يكون للشبه بعض الأسباب الوراثية، أو التخيلية في حالات معينة، التي ليس منها العلاقة الجنسية بالأم.

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يتفوه بما يعده الشارع قذفاً،

= ج٢ ص١٥٣ وسبل السلام ج٣ ص٢١١ ومسند أحمد (ط دار صادر) ج٦ ص١٢٩ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٣ ص٣٩ وج٥ ص٩٦ وج٨ ص١٢ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٤ ص١٧١ وسنن النسائي ج٦ ص١٨٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٨٦ و ٨٧ ج١٠ ص١٥٠ و ٢٦٦ وعمدة القاري للعيني ج١١ ص١٦٧ و ١٦٨ وج١٢ ص٣٢ وج١٧ ص٢٩٠ وفتح الباري ج٨ ص١٩ وج١٢ ص٢٧ ومسند الشاميين ج٤ ص١٩٢ ومعرفة السنن والآثار ج٤ ص٤٧٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٠٠ ومسند أبي داود الطيالسي ص٢٠٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٧٨ وكنز العمال ج٦ ص٢٠٠.

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٤ و (ط دار المعرفة) ص٥٩ و ٣٧٨ وسنن النسائي ج٦ ص١٨١ وفتح الباري ج١٢ ص٣١ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج٦ ص١٨١ وحاشية السندي ج٦ ص١٨٠ و ١٨١ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٧٩ وسنن الدارقطني ج٤ ص١٥٦ ومسند أحمد ج٤ ص٥ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٤٤٣ وكنز العمال ج١١ ص٨ و ٨٥ .

ولاسيما بعد أن حكم بأن الولد للفراش، وللعاهر الحجر، فالنبي «صلى الله عليه وآله» لا يحكم على خلاف ما حكم به الشارع، فما معنى أن ينسب إليه «صلى الله عليه وآله» أنه قال لسودة: «فليس لك بأخ»؟!

الصلاة في مكة، والصلاة في بيت المقدس:

عن جابر: أن رجلاً قال للنبي «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح: إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «صل ههنا».

فسأله، فقال: «صل ههنا».

فسأله، فقال: شأنك إذن[1].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد الصالحي الشامي ج٥ ص٢٥٩ والمجموع للنووي ج٨ ص٤٧٣ والمغني لابن قدامه ج١١ ص٣٥٢ والشرح الكبير لابن قدامه ج١١ ص٣٦٥ وكشاف القناع للبهوتي ج٢ ص٤١٠ والمحلى لابن حزم ج٨ ص١٩ و ٢٠ وسبل السلام ج٤ ص١١٤ ونيل الأوطار للشوكاني ج٩ ص١٥٢ ومسند أحمد ج٣ ص٣٦٣ وسنن الدارمي ج٢ ص١٨٤ وسنن أبي داود ج٢ ص١٠٢ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٠٤ و ٣٠٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٨٢ وفتح الباري ج٣ ص٥٣ وعمدة القاري ج٧ ص٢٥٣ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣١٠ ومسند أبي يعلى ج٤ ص٨٨ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٢٥ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي وج٧ ص٣٤٨ والإستذكار لابن عبد البر ج٥ ص١٧٠ وأضواء البيان للشنقيطي ج٥ ص٢٥٣ والكامل لابن عدي ج٢ ص٤٥ وميزان الإعتدال للذهبي ج١ ص٣٤٢ ولسان الميزان لابن حجر ج٢ ص٤٥.

وفي رواية عن بعض الصحابة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «والذي بعث محمداً بالحق، لو صليت ههنا لقضى عنك ذلك كل صلاة في بيت المقدس»[1].

وفي رواية عن الأرقم: أنه جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسلم عليه، فقال: أين تريد؟

قال: أردت يا رسول الله ههنا وأشار بيده إلى حد المقدس.

قال: ما يخرجك إليه، أتجارة؟!

قال: قلت: لا، ولكن أردت الصلاة فيه.

قال: فالصلاة ههنا، وأومأ بيده إلى مكة، خير من ألف صلاة، وأومأ بيده إلى الشام[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد وج٩ ص١٠٣ وج٥ ص٢٥٩ عن أبي داود، والحاكم، وأشار في هامشه إلى: مسند أحمد ج٣ ص٣٦٣ وأبي داود (٣٣٠٥)، والبيهقي ج١٠ ص٨٢ والدارمي ج٢ ص١٨٥ والطحاوي في المعاني ج٣ ص١١٥ والبخاري في التاريخ ج٦ ص١٧٠ والحاكم ج٤ ص٣٠٤.

وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٦ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٢٨٨ والشرح الكبير لابن قدامه ج٣ ص١٢٩ وج١١ ص٣٦٦ وسنن أبي داود ج٢ ص١٠٢ وأضواء البيان ج٥ ص٢٥٣ ونيل الأوطار ج٩ ص١٥٣ ومسند أحمد ج٥ ص٣٧٣ وكنز العمال ج١٢ ص٢١١ و ٢٥٧ وج١٤ ص١١٦ والمغني ج١١ ص٣٥٢.

(٢) راجع: مجمع الزوائد ج٤ ص٥ واللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي ص٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٢٦٨ نيل الأوطار ج٩ ص١٥٤ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٠٤ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٧٩ والمعجم =

وقالت ميمونة، زوج النبي «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، إني جعلت على نفسي، إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس.

فقال «صلى الله عليه وآله»: لا تقدرين على ذلك، يحول بينك وبينه الروم.

فقالت: آتي بخفير، يقبل ويدبر.

فقال: لا تقدرين على ذلك، ولكن ابعثي بزيت يستصبح لك به فيه، فكأنك أتيته.

فكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمال يشترى به زيت، يستصبح به في بيت المقدس، حتى ماتت فأوصت بذلك(١).

ونقول:

١ ـ إننا لا ننكر أن لبيت المقدس فضلاً وقيمة، فإن فيه محاريب الأنبياء، وباب حطة، وغير ذلك، والصلاة فيه تعدل ألف صلاة(٢). وهو من

= الكبير ج١ ص٣٠٧ وكنز العمال ج١٤ ص١٣٨ وأسد الغابة ج١ ص٦٠ والسيرة ج٢ ص٢١ وعمدة القاري ج٧ ص٢٥٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٧٢.

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٥٢ وراجع ص١٤٨ وثواب الأعمال ص١٢٨ والمحاسن ج١ ص٥٥ والبحار ج٩٩ ص٢٧٠ عنهما، وعن تهذيب الأحكام ج٣ ص٥٣ والجامع للشرايع ص١٠٣ ومنتهى المطلب (ط ق) ج١ ص٣٨٦ ونهاية الحكام ج١ ص٣٥٣ وكشف اللثام (ط ج) ج٣ ص٣٢٠ و (ط ق) ج١ ص٢٠١ والينابيع الفقهية ج٤ ص٨٨٨ والمبسوط للسرخسي ج٣ ص١٣٢ =

قصور الجنة[1].

غير أننا نقول:

لماذا ينذر هؤلاء لبيت المقدس، ولا ينذرون للكعبة المشرفة، فإنها أشرف وأفضل من بيت المقدس؟!

٢ ـ لماذا لا يقبل ذلك الرجل ما يامره به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الإستعاضة عن الصلاة في بيت المقدس بالصلاة في مكة المكرمة، والكعبة الشريفة؟!

بل إن ميمونة، وهي زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله» تناقش هي الأخرى في صدقية ما أخبرها به النبي «صلى الله عليه وآله»، وتلتمس المخارج والسبل للتغلب على ما وضعه أمامها من موانع، ولو بأن تأتي بخفير، يقبل ويدبر، ويستطيع أن يوفر لها القدرة على إسقاط ممانعة الروم لها من الوصول إلى بيت المقدس، كما أخبرها به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم هي لا يقر لها قرار حتى اقترح عليها البديل، الذي يكون لبيت المقدس فيه نصيب وموقع، وهو أن ترسل بزيت يستصبح به في بيت

= وسبل السلام ج٢ ص٢١٦ ونيل الأوطار ج٩ ص١٥٤ والمحاسن ج١ ص٥٥ ودعائم الإسلام ج١ ص١٤٨ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٤٣٠ والبحار ج٨٠ ص٣٨٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٥٦١ ومعجم البلدان ج٥ ص١٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص١٠٨.

(١) البحار ج٩٦ ص٢٤٠ و ٣٨٠ وج٩٩ ص٢٧٠ عن الأمالي للشيخ الطوسي ج١ ص٣٧٩ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٥٤٥ والإمالي للطوسي ص٣٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٥١٠ و ٥٦١ وتاريخ الكوفة للبراقي ص٦٧.

المقدس، فهدأت ورضيت.

٣ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقل لميمونة: إن نذرها باطل، ولا قال لها: إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فأنا أمنعك من السفر إلى بيت المقدس من هذا المنطلق.

كما أنه لم يقل لها: إنني زوجك، وأنا أنهاك عن هذا السفر. وبذلك ينحل نذرك.

ولم يقل لها: إن ثمة أخطاراً جساماً تواجهك في سفرك، فهو سفر غير راجح، ولا مرضي، ولا مستساغ.

بل هو قد ذكر لها: أن هناك مانعاً لها من الوفاء بنذرها، وهو حيلولة الروم بينها وبين الوصول إلى بيت المقدس.

وهذا أمر لا يقبل التأويل، ولا يسوغ لها، ولا لغيرها أن تذهب بها الأوهام والظنون في مذاهب مختلفة، التي قد يوجب بعضها الإخلال بالواجب الديني، أو الإعتقادي.

ضرب شارب خمر:

وعن عبد الرحمن بن الأزهر قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ عام الفتح ـ وأنا غلام شاب، ينزل عند منزل خالد بن الوليد، وأُتي بشارب فأمرهم، فضربوه بما في أيديهم، فمنهم من ضرب بالسوط، وبالنعل، وبالعصا. وحثا رسول الله «صلى الله عليه وآله» (عليه) التراب[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٨ عن ابن أبي شيبة، ودلائل النبوة للبيهقي ج٨ ص٣١٩ ومسند أحمد ج٤ ص٨٨ و ٣٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص١٨٤ =

لا شفاعة في حد:

وعن عائشة: أن امرأة سرقت في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

فقيل: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما كلمه أسامة فيها تلوّن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «أتكلمني»؟

وفي لفظ: «أتشفع في حد من حدود الله»؟!

قال أسامة: يا رسول الله، استغفر لي.

فلما كان العشي قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطيباً فأثنى على الله تعالى بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الناس».

وفي لفظ: «هلك بنو إسرائيل».

وفي لفظ: «الذين من قبلكم»: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف.

وفي لفظ: «الوضيع قطعوه».

وفي لفظ: «أقاموا عليه الحد»، والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

= وتهذيب الكمال ج١٦ ص٥١٥ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٦٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٣٢٠ وكنز العمال ج٥ ص٤٩٢ وتاريخ المدينة ج٢ ص٧٣١.

ثم أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتلك المرأة (فقطعت).

وفي رواية النسائي: «قم يا بلال، فخذ بيدها فاقطعها».

فحسنت توبتها بعد ذلك، وتزوجت رجلاً من بني سليم.

قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك، فأرفع حاجتها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص١٩٦ وج٥ ص٢٥٩ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، والبيهقي، وأشار في هامشه إلى: البخاري ج٦ ص٥١٣ (٣٤٧٥) ومسلم ج٣ ص١٣١٥ (٨/ ١٦٨٨) وأحمد ج٣ ص٣٦٣. وراجع: المحلى ج١٠ ص٤٩٦ وج١١ ص٣٥٩ وصحيح البخاري ج٤ ص١٥١ وج٥ ص٩٧ وج٨ ص١٦ وسنن النسائي ج٨ ص٧٣ و٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٥٤ و ٢٦٧ و ٢٨٠ و ٣٣٢ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٩١ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٣٣٤ والبداية والنهاية ج٢ ص١٧٢ وج٤ ص٣٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٠١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٩ ونيل الأوطار ج٧ ص٣١١ وسنن الدارمي ج٢ ص١٧٣ وصحيح مسلم ج٥ ص١١٤ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٥١ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٥٨١ وسنن ابن داود ج٢ ص٣٣٢ وسنن الترمذي ج٢ ص٤٤٢ وعمدة القاري ج١٦ ص٦٠ وج١٧ ص٢٩١ وج٢٣ ص٢٧٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٥٩ وعون المعبود ج١٢ ص٢١ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٧١ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٢٤٨ والمعجم الأوسط ج٧ ص٢٧٢ ومعرفة السنن والآثار ج٦ ص٤٧٤ والإستذكار ج٧ ص٥٧٠ ورياض الصالحين ص٣٣١ و ٣٣٢ و ٦٨١ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٤١٤ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٩ وتفسير الآلوسي ج١٨ ص٨٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٧١٠ وإمتاع الأسماع ج١٠ ص٢٦.

وقال الحلبي: «وفي كلام بعضهم: كانت العرب في الجاهلية يقطعون يد السارق اليمنى»[١].

ولنا مع ما تقدم وقفات نوردها كما يلي:

لو سرقت فاطمة لقطعت يدها:

إننا بالنسبة لحديث: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» نقول:

أولاً: إن كلمة: «لو» كما يستظهرون من الأمثلة التالية قد يراد منها: بيان عدم وقوع الشرط جزماً، كقولك: لو جئتني لأكرمتك.

في حين أن كلمة: «إذا» قد يقصد بها الدلالة على اليقين، بوقوع الشرط، فيترتب الجزاء. كقوله تعالى: **﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾**[٢].

وكلمة: «إن» قد تستعمل في موارد الشك في وقوع فعل الشرط[٣]. كما في قولك: إن جاءك فلان فقل له: كذا.

والحاصل: أن قوله: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» يراد به الدلالة على عدم وقوع الفعل، ولكنه يرتب الجزاء على فرض الوقوع، في صورة عدم الوقوع.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٤ و (ط دار المعرفة) ص٥٩.

(٢) الآيات ١ ـ ٣ من سورة النصر.

(٣) راجع: مغني اللبيب (مطبوع مع حاشية الأمير) ج١ ص٢٠٥

ثانياً: قال تعالى في القرآن الكريم:

١ ـ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾(١). حيث يراد التأكيد على نفي فعل الشرط، وأن الله ليس له ولد حتماً وجزماً.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٣).

فإن المقصود هو: التأكيد على حتمية فعل الجزاء، من قبل منشئه وجاعله. مع العلم بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» المعصوم، لا يمكن أن يتقول على الله، ولا أن يكون فظاً غليظ القلب.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٤). فالمراد: إظهار اليقين والوثوق بوقوع الجزاء، وهو حبط العمل.

وحديث: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» من قبيل هذه الآية الأخيرة وما سبقها.

أي أن المقصود: التأكيد على إجراء أحكام الله تبارك وتعالى، وإفهام الناس أنه لا محاباة لأحد في هذا الأمر، حتى لو كان الفاعل هو فاطمة «عليها السلام»، وإن كان هذا الأمر يستحيل أن يصدر عمن هي معصومة،

---

(١) الآية ٨١ من سورة الزخرف.

(٢) الآيات ٤٤ ـ ٤٦ من سورة الحاقة.

(٣) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ٦٥ من سورة الزمر.

ومن قد طهرها الله تعالى بنص آيات القرآن الكريم.

وليس المراد: وضع فاطمة «عليه السلام» في دائرة احتمال صدور السرقة منها بالفعل، كما لا يمكن أن يصدر من الأنبياء والأوصياء، فضلاً عن سيد الخلق أجمعين.

أسامة حِبُّ الرسول ﷺ أم زيد؟!:

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أن أحداً لا يجترئ على أن يكلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» سوى حب رسول الله، أسامة بن زيد.

غير أننا نقول:

ألف: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد سمى زيد بن حارثة بزيد الحب، ولم يسم أسامة نفسه بذلك[1].

وإنما أطلقوا عليه: أنه الحب ابن الحب[2]، لأنه كان بنظرهم يستحق

---

(١) البحار ج٢٢ ص٢١٥ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٥٤٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢١٣ وتفسير القمي ج٢ ص١٧٢ والتفسير الصافي ج٤ ص١٦٣ وج٦ ص١٠ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٣٦ والطبقات الكبرى ج٣ ص٤٠ وج٥ ص٢٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٤٦ والدرجات الرفيعة ص٤٤٠ والمنتخب من ذيل المذيل ص٥٠.

(٢) راجع: الإصابة ج١ والإستيعاب (ترجمة أسامة)، وعمدة القاري ج٢ ص٢٥٢ وجزء البغوي ص١٦ ومسند أسامة بن زيد ص٣٣ و ٣٤ وفيض القدير ج١ ص٦١٨ والإصابة ج١ ص٢٠٢ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٩٩ وإكمال الكمال ج٢ ص٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٨ ص٥١ و ٥٢ وج١٩ ص٣٥١ وتهذيب الكمال ج١ ص٣٠٧ وج٢ ص٣٣٨ وإكمال تهذيب الكمال ج٢ =

هذا الوسام أكثر من أبيه، لأن الأحداث بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أظهرت أن له موقفاً من علي «عليه السلام» يوجب على مناوئيه أن يكافؤوه عليه، فهو لم يشترك مع علي «عليه السلام» في أي من حروبه[1]، وقد منعه علي «عليه السلام» من العطاء[2]. وكان قد تخلف عن بيعته[3]، وإن كان سلَّم له بعد ذلك.

ب: بالنسبة لجرأته على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقول:

لعلها كانت نوعاً من الإدلال من أسامة، وهو يرى تعزيز النبي «صلى الله عليه وآله» له بعد استشهاد أبيه زيد، الذي كان يحبه النبي «صلى الله عليه وآله»، وربما كان يريد أن يحفظه في ولده، فكأن إكرامه لأسامة قد جرأ

= ص٥٤ وتهذيب التهذيب ج١ ص١٨٢ والوافي بالوفيات ج١ ص٨٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٩٠ وإمتاع الأسماع ج٦ ص٣٠٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٨١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٨٥ وج٣ ص٢٢٨.

(١) أسد الغابة ج١ ص٦٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٨١ وأعيان الشيعة ج٣ ص٢٤٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٥١.

(٢) قاموس الرجال ج١ ص٤٦٨ ـ ٤٧٢ و (ط جماعة المدرسين ١٤١٩ هـ) ج١١ ص٦٨ عن الكشي، والبحار ج٣٤ ص٢٩٦ ج٩٧ ص٥٢ ورجال الكشي ص٢٦ والغارات ج٢ ص٥٧٧ وميزان الحكمة ج٤ ص٢٩٩٦ ونهج السعادة ج٤ ص١٢٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٢ والدرجات الرفيعة ص٤٤٥ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٩٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص١٩١.

(٣) البحار ج٣٢ ص٢١٦ وراجع: أسد الغابة ج١ ص٦٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٨١ وأعيان الشيعة ج٣ ص٢٤٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٥١.

أسامة على النبي «صلى الله عليه وآله»، وأطلق لسانه عنده. وليس من الضروري أن تكون هذه الجرأة مستحسنة، أو مرضية.

ويشهد لذلك نفس هذه الحادثة، التي كان يكلمه أسامة فيها، ووجهه «صلى الله عليه وآله» يتلون تغيظاً، حتى انتهى الأمر بملامة رسول الله «صلى الله عليه وآله» له، ثم طلبه من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يستغفر له.

أشياء يحرم بيعها:

وعن جابر قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الفتح يقول: «إن الله تعالى حرم بيع الخمر، والخنازير، والميتة، والأصنام».

فقال رجل: يا رسول الله!! ما ترى في شحوم الميتة، فإنه يدهن بها السفن والجلود، ويستصبح بها؟

قال: «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم عليهم شحومها أخذوها فجمدوها (فجملوها)، ثم باعوها، وأكلوا ثمنها»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٥٨ عن ابن أبي شيبة، وفي هامشه عن: البخاري ج٤ ص٤٢٤ (٢٢٣٦) وج٤ ص٤١٤ (٣٢٢٣) ومسلم ج٣ ص١٣٠٧ (٧١/ ١٥٨١) و (٧٢/ ١٥٨٢).

وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٤ و ٨٦٥ صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص١٩٤ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٥ ص٤١ وج١١ ص٦ وعون المعبود ج٩ ص٢٧٤ وتغليق التعليق ج٣ ص٢٧٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٥٤ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٣٩٥ و ٣٩٦ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٩٣ والدر المنثور ج٣ ص٥٣ والخلاف ج٣ ص١٨٦ وجواهر الكلام =

ونقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» أراد هنا: أن يعالج ظاهرة الطمع والحرص، التي ظهرت في الناس، والتي هي من شيم اليهود.

وقد ظهرت بوادر هذا الحرص الذي يجر وراءه ركاماً من الشبهات والمشكلات في استقصاء السؤال عن شحوم الميتة، حيث إن الإهتمام بالميتة إلى هذا الحد، ربما يعطي الإنطباع عن أن ثمة علاقة شديدة للناس حتى بالميتة، وبأدق أجزائها.. يصعب التغلب عليها.

وقد يشير إلى ذلك: أنهم صاروا يسألون عن دهن الجلود، والإستصباح بها مع أنهما ليسا من الضرورات، التي لا يمكن الإستغناء عن الميتة فيها، إذ يمكن أن يستفاد في هذا وذاك من الشحوم الحلال، التي يأمن الإنسان معها من ملابسة النجاسة الناشئة عن كونها ميتة. فإن هذه الإستفادة من شحوم الميتة تجعل من الصعب تجنب الإرتطام بالنجاسة في كثير من الأوضاع.

ويزيد الأمر سوءاً حين لا ينحصر التعاطي مع تلك الشحوم ـ التي

= ج٢٢ ص١١ والينابيع الفقهية ج٣٥ ص١٣٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٤١ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٣٩٦ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٣١١ وكنز العمال ج٤ ص١٧٠ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص١٠١٠ والمجموع ج١٤ ص٢٨٣ والمغني ج٤ ص٢٨٤ وج٥ ص٥١٣ والشرح الكبير ج٤ ص٤١ وج٥ ص٤٦٢ والمحلى ج١ ص١٢١ وج٩ ص٨ وسبل السلام ج٣ ص٥ ومسند أحمد ج٣ ص٣٢٦ وسنن أبي داود ج٢ ص١٤١ وسنن النسائي ج٧ ص٣١٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٢ وج٩ ص٣٥٥ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٢٨٤.

يستفاد منها ـ في الذين يعرفون بكونها ميتة. حيث إن التعامل معها سيكون على أساس كونها محكومة بالطهارة الظاهرية. ولابد أن ينعكس ذلك على أكل الناس وشرابهم، وتعاملهم مع لباسهم، وأوانيهم، التي يستعملونها في سائر شؤونهم الحياتية، والعبادية.

كسر الدف والمزمار:

وقد رووا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال في فتح مكة: «إنما بعثت بكسر الدف والمزمار».

فخرج الصحابة يأخذونها من أيدي الولدان ويكسرونها[1].

ونقول:

قد تقدم بعض الحديث عن هذا الأمر، حين استعرضنا ما قالوه في حديث الهجرة، من أن أهل المدينة قد استقبلوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالغناء، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» صار يرقص لهم بأكمامه.

غير أننا نشير هنا: إلى بعض ما رووه أو قالوه حول تحريم الضرب على المعازف والدفوف، وغيرها من آلات الموسيقى.. فمن رواياتهم نذكر ما يلي:

١ ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾[2].

قال ابن عباس ومجاهد: إنه الغناء، والمزامير، واللهو[1].

---

(١) بهجة النفوس، شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة الأزدي ج٢ ص٧٤ والغدير ج٨ ص٧٢.

(٢) الآية ٦٤ من سورة الإسراء.

٢ ـ وروي مرفوعاً: ليكونن في أمتي قوم يستحلون الخز، (والحرير) والخمر، والمعازف[٢].

٣ ـ عن ابن عباس، وأنس، وأبي أمامة مرفوعاً: «ليكونن في هذه الأمة خسف، وقذف، ومسخ. وذلك إذا شربوا الخمور، واتخذوا القينات، وضربوا بالمعازف»[٣].

---

(١) راجع: جامع البيان ج١٥ ص٨١ و (ط دار الفكر) ص١٤٧ وزاد المسير ج٥ ص٤٨ والجامع لأحكام القرآن (ط مؤسسة التاريخ العربي) ج١٠ ص٢٨٨ وج١٤ ص٥١ والغدير ج٨ ص٦٩ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٩ و (ط دار المعرفة) ص٥٣ أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٢٦٦ وتفسير السمعاني ج٣ ص٢٥٨ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٤٨٤ وتفسير الأندلسي ج٣ ص٤٧٠ وعن تفسير الخازن ج٣ ص١٧٨ وعن تفسير النسفي ج٣ ص١٧٨ وعن تفسير ابن جزي ج٢ ص١٧٥ وعن تفسير الآلوسي ج١٥ ص١١١.

(٢) السنن الكبرى ج١٠ ص٣٢١ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص٧٦ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٣٣ وعن سنن أبي داود ج٤ ص٤٦ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٢١٢٣ وعن أحمد، وأبي نعيم، والمحلى ج٩ ص٥٩ ونيل الأوطار ج٢ ص٨٦ والغدير ج٨ ص٧٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٧٢ وفتح الباري ج١٠ ص٤٢ وكنز العمال ج١١ ص١٣٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص١٨٩.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٣٢٤ والمعجم الكبير ج٦ ص١٥٠ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص٧٦ وعن مسند أحمد ج٢ ص٣٤٧ ومجمع الزوائد ج٨ ص١٠ والمعجم الأوسط ج٧ ص٧٧ والمعجم الكبير ج٦ ص١٥٠ والجامع الصغير ج٢ ص٦٢ و ٢٢٩ و ٤٧١ ومنز العمال ج٥ ص٣٤٧ وج١٤ ص٢٧٧ و ٢٨١ وفيض القدير ج٤ ص١٦٨ وج٥ ص٥٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص١٩٥ و ١٩٦.

٤ ـ وروي مرفوعاً أيضاً: «بعثني (رحمة للعالمين وأمرني) بمحق المعازف، والمزامير، وأمر الجاهلية»[١].

٥ ـ عن عبد الله بن عمر (أو عمرو) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

قال: هي في التوراة. إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل، ويبطل به اللعب، والزفن، والمزامير، والكبارات (يعني البرابط) والزمارات (يعني الدف) والطنابير[٣].

٦ ـ عن علي «عليه السلام» مرفوعاً: تمسخ طائفة من أمتي قردة، وطائفة خنازير، ويخسف بطائفة، ويرسل على طائفة الريح العقيم، بأنهم

---

(١) نيل الأوطار ج٨ ص١١١ والدر المنثور ج٢ ص٣٢٣ وجامع بيان العلم ج١ ص١٥٣ تكملة حاشية رد المحتار ج١ ص٥٧١ والشرح الكبير ج١٢ ص٤٨ والغدير ج٨ ص٧٠ ومسند أحمد ج٥ ص٢٦٨ ومسند ابي داود الطيالسي ص١٥٥ وجزء أشيب ص٣٩ والمعجم الكبير ج٨ ص١٩٧ وكنز العمال ج١١ ص٤٤٣ وتفسير الثعلبي ج٧ ص٣١٠.

(٢) الآية ٩٠ من سورة المائدة.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٢٢ والدر المنثور ج٢ ص٣١٧ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٩٩ والغدير ج٨ ص٧٠ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٩ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٨٤ وغريب الحديث ج٤ ص٢٧٦ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص٣٠٥ وج٤ ص٣٢٦ ولسان العرب ج٥ ص١٥٢ وج١٣ ص١٩٧ وتاج العروس ج٧ ص٤٥٨.

شربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، وضربوا بالدفوف[1].

٧ ـ وعن عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: إنما نهيت عن صوتين، أحمقين، فاجرين: صوت عند نغمة لهوٍ، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجوه، وشق جيوب، ورنة شيطان. ونحوه عن أنس مرفوعاً[2].

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٣٢٤ والغدير ج٨ ص٧١ وكنز العمال ج١٥ ص٢٢٣.

(٢) راجع: الجامع الصحيح للترمذي ج٣ ص٣٢٨ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٢٩٣ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٢٦٦ ونيل الأوطار ج٤ ص١٥٤ وج٨ ص٢٦٨ وفتح القدير ج٤ ص٢٣٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٥٣ وتلبيس إبليس ص٢٣٣ وكنز العمال ج١٥ ص٢١٩ والدر المنثور ج٥ ص١٦٠ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ج٢ ص١١٩ والذكرى للشهيد الأول ج٢ ص٤٩ والتحفة السنية (مخطوط) ص٤٤ والمغني ج٢ ص٤١١ والشرح الكبير ج٢ ص٤٢٩ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٤٥٤ و ٤٥٦ و ٤٥٨ وعوالي اللآلي ج١ ص٨٩ و ١٢٢ ومكسن الفؤاد ص٩٣ والبحار ج٧٩ ص٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٨٦ وج١٧ ص١٩٩ و ٢٠٤ والغدير ج٨ ص٦٩ وميزان الحكمة ج٢ ص١٦٧٤ وسنن الترمذي ج٢ ص٢٣٧ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٤٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٦٩ ومجمع الزوائد ج٣ ص١٧ وفتح الباري ج٣ ص١٣٩ وعمدة القاري ج٨ ص١٠٢ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٧٦ وعون المعبود ج١٣ ص١٨٦ ومسند أبي داود الطيالسي ص٢٣٥ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٠٩ والتمهيد ج١٧ ص٢٨٤ وج٢٤ ص٤٤٣ وتخريج الحاديث والآثار ج٢ ص١٧٦ ونصب الراية ج٥ ص٨٩ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص١٧٢ وكنز العمال ج١٥ ص٦١١ و ٦١٦ وأحكام =

٨ ـ عن أبي هريرة، وأنس، وأبي أمامة، وعمران بن حصين، والغازي بن ربيعة، وعبد الرحمن بن سابط، وصالح بن خالد، يسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسخ قوم في آخر الزمان قردة وخنازير، فقال: «اتخذوا المعازف، والدفوف، والقينات، وباتوا على شربهم، ولهوهم الخ..»[1].

٩ ـ قال نافع: سمع ابن عمر مزماراً، فوضع إصبعيه على أذنيه، ونأى عن الطريق، وقال لي: يا نافع، هل تسمع شيئاً؟

فقلت: لا.

فرفع أصبعيه عن أذنيه، وقال: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصنع مثل هذا[2].

= القرآن للجصاص ج٣ ص٤٤٢ و ٥٨٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٢٠٧ وفتح القدير ج٤ ص٢٣٦ والطبقات الكبرى ج١ ص١٣٨ وكتاب المجروحين ج٢ ص٢٤٦ وفتوح مصر وأخبارها ص١٢٤ وسيرة ابن غسحاق ج٥ ص٢٥١ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٣٥٥ وج١١ ص٢٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٩٥.

(١) الدر المنثور ج٢ ص٣٢٤ عن ابن أبي الدنيا، والحاكم، وابن عدي، وابن أبي شيبة، والبيهقي، وأبي داود، وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٣ وعن المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٥٦٠ و ٥٦١ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص١٠٧ وسنن أبي داود ج٤ ص٤٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٩٥ والمحلى ج٩ ص٥٨ ونيل الأوطار ج٢ ص٨٦ وعمدة القاري ج٢١ ص١٧٧ وعون المعبود ج١١ ص٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص١٩٣ والغدير ج٨ ص٧١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٢٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص١٦٩ وج٢٧ ص٣٥ وسنن أبي داود ج٢ ص٤٦١ والمغني ج١٢ ص٣٩ والشرح =

١٠ ـ عن علي «عليه السلام» مرفوعاً: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء، فذكر منها: إذا اتخذت القينات والمعازف[1].

فذلك كله يدل بوضوح: على أن استعمال المعازف والدفوف، ونحوها لا يرضاه الإسلام، ولا يقره.

والتفريق بين الموسيقى الكلاسيكية وغيرها لا أثر له في مصادر التشريع، ولا يعرف ذلك بين أهل ذلك الزمان، سواء في ذلك المتشرعة أو غيرهم.

روايات مكذوبة:

ومن رواياتهم المكذوبة والمتناقضة نذكر:

١ ـ استأذن أبو بكر على النبي «صلى الله عليه وآله»، وجارية تضرب

= الكبير ج١٢ ص٤٨ والمحلى ج٩ ص٦٨ والغدير ج٨ ص٧٥ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٣١٣ وعون المعبود ج١٣ ص١٨١ ومسند الشاميين ج١ ص١٨٦ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٤٤٣ وكنز العمال ج١٥ ص٢٢٧ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٦٣ والكامل ج٣ ص٢٦٩ وطبقاتن المحدثين بإصبهان ج٤ ص١٦١ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص٤٣٧ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٤٠٢.

(١) راجع: الجامع الصحيح للترمذي ج٤ ص٤٢٨ وتلبيس إبليس ص٢٤٩ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٥٣ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٦٣ وتحف العقول ص٥٣ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٣٨٢ وأمالي الطوسي ص٥١٦ والبحار ج٦ ص٣١١ وج٧٤ ص١٥٧ والغدير ج٨ ص٧١ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٣٤ والجامع الصغير ج١ ص١١٩ والعهود المحمدية ص٨٠٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٥٣ وتاريخ بغداد ج٣ ص٣٧٦.

بالدف، فدخل. ثم استأذن عمر، فدخل. ثم استأذن عثمان، فأمسكت.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إن عثمان رجل حييّ[١].

٢ ـ انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بعض غزواته، فجاءته جارية سوداء، فزعمت أنها نذرت: إن رد الله النبي «صلى الله عليه وآله» صالحاً أن تضرب بين يديه بالدف، وتغني. فأذن لها أن تفي بنذرها، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم علي، ثم عثمان، فلما دخل عمر ألقت الدف تحت إستها، وقعدت عليها، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن الشيطان يخاف (ليخاف) منك يا عمر الخ..[٢].

---

(١) مسند أحمد ج٤ ص٣٥٣ و ٣٥٤ وراجع ص٢٤٩ وج٦ ص١٥٥ و ١٦٧ والغدير ج٨ ص٨٠ وج٩ ص٢٧٤ وصحيح مسلم ج٧ ص١١٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٢٣١ ومجمع الزوائد ج٩ ص٨١ وعمدة القاري ج٤ ص٨١ و ٨٢ وج١٦ ص٢٠٢ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٢٣٣ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٥٦٥ و ٥٦٦ وج٣ ص١٠٢١ والأدب المفرد ص١٣١ وكتاب السنة ص٥٧٥ ومسند ابي يعلى ج٨ ص٢٤٢ والمعجم الكبير ج٦ ص٦١ ومسند الشاميين ج٤ ص٢٥٩ وكنز العمال ج١١ ص٥٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٨٣ و ٨٥ و ٩٣ وج٦٢ ص٢٣٢ و ٢٣٣ وأسد الغابة ج٢ ص٣١٠ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٧٩ والنهاية في غريب الحديث ص٤٤٤ ولسان العرب ج٨ ص٢٥٣.

(٢) أسد الغابة ج٤ ص٦٤ ونوادر الأصول للحكيم الترمذي ص٥٨ ومسند احمد ج٥ ص٣٥٣ و ٣٥٤ وسنن البيهقي ج١٠ ص٧٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٦٢ و (ط دار المعرفة) ص٢٤٧ ومصابيح السنة للبغوي، ودلائل الصدق ج١ ص٣٩٠ و ٣٩١ وعن الترمذي ج٢ ص٢٩٣ والتراتيب الإدارية ج٢ =

٣ ـ عن جابر: دخل أبو بكر على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يضرب بالدف عنده، فقعد ولم يزجر لما رأى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاء عمر، فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته قال: كف عن ذلك.

فلما خرجا قالت عائشة: يا رسول الله، كان حلالاً، فلما دخل عمر صار حراماً؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عائشة، ليس كل الناس مرخى عليه[1].

٤ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» دخل بيت عائشة، فوجد فيه جاريتين تغنيان، وتضربان بالدف، فلم ينههما عن ذلك، وقال عمر بن

= ص١٣١ والغدير ج٨ ص٦٤ و ٦٥ و ٩٦ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٧١ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٨٤ وفتح الباري ج١١ ص٥١٠ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٢٢ وعون المعبود ج٩ ص١٠٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٨١ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٦٧ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣١٥ ونصب الراية ج٤ ص٦٤ وموارد الظمآن ج٧ ص٩٩ والجامع الصغير ج١ ص٣١٢ وكنز العمال ج١١ ص٥٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٤ ص٨٣ و ٨٤ وأسد الغابة ج٤ ص٦٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٢٥٩ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٣٣.

(١) نيل الأوطار ج٨ ص٢٧١ ونوادر الأصول ص١٣٨ والغدير ج٨ ص٦٤ و ٦٥ وعن مشكاة المصابيح ص٥٥ وغيره، وكنز العمال ج٤ ص٢٤٨ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٩٥.

الخطاب حين غضب: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: دعهما يا عمر، فإن لكل قوم عيداً(١).

وروت عائشة: أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفعان وتضربان والنبي «صلى الله عليه وآله» متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي «صلى الله عليه وآله» عن وجهه فقال: «**دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد**»(٢).

٥ ـ زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرعى الغنم مع رفيق له، فطلب من رفيقه أن يحفظ له غنمه، ليسمر كما يسمر غيره، ثم جاء إلى

---

(١) اللمع لأبي نصر الطوسي ص٣٤٥ والغدير ج٨ ص٦٦ عنه.

(٢) راجع: فقه السنة ج١ ص٣٢٣ ومسند أحمد ج٦ ص٣٣ و ٩٩ و ١٢٧ و ١٦٨ وصحيح البخاري ج٢ ص٣ وج٤ ص٢٦٦ وصحيح مسلم ج٣ ص٢١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦١٢ وسنن النسائي ج٣ ص١٩٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٢٤ وعمدة القاري ج٦ ص٢٧٠ و ٢٧٤ وج١٧ ص٦٤ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٤ ومسند أبي راهويه ج٢ ص٢٧٢ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٥٥٢ ومسند ابي يعلى ج١ ص٥٠ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص١٨٨ والمعجم الكبير ج٢٣ ص١٨٠ وأمالي الحافظ الأصبهاني ص٥٧ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٤٣٦ وتغليق التعليق ج٢ ص٣٨٤ وكنز العمال ج١٥ ص٢١٢ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص٧٠ والبداية والنهاية ج١ ص٣٢٠ وقصص الأنبياء لابن كثير ص٩٣.

مكة، فسمع في اول دار منها عزفاً بالدفوف والمزامير، فجلس ينظر، فضرب الله على أذنه، فنام، فلم يستيقظ حتى مسته الشمس.

ثم جرى له في الليلة الثانية مثلما جرى له في سابقتها.. ثم لم يهمّ بعدها بسوء حتى أكرمه الله برسالته[1].

ونقول:

إن الحديث حول هذه الروايات طويل، ولكننا نذكر هنا بعض الإشارت الخاطفة مس ذلك، فنقول:

ألف: إن الروايات الأولى تقول: إن عثمان رجل حييّ، فهل ذلك يعني: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن كذلك، وكذا الحال بالنسبة لأبي بكَر وعمر، وهل يرضى اتباعهما ومحبوهما بنسبة ذلك إليهم؟!

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كان عثمان رجلاً حيياً فما شأن الجارية؟! هل كانت تعرف ذلك فيه فتراعيه، وتعرف خلافه في غيره، فتعامله وفق ما تعرفه منه؟!

ب: في الرواية الثانية: يصف النبي «صلى الله عليه وآله» فعل تلك

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ج١ ص٥٨ والبداية والنهاية ج٢ ص٢٨٧ والخصائص الكبرى للسيوطي ج١ ص٨٨ وأعلام النبوة للماوردي ص١٤٠ والكامل في التاريخ ج١ ص٤٧١ وعن المصادر التالية: عيون الأثر ج١ ص٤٤ والسيرة الحلبية ج١ ص١٢٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٩ والبحار ج١٥ ص٣٦٢ والغدير ج٨ ص٧٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٠٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٣٠٠ و ٣٦٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص١٣٦ وتفسير الرازي ج٣١ ص٢١٨.

الجارية أمامه بما يفيد: أنه فعل شيطاني. فكيف رضي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يفعل ذلك بحضرته؟!

ج: كيف ينعقد نذر في أمر يكون من أفعال الشياطين؟!

د: في الرواية الثالثة: إشارة إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» يتستر على أمور قد تكون من الحرام.

هـ: في الرواية الرابعة: دلالة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» يرضى بسماع مزمارة الشيطان، وأن تستعمل في داخل بيته.

و: إنها تدل على حلية سماع مزمارة الشيطان في أيام العيد.

ي: إذا كان ذلك من مزامير الشيطان، ويحل لتينك الجاريتين أن يستمعاه في عيدهما، فإن هذا العيد لم يكن لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليحل له سماع مزامير الشيطان.

ك: إن الرواية الخامسة: تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد همّ بفعل السوء.

ل: وفيها دلالة على أن الله قد تدخل لمنعه من ذلك السوء بصورة تكوينية، حيث ضرب على أذنه.

م: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يرتدع من المرة الأولى، فأعاد الكرة في الليلة الثانية أيضاً.

ن: وآخر ملاحظة نذكرها هنا: أن هذه الروايات رغم انها مكذوبة، فإنها تدل على حرمة الضرب على المعازف والدفوف، وعلى أنها من السوء، وأنها مزامير الشيطان، وما إلى ذلك، وهذا يعني: أن الأولى الإستدلال بها على الحرمة، وأنها من الأمور المفروغ عنها.

هذا ولابد لنا من العودة لتذكير القارئ الكريم بلزوم مراجعة ما ذكرناه في أوائل هذا الكتاب، في فصل: «حتى المدينة..» للاطلاع على المزيد مما قد يكون من المفيد الإطلاع عليه.

متعة النساء عام الفتح:

قال الحلبي الشافعي: وحلل المتعة ثم بعد ثلاثة أيام حرمها.

ففي صحيح مسلم، عن بعض الصحابة: «لما أذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المتعة خرجت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنها بكرة غيطاء».

وفي لفظ: «مثل البكرة العنطنطة، فعرضنا عليها أنفسنا. فقلنا لها: هل لك أن يستمتع منك أحدنا؟

فقالت: ما تدفعان؟

قلنا: بردينا».

وفي لفظ: «رداءينا».

فجعلت تنظر، فتراني أجمل من صاحبي، وترى برد صاحبي أحسن من بردي، فإذا نظرت إليّ أعجبتها، وإذا نظرت إلى برد صاحبي أعجبها، فقالت: أنت وبردك تكفيني، فكنت معها ثلاثاً».

والحاصل: أن نكاح المتعة كان مباحاً، ثم نسخ يوم خيبر، ثم أبيح يوم الفتح، ثم نسخ في أيام الفتح، واستمر تحريمه إلى يوم القيامة.

وكان فيه خلاف في الصدر الأول، ثم ارتفع. وأجمعوا على تحريمه، وعدم جوازه.

قال بعض الصحابة: «رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قائماً بين الركن والباب وهو يقول: أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الإستمتاع، ألا وإن الله حرمها إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء، فليخلِّ سبيلها، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً».

لكن في مسلم، عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال: «استمتعنا على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبي بكر، وعمر».

وفي رواية عنه: حتى نهى عنه عمر.

وقد تقدم في غزاة خيبر، عن الشافعي: لا أعلم شيئاً حرم ثم أبيح ثم حرم إلا المتعة، وهو يدل على: أن إباحتها عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر، ثم حرمت به.

وهذا يعارض ما تقدم: أن الصحيح أنها حرمت في حجة الوداع.

إلا أن يقال: يجوز أن يكون تحريمها في حجة الوداع تأكيداً لتحريمها عام الفتح، فلا يلزم أن تكون أبيحت بعد تحريمها أكثر من مرة، كما يدل عليه كلام الشافعي.

لكن يخالفه ما في مسلم عن بعض الصحابة: «رخص لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام أوطاس في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها».

وقد يقال: مراد هذا القائل بعام أوطاس عام الفتح، لأن غزاة أوطاس كانت في عام الفتح كما تقدم.

وما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من جوازها رجع عنه.

فقد قال بعضهم: والله، ما فارق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا حتى رجع إلى قول الصحابة في تحريم المتعة.

ونقل عنه رضي الله تعالى عنه: أنه قام خطيباً يوم عرفة، فقال: أيها الناس، إن المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير.

والحاصل: أن المتعة من الأمور الثلاثة التي نسخت مرتين.

الثاني: لحوم الحمر الأهلية.

الثالث: القبلة، كذا في (حياة الحيوان)[1].

وعن سبرة قال: حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» متعة النساء يومئذٍ[2]. يعني: عام الفتح.

ونقول:

إن زواج المتعة هو من الموضوعات الخلافية المعروفة فيما بين شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، وبين أهل السنة، حيث اتفق الجميع على أن هذا الزواج كان حلالاً في أول الإسلام، ثم ادَّعى أهل السنة أنه قد نسخ.. وأنكر عليهم الشيعة هذه الدعوى، وردوها بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة.

وقد اضطربت روايات أهل السنة في تاريخ نسخ هذا الزواج، وفي ناسخه، وكلها اجتهادات تستند إلى دعاوى مدخولة، أو إلى أخبار آحاد، لا تقوم بها حجة، ولا يثبت بها شيء..

وقد ناقشنا جميع تلك المزاعم وسواها في كتابنا: «زواج المتعة: تحقيق

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٣ و ١٠٤ و (ط دار المعرفة) ص٥٨ وراجع: البحر الرائق ج٣ ص١٩٠ .

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٦٥ وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص٣.

ودراسة» وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء، صادر عن المركز الإسلامي للدراسات، فيمكن الرجوع إليه، لمن أراد التوسع في البحث، والإستقصاء في البيان.

غير أننا نشير هنا: إلى نبذة يسيرة تفيد في توضيح الأمر فيما يرتبط بخصوص الروايات التي تزعم أن هذا الزواج قد نسخ في فتح مكة.

أما سائر المزاعم التي أوردها الحلبي في عبارته المتقدمة، فقد فندناها بما لا مزيد عليه في كتابنا: «زواج المتعة: تحقيق ودراسة» فمن أراد الوقوف عل ذلك، فليراجع ذلك الكتاب.

أما هنا فنكتفي بما يلي:

روايات النسخ يوم الفتح:

١ ـ عن الحارث بن غزية: سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» يوم فتح مكة يقول: متعة النساء حرام. ثلاث مرات[1].

٢ ـ وقد روي عن سبرة بن معبد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نهى يوم الفتح عن متعة النساء[2]. رواه مسلم.

---

(١) مجمع الزوائد ج٤ ص٢٦٦ عن الطبراني، والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٢٧٣ والإستيعاب ج١ ص٢٩٩.

(٢) راجع السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٠٢ و ٢٠٤ وسنن الدارمي ج٢ ص١٤٠، ومسند الشافعي ص٢٥٥ دون تعيين المناسبة، وكذا في لباب التأويل ج١ ص٣٤٣ وكذا في تحريم نكاح المتعة للمقدسي ص٣٤ و ٣٥، وعلل الحديث للرازي ج١ ص٤٢٠، وكنز العمال ج٢٢ ص٩٧ و ٩٦، وجامع الأصول =

٣ ـ وفي رواية: أمرنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج حتى نهانا عنها[١] رواه مسلم.

٤ ـ وفي نص آخر رواه مسلم وغيره، عن سبرة أنه قال: أذن لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمتعة، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر، كأنها بكرة عيطاء، فعرضنا أنفسنا عليها، فقالت: ما تعطي؟

فقلت: ردائي.

وقال صاحبي: ردائي.

وكان رداء صاحبي أجود من ردائي، وكنت أشبّ منه، فإذا نظرت إلى رداء

= ج١٢ ص١٣٤، وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٦، والتاج الجامع للأصول ج٢ ص٣٣٥، وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص٢١٨، والإستذكار ج١٦ ص٢٨٩ و ٢٩٠، والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٣٨٩، ومسند أحمد ج٣ ص٤٠٤ ومسند الحميدي ج٢ ص٣٧٤ وحلية الأولياء ج٥ ص٣٦٣ والمعجم الكبير ج٧ ص١١٢ و١١٣ وكتاب الأم ج٧ ص١٨٣ والشرح الكبير ج٧ ص٥٣١ وكتاب المسند للشافعي ص٣٨٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٢٧ ومسند عمر بن عبد العزيز ص١٧٣ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٤٥٤ و ٤٦٤ ومعرفة علوم الحديث ص١٥٠ ومسند أبي حنيفة ص٤٠ و ٢٧٠ ومعرفة السنن والآثار ج٥ ص٣٤١ والآحاد والمثاني ج٥ ص٢٩.

(١) البداية والنهاية ج٤ ص١٩٣ و ٣١٩، والإحسان ج٩ ص٤٥٧ وهامش ص٤٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٦٦، وراجع المعجم الكبير رقم ٦٥٢٥ و ٦٥٢٦، والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٠٣ و ٢٠٢ وكشاف القناع ج٥ ص١٠٦ ونيل الأوطار ج٦ ص٢٦٩ وصحيح مسلم ج٤ ص١٣٣ وفتح الباري ج٩ ص١٤٦ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٥٨.

صاحبي أعجبها، وإذا نظرت إلي أعجبتها، ثم قالت: أنت ورداؤك يكفيني.

فمكثت معها ثلاثاً، ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع، فليخل سبيلها»[1].

وللحديث نصوص أخرى متقاربة يمكن مراجعتها في المصادر المختلفة.

مناقشة روايات النسخ:

أولاً: إن رواية الحارث بن غزية، وكذلك رواية سبرة لا تتلاءم مع

---

(١) راجع: صحيح مسلم ج٤ ص١٣١و ١٣٣، وفتح الملك المعبود ج٣ ص٢٢٤، وسنن البيهقي ج٧ ص٢٠٢ و ٢٠٣، وأوجز المسالك ج٩ ص٤٠٦، ومسند أحمد ج٣ ص٤٠٥.

وروايات سبرة حول نهي النبي «صلى الله عليه وآله» عن المتعة يوم الفتح توجد في كتاب: التمهيد ج١٠ ص١٠٦، والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٣ عن البخاري، وأشار إليها الترمذي في الجامع الصحيح المطبوع مع تحفة الأحوذي ج٤ ص٢٦٨، وكذا في تحفة الأحوذي نفس الجزء، والصفحة عن المنتقى، والتفسير الكبير ج١٠ ص٥١، ونصب الراية ج٣ ص١٧٧، والمنار في المختار ج١ ص٤٦٢، وفقه السنة ج٤ ص٤٢ وتحريم نكاح المتعة ص٥٨ و ٥٩ و ٦١، ومسند الحميدي (ط المكتبة السلفية) ج٢ ص٣٧٤ وسنن سعيد بن منصور (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢١٧ وراجع ص٢١٨، وراجع: حواشي البجيرمي على الخطيب ج٣ ص٣٣٦، ومرقاة المفاتيح ج٣ ص٤٢٢ والمبسوط للسرخسي ج٥ ص١٥٢ وسنن النسائي ج٦ ص١٢٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٢٩ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٠ ص١٣٤ وتهذيب الكمال ج٩ ص٨٤.

الروايات الأخرى التي تقول: إن المتعة قد حرمت عام خيبر، أو أوطاس، أو عمرة القضاء، أو حنين، أو حجة الوداع، أو تبوك.

ثانياً: إنها تتناقض مع الروايات الكثيرة المثبتة في كتب أهل السنة، سواء في ذلك كتب الصحاح وغيرها.. والتي صرحت: بأن عمر هو الذي حرم زواج المتعة، وأن هذا الزواج كان حلالاً في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعهد أبي بكر، وشطر من خلافة عمر.

وقد أوردنا في كتابنا: «زواج المتعة: تحقيق ودراسة» أكثر من مائة رواية تدل على بقاء حلية المتعة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثالثاً: إن رواية سبرة المتقدمة لا تدل على التحريم، بل هو «صلى الله عليه وآله» قد أمرهم بتخلية سبيل النساء استعداداً للرحيل.. ولعل هذا هو النص المعقول من رواية سبرة.

وأما الكلمات التي تدل على التحريم المؤبد، فلعلها إضافات متعمدة على الروايات الصحيحة..

رابعاً: هناك تناقضات لا بد من ملاحظتها في نفس رواية سبرة، فهل أعطى المتمتع تلك المرأة بردين أحمرين؟[1]. أم أعطاها برداً واحداً؟[2].

---

(١) راجع: صحيح مسلم ج٤ ص١٣٣و ١٣٤ ومسند عمر بن عبد العزيز ص١٧٦ والمعجم الطكبير للطبراني ج٧ ص١١٢ ونصب الراية ج٣ ص٣٣٣ و ٣٣٧ وتهذيب الكمال ج٨ ص١٧٧ والمنتخب من الصحاح الستة لمحمد حياة الأنصاري ص١٣٣.

(٢) راجع: صحيح مسلم ج٤ ص١٣١ و ١٣٢ و١٣٣ ومسند أحمد ج٣ ص٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ وسنن الدارمي ج٢ ص١٤٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٣١ =

وهل الذي كان مع سبرة هو أخوه؟[١]. أو ابن عم له؟[٢]. أو أنه عمه؟[٣]

= والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٠٢ و ٢٠٣ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٦٤والمصنف للصنعاني ج٧ ص٥٠٤ والمنتقى من السنن المسندة ص١٧٥ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١٠٨ و ١١٠ و ١١١ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٤٥١ و ٤٥٣ ومعرفة علوم الحديث ص١٧٦ ومعرفة السنن والآثار ج٥ ص٣٤٣ والتمهيد لابن عبد البر ج١٠ ص١٠٧ و ١٠٨ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٤١٤ ونصب الراية ج٣ ص٣٣٤ وكنز العمال ١٦ ص٥٢٤ و ٥٢٥ وتفسير الميزان ج٤ ص٢٩٢ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص١٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٠ ص١٣٣ وَج٣٦ ص٣٢٤ والإصابة ج٣ ص٢٦ والخلاف للطوسي ج٤ ص٣٤٢.

(١) تحريم نكاح المتعة للمقدسي ص٥٩.

(٢) راجع: صحيح مسلم ج٤ ص١٣٢ ومسند أحمد ج٣ ص٤٠٥ و ٤٠٦ وسنن الدارمي ج٢ ص١٤٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٣١ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٦٤ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٢٣٨ والمنتقى من السنن المسندة ص١٧٥ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٤٥٤ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٤٥٢ ومعرفة والإستذكار ج٥ ص٥٠٤ والسنن والآثار ج٥ ص٣٤٣ والتمهيد لابن عبد البر ج١٠ ص١٠٧ و ١٠٨ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٤١٤ والمعجم الأوسط ج٢ ص٨٣ ونصب الراية ج٣ ص٣٣٤ وكنز العمال ج١٦ ص٥٢٥ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص١٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٣٢٤ والخلاف للطوسي ج٤ ص٣٤٢ وجامع الخلاف والوفاق ص٤٦٠ والينابيع الفقهية ج٣٨ ص٥٥

(٣) راجع: المبسوط للسرخسي ج٥ ص١٥٢

أو أنه من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»؟[1] أو أنه صاحبه؟[2] أو أنه من قومه؟[3] أي من جهينة. وجهينة من قضاعة. أو أنه من بني سليم؟[4] وهم إما بطن من عدنان، أو من قحطان[5].

وهل الوسيم الذي استمتع بالمرأة هو سبرة، وكان برده خلقاً؟ أما

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٧٠ وج٢٠ ص١٣٣ وراجع: صحيح مسلم ج٤ ص١٣١ وسنن النسائي ج٦ ص١٢٧ وج٧ ص٢٠٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٢٨ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٤٥٣ والمعجم الكبير ج٧ ص١١٠ و ١١١ والتمهيد لابن عبد البر ج١٠ ص١٠٨ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٤١٤ ونصب الراية ج٣ ص٣٣٤ وتهذيب الكمال ج٩ ص٨٤.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٠٤ و ٤٠٥ صحيح مسلم ج٤ ص١٣٣ والمصنف ج٧ ص٥٠٤ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٤٥٣ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٤٥١ و ٤٥٣ وكنز العمال ج١٦ ص٥٢٤ والإصابة ج٣ ص٢٦ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٥ .

(٣) راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٠٢ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٤٥٥ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١١١ وتفسير الميزان ج٤ ص٢٩٢ وصحيح مسلم ج٤ ص١٣٢

(٤) راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٠٣ وصحيح مسلم ج٤ ص١٣٣ ومعرفة علوم الحديث ص١٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٠ ص١٣٣ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٤٥٥.

(٥) راجع: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٢٦١ و ٢٧٩ و ٤٠٨ و ٤٤٤.

الآخر، فكان دمياً، وبرده جديد؟ أم العكس؟»[1].

خامساً: إن هذه الرواية خبر واحد، والنسخ لا يثبت بأخبار الآحاد، لأنها تنتهي إلى الحارث بن غزية، وسبرة بن معبد، برواية ولده عبد الرحمن بن سبرة عنه، ثم حفيده عبد الملك بن عبد الرحمن، عن أبيه.

إلا أن حذيفة قد روى هذه الرواية عن الزهري، عن محمد بن عبد الله عن سبرة[2].

مع أن المتوقع هو: أن يروي ذلك النسخ عن النبي «صلى الله عليه وآله» عشرات الصحابة، لأن رواية سبرة تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعلن هذا التحريم على المنبر، وهو قائم بين الركن والمقام، أو بين الباب والحجر، أو بين الباب وزمزم، أو نحو ذلك[3].

ومن الواضح: أن هذا الأمر مما يهتم الناس لتحليله ولتحريمه على حد سواء.

سادساً: إن حديث سبرة متناقض في نفسه، لأن بعض نصوصه تقول:

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٠٥ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٦٤، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) تحريم المتعة للمحمدي ص١٦٦ و ١٦٧ وراجع: أحكام القرآن للجصاص ج٢ ص١٩٠.

(٣) راجع: التمهيد لابن عبد البر ج٩ ص١٠٧ وصحيح مسلم ج٤ ص١٣٢ ومسند الحميدي ج٢ ص٣٧٤ وتحريم نكاح المتعة للمقدسي ص٦١ والتفسير الحديث ج٩ ص٥٣ والمرأة في القرآن والسنة ص١٨٠ ومصادر كثيرة أخرى.

إن ما جرى من تحليل، ثم تحريم المتعة قد كان عام الفتح[1].

وبعضها الآخر يصرح: بأن ذلك كان في حجة الوداع[2].

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٠٤ و ٤٠٥ وسنن الدارمي ج٢ ص١٤٠ وصحيح مسلم ج٤ ص١٣٢ و ١٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٠٢ و ٢٠٤ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١٨٠ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٦٤ ومسند الحميدي ج٢ ص٣٧٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٣٨٩ والآحاد والمثاني ج٥ ص٢٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٢٨ ومسند عمر بن عبد العزيز ص١٧٥ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٤٥٣ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١١٠ و ١١١ و ١١٢ والخلاف للطوسي ج٤ ص٣٤٢ وجامع الخلاف والوفاق ص٤٦٠ والينابيع الفقهية ج٣٨ ص٥٥ والمجموع للنووي ج١٦ ص٢٥٤ والمبسوط للسرخسي ج٥ ص١٥٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج٧ ص٥٣٧ وكشف القناع ج٥ ص١٠٦ ونيل الأوطار ج٦ ص٢٦٩ و ٢٧٣ والغدير ج٦ ص٢٣٩ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٤٦٤ و ٤٦٥ ومسند أبي حنيفة ص٤٠ ومعرفة السنن والآثار ج٥ ص٣٤١ والإستذكار ج٥ ص٥٠٣ والتمهيد لابن عبد البر ج١٠ ص١٠٢ و ١٠٣ ونصب الراية ج٣ ص٣٣٦ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٥٨ وكنز العمال ج١٦ ص٥٢٥ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢١٠ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص١٩٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٢٠ و ٣٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٦٦ و ٦٠١.

(٢) جامع الأصول ج١٢ ص١٣٥ والتمهيد ج٩ ص١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧، وفتح القدير ج١ ص٤٤٩، والإستذكار ج١٦ ص٢٩٠ و ٢٩١، والبناية في شرح الهداية ج٤ ص١٠٠، والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص١٣١، ونيل الأوطار ج٦ ص٢٦٩ و ٢٧٢، وفتح الباري ج٩ ص١٤٦ و ١٤٩، والإعتصام بحبل الله المتين=

أو في عمرة القضاء[1]. فأي ذلك هو الصحيح؟!

تعدد نسخ تشريع المتعة:

أما حديث: أن هذا الزواج أبيح ثم نسخ، ثم أبيح، ثم نسخ، مرتين أو ثلاثاً، أو أكثر، فهو غير صحيح، فإن المتعة قد شرعت بالقرآن، وقام

= ج٣ ص٢٠٤ و ٢٠٣، وراجع شرح الموطأ للزرقاني ج٤ ص٤٦ عن أبي داود، وعن سنن أبي داود ج١ ص٢٨٣ وج٢ ص٢٢٦ و ٢٢٧ الحديث رقم (٢٠٧٢)، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٧٤، والبداية والنهاية ج٤ ص٤١٨ ومسند أحمد ج٣ ص٤٠٤ و ٤٠٥، وتحريم نكاح المتعة للمقدسي ص٣٤ و ٣٥، والإعتبار في الناسخ والمنسوخ ج٥ ص١٧٦ وراجع ص١٧٧، وشرح النووي على صحيح مسلم ج٩ ص١٨٠ وتاريخ بغداد ج٦ ص١٠٥ و ١٠٦ وأوجز المسالك ج٩ ص٤٠٧، والمنتقى ج٢ ص٥٢٢ عن أحمد، وأبي داود، والسنن الكبرى ج٧ ص٢٠٣ و ٢٠٤، وراجع غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول ج٢ ص٣٣٥، وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٥، وكنز العمال ج٢٢ ص٩٧ و ٩٨ عن ابن جرير، وعبد الرزاق، وإرواء الغليل ج٦ ص٣١٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٣١ وسنن الدارمي ص١٤٠ والإحسان ج٩ ص٤٥٤ و ٤٥٥ وكتاب العلوم لأحمد بن عيسى بن زيد ص١٢، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٣، والهداية في تخريج أحاديث البداية ج٦ ص٥٠٨ عن صحيح ابن حبان، وعن المنتقى لابن الجارود ص٢٣٤، ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٦٤ عن أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(١) راجع: التمهيد ج٩ ص١٠٨، ونيل الأوطار ج٦ ص٢٧٢، وشرح النووي على مسلم ج٩ ص١٨٠ والمجموع للنووي ج١٦ ص٢٥٤ وعمدة القاري ج١٠ ص١٦٦ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٥٠٤ والإستذكار لابن عبد البر ج٥ ص٥٠٤ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص١٣١.

الإجماع على تشريعها، ودلت على ذلك أيضاً الأخبار المتواترة.

وقد ذكرنا: أن جماعات كثيرة من الصحابة والتابعين، وأئمة المذاهب، وعلماء السلف قائلون ببقاء تشريعها.. ولكن عمر هو الذي حرمها.

فإذا كانت المتعة قد شرعت بالقرآن، فالسنة لا تنسخ القرآن[١]. كما أن

---

(١) المستصفى للغزالي ج١ ص١٢٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ وفواتح الرحموت بهامشه ج٢ ص٧٨، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣ ص١٣٩ وراجع ج٤ ص١٠٧ ونهاية السؤل للأسنوي ج٢ ص٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨٦ متناً وهامشاً، وراجع ج٤ ص٤٥٧، وإرشاد الفحول ص١٩١، وقال: وبه جزم الصيرفي والخفاف، وأصول السرخسي ج٢ ص٦٧ و ٦٨ و ٦٩، ولباب التأويل للخازن ج١ ص٣٤٣ والإعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص٢٨ وتنقيح الفصول ص٣١١ وأحكام الفصول لابن خلف الناجي ص٣٥٨ وتيسير التحرير ج٣ ص٢٠١ وإرشاد الفحول ص١٩٠ وفواتح الرحموت ج٢ ص٧٦ والغدير ج٦ ص٢٣٣ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص٢٠٣ وتفسير البحر المحيط ج٣ ص٢٠٦ والمحصول للرازي ج٣ ص٣٥١ والمجموع للنووي ج١٥ ص٤٢٢ ونيل الأوطار ج٦ ص١٥٢ وفتح الباري ج٥ ص٢٧٨ وتحفة الأحوذي ج٦ ص٢٦١ وتفسير الرازي ج٢٠ ص١١٦ والفصول في الأصول للجصاص ج٢ ص٣٥٣ والإستذكار ج٧ ص٢٦٤ وفقه القرآن للراوندي ج٢ ص٣٧٠ وتفسير البحر المحيط ج٣ ص٢٠٦ والإتقان في علوم القرآن ج٢ ص٥٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص٤٥١ واللمع في أصول الفقه ص١٧٤ وإختلاف الحديث للشافعي ص٤٨٤ وعمدة القاري ج١ ص٢٤٧ والتبيان ج٣ ص١٦٧.

السنة المتواترة لا تنسخ بأخبار الآحاد[1].

وقد قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: والقول بأن السنة لا تنسخ القرآن مذهب أكثر الشيعة، وجماعة من المتفقهة وأصحاب الحديث، ويخالفه كثير من المتفقهة والمتكلمين[2].

وتعدد النسخ مما لا يعهد في الشرع، ولا يقع مثله فيها[3].

وقال العسقلاني عن روايات النسخ: لا يصح من الروايات شيء بغير

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٢ ص١٣٤، وإرشاد الفحول ص١٩٠ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٤٠٣ و ٤٥١ ونيل الأوطار ج٩ ص١٩٤ وفتح الباري ج٥ ص٢٠٧ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٤٧٩ وشرح مسلم للنووي ج٤ ص٣٧ واللمع في أصول الفقه ص١٧٣ منتهى المطلب (ط ج) ج٢ ص٨٣ والينابيع الفقهية ج١٢ ص١٥٦ وج٣٤ ق١ ص٢٧١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٤٢ والتبيان ج٢ ص١٠٨ وتفسير جوامع الجامع ج١ ص١٨١ ونواسخ القرآن ص٢٧ وتفسير الرازي ج٥ ص٦٨ وج٩ ص٢٣٢ وج١٠ ص٤٣ وج١١ ص٢١ و ١٦٣ وتفسير البحر المحيط ج٣ ص٢٠٤ وعدة الأصول (ط ج) ج٢ ص٥٣١ والفصول في الأصول ج١ ص١٦٣ و ١٩٦ وج٢ ص٢٧٦ و ٣٢١ والمستصفى ص٢٤٨ والمحصول ج٣ ص٣٤٩.

(٢) راجع: أوائل المقالات ص١٢٣.

(٣) راجع: زاد المعاد ج٢ ص١٨٣ وفقه السنة ج٢ هامش ص٤٢ والمنتقى ج٢ هامش ص٩٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٣ وتفسير النيسابوري (مطبوع بهامش الطبري) ج٥ ص١٩ والتفسير الكبير للرازي ج١٠ ص٥٢ وسنن البيهقي ج٧ ص٢٠١ و ٢٠٧ .

علة إلا غزوة الفتح[١].

وروايات الفتح خبر واحد، لا يصح النسخ بها، بالإضافة إلى عاهات وعلل أخرى ذكرنا بعضها في كتاب: «زواج المتعة تحقيق ودراسة» فراجعه.

على أن نفس القائلين بنسخ المتعة في زمان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يروون: أن الصحابة كانوا يستمتعون على عهد أبي بكر وعمر، حتى نهاهم عمر.

وأما ما نسب إلى ابن عباس: من أنه رجع عنها، إلا في حال الضرورة، فهو لا يفيد شيئاً، لأن المفروض: أن الرجوع عنها يقتضي القول بنسخها مطلقاً.

مع أنهم ينسبون إليه أنه قال: إنه إنما أحلها حال الضرورة. وأنه لم يرجع عن قوله هذا. والحال أنهم ينكرون بقاء تشريعها حتى في هذه الحال أيضاً.

مدة الإقامة التي يجب فيها القصر:

عن ابن عباس قال: أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين[٢].

---

(١) فتح الباري ج٩ ص١٤٦ و ١٤٧.

(٢) سبل السلام ج٢ ص٤٠ وصحيح البخاري ج٥ ص٩٥ وفتح الباري ج٧ ص١٨ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٨٨ وراجع: معرفة السنن والآثار ج٢ ص٤٣٤ والمجموع للنووي ج٤ ص٣٦٠ وفتح الباري ج٢ ص٤٦٣ وج٨ ص١٧ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٤٩ و ١٥٠ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٧٥ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤١٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦١ وتلخيص الحبير ج٤ ص٤٥٠.

وفي لفظ: «أقمنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة تسعة عشر نقصر الصلاة»(١).

وعند أبي داود: سبعة عشر(٢).

وعن عمران بن حصين قال: غزوت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» الفتح، فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين»(٣).

---

(١) سبل السلام ج٢ ص٤٠ وصحيح البخاري ج٥ ص٩٥ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٨٨ معرفة السنن والآثار ج٢ ص٤٣٤ ونصب الراية ج٢ ص٢٢١ وأضواء البيان ج١ ص٢٧٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٦٢ والمجموع للنووي ج٤ ص٣٦٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦١ عن البخاري، وأبي داود، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ ونصب الراية ج٢ ص٢٢١ وراجع: سبل السلام ج٢ ص٤٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٦٢ ونيل الأوطار ج٣ ص٢٥٦ والمجموع للنووي ج٤ ص٣٦٠ والمعجم الكبير للطبراني ج١١ ص٢٥٨ وفتح الباري ج٢ ص٤٦٣ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٩٣ وتلخيص الحبير ج٤ ص٤٥٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٤٩ و ١٥٠ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٢٠٢ والمعجم الكبير للطبراني ج١١ ص٢٠٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦١ وج٨ ص٢٣١ عن أبي داود، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٤ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٩١ و ٩٣ وعون المعبود ج٤ ص٧٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج١ ص٤١٩ وج٢ ص٣٣٨ والمعجم الكبير للطبراني =

وعن أنس قال: «أقمنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشرة نقصر الصلاة»[1].

وقال الشافعي: «قد قصر أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

= ج١٨ ص٢٠٩ والإستذكار ج٢ ص٢٢٩ وج٢ ص٢٤٣ و٢٥٠ والتمهيد لابن عبد البر ج١٦ ص٣١٤ وج٢٢ ص٣٠٧ ونصب الراية ج٢ ص٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص٢١٢ وكنز العمال ج٧ ص٥٤٥ وج٨ ص٢٣٧ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣١٨ وأضواء البيان للشنقيطي ج١ ص٢٧٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٢ و ٤٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٣ و ١٤٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٦٢ والمغني لابن قدامة ج٢ ص١٣٠ و ١٣٨ والشرح الكبير لابن قدامة ج٢ ص١٠٣ وتلخيص الحبير ج٤ ص٤٤٩ ونيل الأوطار ج٣ ص٢٥٦ والغدير ج٨ ص١١٣ ومسند أحمد ج٤ ص٤٣١ و ٤٣٢ وسنن أبي داود ج١ ص٢٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٥٧ وفتح الباري ج٢ ص٤٦٣ .

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦١ عن البخاري باب مقام النبي «صلى الله عليه وآله» بمكة زمان الفتح، وعن صحيح مسلم ج٢ ص١٤١ ح(١٥) و (ط دار الفكر) ص١٤٥ وعن صحيح البخاري ج١ ص٣٦٧ ح(١٠٣١) وج٤ ص١٥٦٤ ح(١٠٤٦). وراجع: المحلى ج٥ ص٢٦ وتلخيص الحبير ج٤ ص٤٤٤ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٤٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١٥٣ وشرح مسلم للنووي ج٥ ص٢٠٢ والديباج على مسلم ج٢ ص٣٢٨ وضعفاء العقيلي ج٤ ص٤٠٠ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٧٥

معه عام الفتح»[١].

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وابن عباس: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقام بمكة عام الفتح خمس عشرة يقصر الصلاة»[٢].

وعن عراك بن مالك: أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشرين ليلة يصلي ركعتين[٣].

قال الحلبي: «وبهذا الثاني قال أئمتنا: إن من أقام بمحل لحاجة يتوقعها

---

(١) الأم ج١ ص١٦٥ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٥٣ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٤٣٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦١ وج٨ ص٢٣١ عن أبي داود، والنسائي، وصححه الحافظ. والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٧١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٠ وأضواء البيان ج١ ص٢٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٦٢ والمجموع للنووي ج٤ ص٣٦٠ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٩٢ و ٩٣ وعون المعبود ج٤ ص٧٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٣٤٠ وج٨ ص٥٤٠ والمعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص٣٠٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٦٢ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٤٣٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٩ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٤٢ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤١٧ وتلخيص الحبير ج٤ ص٤٥٠ وج٧ ص٣٥٥ وسبل السلام ج٢ ص٤٠ ونيل الأوطار ج٣ ص٢٥٦ والإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص٢٤٦ و ٢٤٨ ونصب الراية ج٢ ص٢٢٤ والجوهر النقي ج٣ ص١٥١ وسنن أبي داود ج١ ص٢٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٥١ .

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٧١ وتلخيص الحبير ج٤ ص٤٤٩ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٩٤ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٢٠١.

كل وقت قصر ثمانية عشر يوماً غير يومي الدخول والخروج، ولعل سبب إقامته المدة المذكورة: أنه كان يترجى حصول المال الذي فرقه في أهل الضعف من أصحابه، فلما لم يتم له ذلك خرج من مكة إلى حنين لحرب هوازن»[1].

ونقول:

١ ـ إن الثابت عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام»: أن من نوى إقامة عشرة أيام فإنه يتم الصلاة، أما من بقي متردداً فإنه يقصر الصلاة إلى شهر، ثم يبدأ بالإتمام.

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن ثمة اختلافاً في مدة بقاء النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة، ما بين عشرة أيام إلى عشرين يوماً.

فإن أخذنا برواية بقائه عشرة أيام، فإن القصر في الصلاة يصبح أمراً طبيعياً إذا كانت العشرة غير تامة.

وإن أخذنا بسائر الروايات: فإن تقصير الصلاة لا بد أن يكون بسبب التردد في مدة البقاء، وتوقع الخروج يوماً بعد آخر.

فإن اعترض أحد: بأنه كيف يتردد النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنتم تقولون: إن الله يطلعه على غيبه؟!

فالجواب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما يتعامل مع الأمور وفق مسارها الطبيعي، لا وفق ما يطَّلِع عليه بوسائط غير عادية. فإذا علم بعلم الشاهدية: أن فلاناً مثلاً سارق، فليس له أن يقطع يده إذا لم يشهد شاهدان عليها بالسرقة، أو يقر هو بذلك.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٤.

وكذلك الحال: لو أخبره جبرئيل «عليه السلام»: بأن مقامه بمكة سوف يستمر إلى عشرين يوماً. لكن مسار الأمور يعطي: أن يتوقع الخروج يوماً بعد آخر. فإن عليه أن يعمل وفق هذا المسار الطبيعي، الذي يجعل الناس عادة في موقع التردد؛ فيأخذ حكم المتردد في الإقامة في عباداته، ومعاملاته مع الناس. وغير ذلك.

٢ ـ إن ما ذكروه: من أن سبب بقائه «صلى الله عليه وآله» في مكة هو توقع حصول المال الذي اقترضه، ليؤديه لأصحابه. غير سديد:

أولاً: لأن أداء دينه لا يحتاج إلى بقائه، إذ يمكنه أن يرجع إلى المدينة، ويرسل به إلى دائنه. خصوصاً وأن الذين يعطون الأخماس والزكوات لم يحملوا أموالهم إلى مكة ليؤدوا للنبي «صلى الله عليه وآله» الحق الشرعي منها.. ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يعتمد في أداء ديونه على غنائم الحرب، ولا كان يخطط لشن غزوات من أجل أدائها منها.

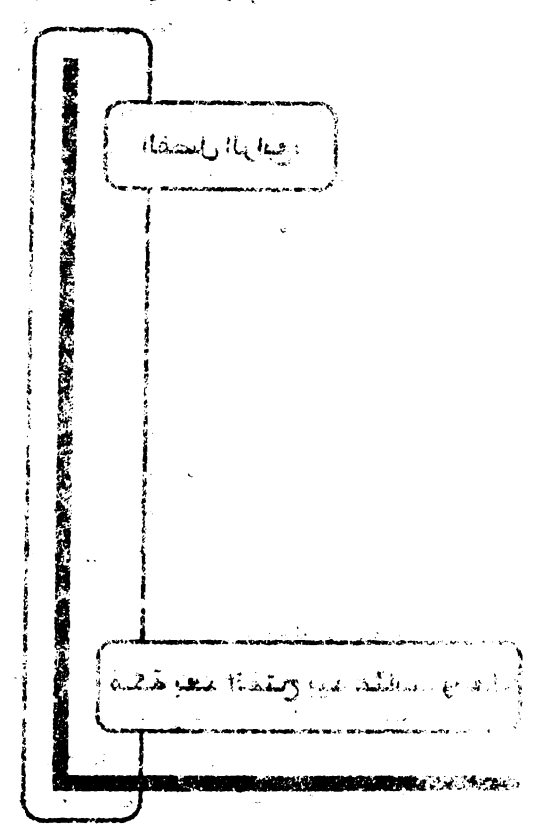
ثانياً: إنه ليس ثمة ما يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد التزم بأداء ذلك المال وهو في مكة، كما لا دليل على أنه التزم بأدائه لهم في هذه المدة الوجيزة، فلعل مهلة الأداء تمتد إلى شهور، أو سنوات.

ثالثاً: إن خروجه «صلى الله عليه وآله» إلى حرب هوازن ليس لأجل الحصول على المال، بل لأنها حرب قد فرضت عليه في هذا الوقت، بسبب جمعهم له، وظهور خطرهم.. على أن حصول النبي «صلى الله عليه وآله» على المال لا ينحصر بأن يكون عن طريق الغزو، فهناك مصادر أخرى له، مثل الزراعات والتجارات، والأخماس المترتبة على الناس في أموالهم حسبما ألمحنا إليه.



الفصل الرابع:

مكة بعد الفتح بيد عتّاب.. ومعاذ



عتاب بن أسيد على مكة:

قالوا: وولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عتاب بن أسيد، وعمره ثماني عشرة، أو إحدى وعشرون سنة أمر مكة، وأمره «صلى الله عليه وآله» أن يصلي بالناس، وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة[1].

قال في السيرة الحلبية: «في الكشاف، وعنه «صلى الله عليه وآله»: أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال: «انطلق فقد استعملتك على أهل الله. أي وقال ذلك ثلاثاً» فكان شديداً على المريب، ليناً على المؤمن.

وقال: والله، لا أعلم متخلفاً يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه، فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق.

فقال أهل مكة: يا رسول الله، لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد، أعرابياً، جافياً؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة، فأخذ بحلقة الباب، فقلقلها قلقالاً شديداً حتى فتح له، فدخلها، فأعز الله به الإسلام، فنصرته للمسلمين على من يريد

---

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٩ .

ظلمهم»[١].

هذا.. وفي تاريخ الأزرقي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «لقد رأيت أسيداً في الجنة، وأنى. أي كيف يدخل أسيد الجنة.

فعرض له عتاب بن أسيد، فقال: هذا الذي رأيت، ادعوه لي.

فدعي له، فاستعمله يومئذ على مكة، ثم قال: يا عتاب، أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله، فاستوص بهم خيراً. يقولها ثلاثاً.

فإن قيل: كيف يقول عن أسيد إنه رآه في الجنة، ثم يقول عن ولد أسيد إنه الذي رآه في الجنة.

قلنا: لعل عتاباً كان شديد الشبه بأبيه، فظن «صلى الله عليه وآله» عتاباً أباه، فلما رآه عرف أنه عتاب لا أسيد.

وفي كلام سبط ابن الجوزي: عتاب بن أسيد استعمله رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أهل مكة لما خرج إلى حنين وعمره ثماني عشرة سنة.

وفي كلام غيره ما يفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما استخلف عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عوده من الطائف، وعمرته من الجعرانة.

إلا أن يقال: لا مخالفة، ومراده باستخلافه إبقاؤه على ذلك.

إلى أن قال في السيرة الحلبية: وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٩ و ٦٠ وتفسير الثعلبي ج٦ ص١٢٨ وميزان الإعتدال للذهبي ج٢ ص٤٠٦ والإصابة ج٤ ص٣٥٧ ولسان الميزان ج٣ ص٢٧٠.

رأى في المنام: أن أسيداً والد عتاب والياً على مكة مسلماً، فمات على الكفر، فكانت الرؤيا لولده، كما تقدم مثل ذلك في أبي جهل وولده عكرمة.

ولما ولاه «صلى الله عليه وآله» على مكة جعل له في كل يوم درهماً، فكان يقول: لا أشبع الله بطناً جاع على درهم في كل يوم.

ويروى: أنه قام فخطب الناس، فقال: يا أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم. أي له درهم، فقد رزقني رسول الله «صلى الله عليه وآله» درهماً في كل يوم، فليست لي حاجة إلى أحد.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وفرض له عمالته أربعين أوقية من فضة».

ولعل الدرهم كل يوم يحرز القدر المذكور: أي أربعين أوقية في السنة فلا مخالفة[1].

وستأتي مناقشة هذه الأقاويل إن شاء الله تعالى.

كتاب النبي ﷺ للمكيين مع عتَّاب:

وقالوا أيضاً: لما حتم قضاء الله بفتح مكة، واستوسقت له أمَّر عليهم عتَّاب بن أسيد، فلما اتصل بهم خبره قالوا: إن محمداً لا يزال يستخف بنا حتى ولى علينا غلاماً حدث السن ابن ثماني عشرة سنة، ونحن مشايخ ذوي الأسنان وجيران حرم الله الآمن، وخير بقعة على وجه الأرض.

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعتاب بن أسيد عهداً على مكة

---

(١) السيرة الحلبية ج٤ ص١٠٥ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٩ و ٦٠.

وكتب في أوله:

«من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى جيران بيت الله الحرام، وسكان حرم الله.

أما بعد.. فمن كان منكم بالله مؤمناً، وبمحمد رسوله في أقواله مصدقاً، وفي أفعاله مصوباً، ولعلي أخي محمد رسوله، ونبيه، وصفيه، ووصيه، وخير خلق الله بعده موالياً، فهو منا وإلينا. ومن كان لذلك أو لشيء منه مخالفاً، فسحقاً وبعداً لأصحاب السعير، لا يقبل الله شيئاً من أعماله، وإن عظم وكبر، يصليه نار جهنم خالداً مخلداً أبداً.

وقد قلد محمد رسول الله عتاب بن أسيد أحكامكم ومصالحكم، وقد فوض إليه تنبيه غافلكم، وتعليم جاهلكم، وتقويم أود مضطربكم، وتأديب من زال عن أدب الله منكم، لما علم من فضله عليكم، من موالاة محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن رجحانه في التعصب لعلي ولي الله، فهو لنا خادم، وفي الله أخ، ولأوليائنا موال، ولأعدائنا معاد، وهو لكم سماء ظليلة، وأرض زكية، وشمس مضيئة، قد فضله الله على كافتكم بفضل موالاته ومحبته لمحمد وعلي، والطيبين من آلهما، وحكَّمه عليكم، يعمل بما يريد الله فلن يخليه من توفيقه.

كما أكمل من موالاة محمد وعلي «عليه السلام» شرفه وحظه، لا يؤامر رسول الله ولا يطالعه، بل هو السديد الأمين.

فليطمع المطيع منكم بحسن معاملته شريف الجزاء، وعظيم الحباء.

وليتوق المخالف له شديد العذاب، وغضب الملك العزيز الغلاب.

ولا يحتج محتج منكم في مخالفته بصغر سنه، فليس الأكبر هو الأفضل،

بل الأفضل هو الأكبر، وهو الأكبر في موالاتنا وموالاة أوليائنا، ومعاداة أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير عليكم، والرئيس عليكم، فمن أطاعه فمرحباً به. ومن خالفه فلا يبعد الله غيره».

قال: فلما وصل إليهم عتاب وقرأ عهده، ووقف فيهم موقفاً ظاهراً نادى في جماعتهم حتى حضروه، وقال لهم:

معاشر أهل مكة، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رماني بكم(١) شهاباً محرقاً لمنافقكم، ورحمة وبركة على مؤمنكم، وإني أعلم الناس بكم وبمنافقكم، وسوف آمركم بالصلاة فيقام بها، ثم أتخلف أراعي الناس، فمن وجدته قد لزم الجماعة التزمت له حق المؤمن على المؤمن، ومن وجدته قد بعد عنها فتشته، فإن وجدت له عذراً عذرته، وإن لم أجد له عذراً ضربت عنقه، حكماً من الله مقضياً على كافتكم، لأطهر حرم الله من المنافقين.

أما بعد.. فإن الصدق أمانة، والفجور خيانة، ولن تشيع الفاحشة في قوم إلا ضربهم الله بالذل، قويكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، وضعيفكم عندي قوي حتى آخذ الحق له.

اتقو الله، وشرفوا بطاعة الله أنفسكم، ولا تذلوها بمخالفة ربكم.

ففعل والله كما قال، وعدل، وأنصف، وأنفذ الأحكام، مهتدياً بهدى الله، غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة(٢).

---

(١) لعل الصحيح: رماكم بي.

(٢) البحار ج٢١ ص١٢٢ ـ ١٢٤ والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص٥٥٥ و ٥٥٧ وراجع: الإقبال ص٣١٨ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٩٢.

الكتاب مصنوع:

قال العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «لا يخفى ما في هذا الكتاب من آثار الكلفة والصنعة، مع ضعف هذا التفسير في الإنتساب إليه صلوات الله وسلامه عليه (وآله).

هذا مضافاً إلى أن يخالف أسلوب كتبه «صلى الله عليه وآله»»[1].

عتّاب قاض، أم أمير؟!:

وقد قال الدميري: «عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي «صلى الله عليه وآله» قاضياً على مكة يوم الفتح»[2].

والظاهر: أن هذا غير دقيق، فإن الروايات تؤكد أنه أمير، والقضاء من الشؤون التي ترجع إلى الأمير أيضاً.

تولية عتاب على مكة وخلافة الرسول ﷺ:

وبعد.. فإن تولية عتاب على مكة وهو قرشي، وعمره ثماني عشرة، أو إحدى وعشرون سنة، ثم تولية أسامة بن زيد على المهاجرين والأنصار بعد ذلك وعمره ثماني عشرة سنة يثيران أمامنا العديد من الأمور.

ولعل أهمها: أن ذلك يدخل في سياق إبطال التعللات التي يحاول مناوئوا علي «عليه السلام» أن يتذرعوا بها في تمردهم عليه، وردّ أمر الله ورسوله فيه.

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٢٦٢.

(٢) حياة الحيوان ج٢ ص١٣ ووفيات الأعيان ج٦ ص١٤٩.

فتولية عتاب بن أسيد، على شيوخ قريش، وعتاتها، والمستكبرين فيها، وهو الشاب ذو الثمانية عشر عاماً أو أكثر بيسير، الذي تربى في محيط مكة، وترعرع بين شعابها، ويعرف الناس عنه كل شاردة وواردة، مما لا يستسيغه أولئك الناس، ولا يحبذونه، بل هم يفضلون رجلاً شيخاً مجرباً قرشياً، ظاهر السيادة فيهم، عظيم المقام بينهم.

وإذا كان قد سهل عليهم أن يتجرعوا هذه الكأس، ولو بشيء من المرارة، أو التبرم، والإستهجان، فذلك لأنه قرشي، وهو منهم وإليهم.

ولو كان من غيرهم، كأن يكون من الأنصار مثلاً، فإن المصيبة ستكون عليهم أشد، والبلاء سيكون أعظم.

ثم جاءت تولية أسامة بن زيد على شيوخ المهاجرين والأنصار في مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع ما لها من ارتباط وثيق بموضوع خلافة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وما لها من أثر في إبطال الذرائع التي ربما تكون قد أعدت سلفاً وكان عمره أيضاً ثمانية عشر عاماً، فكانت الضربة القاسية التي استهدفت صميم مشروعهم الإنقلابي على العهود التي أعطوها لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى ما أنشأوه من بيعة لعلي «عليه السلام» بالإمامة في يوم غدير خم.

فلم يعد يفيدهم القول: بأن ثمة من هو أسنّ من علي «عليه السلام»، والناس لا يرضون بتقديمه عليهم، إذ كيف رضي عتاة قريش بتولية عتاب على مكة.. وكيف رضي شيوخ المهاجرين والأنصار بتولية أسامة بن زيد عليهم.

فإن أمكن التعلل: بأن قضية أسامة إنما ترتبط بشأن الحرب، وليس

بالضرورة أن يكون الخبير بالحرب مؤهلاً لقيادة الأمة في سائر شؤونها: السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية، ولا أن يكون قادراً على حل مشاكلها في سائر المجالات، فضلاً عن أن يكون أهلاً لمقام الفتوى والقضاء، وتربية الناس، تربية صالحة، وبث المعارف الصحيحة فيهم.

فإن الجواب عن ذلك هو:

أولاً: إن تولية عتاب بن أسيد على مكة لا تختص بالأمور العسكرية، بل هي لإدارة جميع الشؤون السياسية، والإجتماعية، وغيرها.

ثانياً: إن القيادة العسكرية هي من شؤون الحاكم أيضاً.. فإذا كان أسامة، وهو الشاب الذي قد لا يزيد سنّه على ثمانية عشر عاماً، أليق ممن يرشحون أنفسهم لخلافة النبوة، ويكون هو الذي يصدر الأوامر إليهم، ويدبر شؤونهم، فما بالك بسائر الشؤون؟!

وكيف يمكن إثبات جدارة هؤلاء الناس لمقام خلافة النبوة، في الأمور الأعظم أثراً، والأكثر خطراً؟!

ثالثاً: لو كان السن هو المعيار لقيادة الأمة، لم يصح أن يبعث الله أحداً من الأنبياء، والرسل ولا أنه يجعل أحداً من الناس رسولاً أو حاكماً للأمة إلا إذا كان أكبر الناس سناً.. ولبطلت نبوة نبينا «صلى الله عليه وآله»، لأن المفروض: أنه حين صار نبياً، ثم حين صار رسولاً كانت هناك فئات كبيرة من الأمة تكبره من حيث السن.

خلاصة وتوضيح:

إن عتاب بن أسيد قد أسلم يوم الفتح. وقد كان في المهاجرين المكيين،

من هو أفضل وأورع وأتقى، وأكثر تجربة منه بلا شك..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» في نفس الوقت الذي يريد أن يكون والي مكة من قريش، فإنه أراده ممن يعيش في مكة..

وممن أسلم يوم الفتح بالذات، فإن حقد عتاة قريش عليه أضعف، وحساسيتهم منه تكون أقل..

وأراده أيضاً بهذا السن.

وأراد أن يبقيه لآخر حياته «صلى الله عليه وآله»، لأن ذلك يبطل ما سوف يتذرع به نفس هؤلاء، نصرة لأحبائهم لردّ خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أن من اختاروه كان أكبر سناً من علي، وأن الناس لا يرضون بعلي «عليه السلام» بسبب حداثة سنه، وهذه الذريعة سوف تظهر، على رغم وجود عتّاب أميراً على مكة فعلاً.

ومع أمارة أسامة عليهم في المدينة فعلاً أيضاً..

ورغم أنهم قد بايعوه يوم الغدير.

ورغم أن توليته «صلى الله عليه وآله» من هو أصغر من علي «عليه السلام» سناً، سواء لأمور البلاد، كما هو الحال في مكة، التي هي قلب الإسلام النابض، أو لأمور الجيوش في الحروب، كما في قضية تولية أسامة بن زيد، وبديهي: أن قيادة الجيوش تعني أن تصبح أرواح الناس، وخصوصاً الثلة المؤمنة، ومصير البلاد، بل مصير الأمة بأسرها، مرهونة بسياسات هذا القائد، وخططه، وقرارته..

إن ذلك كله يوضح: أن قضية تولية عتَّاب كانت في غاية الأهمية، وفي

منتهى الحساسية..

لا حاجة إلى المبالغة في أمر عتاب:

إن عتَّاب بن أسيد قد أسلم يوم الفتح، وتوفي يوم موت أبي بكر، وقيل: غير ذلك[1].

وعتَّاب أموي نسباً[2].

---

(١) أسد الغابة ج٣ ص٣٥٨، وتهذيب التهذيب ج٧ ص٨٢ و ١٩١، والإصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص٤٥١/ ٥٣٩١، والطبقات الكبرى ج٥ ص٤٤٦ وشرح مسند أبي حنيفة ص٥٤٦ وتهذيب الكمال ج١٩ ص٢٨٢ و ٢٨٣ والأعلام للزركلي ج٤ ص ١٩٩ و ٢٠٠ والإصابة ج٤ ص٣٥٦ وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٣٠ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٢٤٤ وعون المعبود ج٤ ص٣٤٥ والبداية والنهاية ج٧ ص٤١ والوافي بالوفيات ج١٩ ص٢٨٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٩٨ والمعارف لابن قتيبة ص٢٨٣ والكاشف من معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج١ ص٦٩٥ والثقات لابن حبان ج٣ ص٣٠٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١١ ص١٢٣.

(٢) الإستيعاب ج٣ ص١٠٢٣ وطبقات خليفة بن خياط ص٤٨٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص١٨١ وج٣٧ ص١١ والوافي بالوفيات ج١٩ ص٢٨٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٤١ وأسد الغابة ج٣ ص٣٠٨ والكاشف من معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج١ ص٦٩٥ والإصابة ج٥ ص٣٥ والأعلام للزركلي ج٤ ص١٩٩ والمعارف لابن قتيبة ص٢٨٣ واللباب في تهذيب الأنساب ج٢ ص٣١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦١٢ وج٣ ص٩٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١١ ص١٢٣ وج١٥ ص٢٦٥ والطبقات الكبرى =

وقد أبقاه أبو بكر على مكة إلى أن مات[1]. وهذا يشير إلى مدى التوافق والإنسجام بين عتَّاب وأبي بكر.

ويظهر من إبقاء معاذ معه في مكة لتعليم الناس أحكام دينهم، رغم أن ما يحتاجون إليه هو أبسط الأمور، مثل تعليم الصلاة، والوضوء، ونحو ذلك: أن عتَّاباً لم يكن قادراً على القيام بهذه المهمة، بل كان هو بحاجة إلى أن يتعلم من معاذ نفس ما كان أهل مكة يتعلمونه منه، لأنه إنما أسلم كغيره قبل أيام من توليته.

كما أن من يسلم قبل أيام من توليته، فلا مجال للمبالغة في إخلاصه لهذا الدين، ولا في تقواه، ولا في معارفه الإيمانية، ولا.. ولا.. إلا سبيل الادِّعاء والتكلف.

= لابن سعد ج٥ ص٤٤٦ والآحاد والمثاني ج١ ص٤٠٣ والمعجم الكبير للطبراني ج١٧ ص١٦١ وتاريخ خليفة بن خياط ص٧٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٩٥ وعمدة القاري ج١٧ ص١٥٨ وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص١٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٧ وتفسير الثعلبي ج٢ ص٢٨٥ وج٦ ص١٢٨ والأحكام لابن حزم ج٧ ص٩٨٣ والثقات لابن حبان ج٢ ص٦٧وج٣ ص٣٠٤ والدرر لابن عبد البر ص٢٢٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٥.

(١) الأعلام للزركلي ج٤ ص٢٠٠ والمعارف لابن قتيبة ص٢٨٣ والكاشف من معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج١ ص٦٩٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦١٢ وج٣ ص٩٨ والوافي بالوفيات ج١٩ ص٢٨٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٤١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠

تهديد المتخلفين عن الجماعة:

وبعدما تقدم نقول:

قد ذكروا: أن عتَّاباً قد هدد بقتل المتخلفين عن الجماعة، غير أننا نلاحظ: أن هذا لا يكشف عن شدة تعلق عتَّاب بهذا الدين، ولا عن اهتمامه بتطبيق أحكامه، إذ قد يكون داعيه إلى ذلك هو جمع الناس إلى جماعته، والطمأنينة إلى بسط نفوذه.

إستدلالات واهية أخرى:

ثم إن من غير الطبيعي أن ينسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أنه يستدل على صحة اختياره لعتاب، وعلى أهليته لمقام الولاية، بأنه من أهل الجنة، فإن كون إنسان من أهل الجنة لا يدل على مقدرته، وأهليته لمقام ولاية أمور الناس.

ويدل على ذلك: أن هؤلاء القوم، هم الذين يروون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لأبي ذر: «إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي، فلا تأمرنّ على اثنين ولا تولّين مال يتيم»[1].

---

(١) المغني لابن قدامة ج٦ ص٥٧٧ وشرح الأزهار ص٣٠٨ والشرح الكبير لابن قدامة ج٦ ص٥٩٠ وجواهر العقود ج٢ ص٢٨١ ونيل الأوطار ج٩ ص١٦٧ وفقه السنة ج٣ ص٥٨٠ والبحار ج٢٢ ص٤٠٦ وج٧٢ ص٤ و ٣٤٢ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٨٣ ومسند أحمد ج٥ ص١٨٠ وصحيح مسلم ج٦ ص٧ وسنن أبي داود ج١ ص٦٥٥ وسنن النسائي ج٦ ص٢٥٥ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٩١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٢٩ وج٦ =

ولا يشك أحد في عظمة أبي ذر، وفي رفعة مقامه في الجنة.

وأما الحديث عن عزة الإسلام بعتاب بن أسيد، فلم يظهر له وجه، فإن مجرد توليه مكة من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعني أن يعزّ الإسلام به، وأن تأتي البشارة بهذا العز لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في المنام.

النبي ﷺ لا يعرف الأب من الابن:

ولا ندري كيف صح للحلبي الشافعي أن يزعم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يميز بين عتاب وبين أبيه أسيد، لشدة الشبه بينهما.

فأولاً: كيف يستطيع أن يثبت الحلبي هذا الشبه الشديد بين الأب والابن، فإن مجرد الإحتمال لا يجدي في رفع المناقضة.

ثانياً: لنفترض: أن ثمة شبهاً، ولكن أليس الأب شيخاً، وعتَّاب

= ص٢٨٣ وج١٠ ص٩٥ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٢١٠ وعمدة القاري ج١٢ ص١٩ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج٦ ص٢٥٥ والسنن الكبرى والنسائي ج٤ ص١١٣ وأمالي المحاملي ص٣٨٩ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٣٥٣ ورياض الصالحين للنووي ص٣٤٠ ونصب الراية ج٥ ص٤١ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص١٦٦ والعهود المحمدية ص٨٩٣ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٦٥ وج٣ ص٤٢ والأحكام لابن حزم ج٥ ص٦٩٤ وج٧ ص٩٨٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٣١ وعلل الدارقطني ج٦ ص٢٨٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٦ ص٢١٩ وتهذسي الكمال ج١٠ ص١٤١ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٧٥ وتهذيب التهذيب ج٣ ص٣٧٧ وأخبار القضاة ج١ ص٢١ وفتوح مصر وأبارها ص٤٨٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٤٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص١٠٣.

شاباً؟! فهل يعقل أن لا يميز بين الشيخ الكبير والشاب الذي لا يتجاوز عمره الثمانية عشر عاماً، أو أكثر من ذلك بقليل؟!

ثالثاً: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يخلط بين الأمور إلى هذا الحد، فكيف يمكن أن نطمئن إلى أن هذا الخلط والإشتباه لم يحصل في ما هو أهم من هذا وذلك؟!

وأين هو موقع عصمة الأنبياء، وتسديدهم؟!

أليس يقولون: إن رؤيا الأنبياء وحي أيضاً؟!

فهل يمكن أن يتطرق الخطأ إلى الوحي الإلهي؟!

أهل مكة أهل الله!!:

وأما وصف أهل مكة: بأنهم أهل الله، فلا ندري كيف نفهمه، أو نفسره؟ إذ إنهم قد استسلموا وأصبحوا في قضية الإسلام قبل أيام، ولم يسلم الكثيرون منهم حتى هذه الساعة، والذين اسلموا منهم لّما يدخل الإيمان في قلوبهم.. فكيف صاروا أهل الله، وهم على هذه الحالة؟!

الشك في كتاب النبي ﷺ لأهل مكة:

إن ما ذكر في الكتاب المتقدم لأهل مكة، من مدح لعتَّاب لا يمكن قبوله، فإن عتاباً لا يمكن أن يكون بهذه المثابة التي وضعه فيها الكتاب المذكور، فهو:

١ ـ لم يكن عارفاً بأحكام الله تعالى، لكي يعلّم جاهلهم.

٢ ـ لا يصح وصفه: بأنه سماء ظليلة، وأرض زكية، وشمس مضيئة، ما دام أنه حديث الإسلام ولم يتفقه في الدين.

٣ ـ متى بلغ من الفضل والتقى حداً جعله مفضلاً على كافة أهل مكة؟! مع وجود كثير من المسلمين يعيشون بين أهل مكة منذ سنوات، وخصوصاً بعد الحديبية.

٤ ـ وكيف ومتى ظهر حبه لمحمد «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام» إلى هذا الحد الذي وصفه الكتاب المذكور.

٥ ـ على أن في خطبة عتاب فقرات يعرف الناس كلهم أنها لأمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

٦ ـ يضاف إلى ذلك: أن رواية هذا الكتاب تقول: فلما وصل إليهم عتاب، وقرأ عهده.. مع أن عتَّاباً كان معهم، ولم يأتهم من خارج بلادهم؟!

معاذ يعلّم أهل مكة:

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعل معاذاً بمكة مع عتاب، ليفقّه أهلها، ويعلمهم السنن[2].

ونقول:

١ ـ إنه لا شك في أن ما كان يحتاجه أهل مكة في أول إسلامهم هو: تعلم أبسط الأمور، وأوضحها، مثل: الصلاة، والزكاة، والتطهر من

---

(١) راجع على سبيل المثال: الخطبة رقم ٣٧ من نهج البلاغة، ففيها: الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق منه.

(٢) راجع: سير أعلام النبلاء ج١ ص٤٥٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦١١ و ٦١٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٦٦٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٤٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٧٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٧٠.

الجنابة، ودلالتهم على ما هو نجس، ولزوم تطهيره.. والوضوء، والتيمم، وحرمة الكذب، والنميمة والبهتان.. وسائر المحرمات.. وكيفية الذبح، والصلاة على الميت، وقراءة القرآن ونحو ذلك.

ولم يكونوا في مستوى يحتاجون فيه إلى المعارف الدقيقة والعالية.

فإبقاء معاذ في مكة ليعلم أهلها أمثال هذه لا يدل على أنه يملك علماً، وأن له فضلاً يعتد به..

كما أن هذا لا يدل على استقامته، فضلاً عن أن يدل على عدالته..

وهل هذا إلا مثل إرسال خالد لدعوة الناس إلى الإسلام، وإذ به يرتكب في حقهم أفظع الجرائم، ويبوء بأعظم المآثم..

من هو معاذ بن جبل؟!:

ثم إن معاذاً ـ كما يقول سليم بن قيس ـ كان من الذين كتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على أن يزيلوا الإمامة عن علي «عليه السلام»[1].

وقال الديلمي: إنه حين احتضاره كان يدعو بالويل والثبور، لمالأته القوم ضد علي «عليه السلام»[2].

---

(١) كتاب سليم بن قيس ص١٥٤ والبحار ج٢٨ ص٢٧٤ والإحتجاج ج١ ص١١٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٤٩ ومستدركات علم الرجال ج٧ ص٤٣٦ والأنوار العلوية ص٢٨٨ وغاية المرام ج٥ ص٣١٨ و ٣٣٦ ونفس الرحمن في فضائل سلمان للميرزا الطبرسي ص٤٨٥ وتنقيح المقال ج٣ ص٢٢١ والمحتضر لحسن بن سليمان الحلي ص٦٠ ومجمع النورين ص١٠٠ ومدينة المعاجز ج٢ ص١٠٠.

(٢) البحار ج٢٨ ص١٢٢ وج٣٠ ص١٢٧ و ١٢٨ وج٣١ ص٦٣٤ وج٥٨ ص٢٤١ =

وهو من الجماعة الذين شهروا سيوفهم يوم السقيفة، ومضوا حتى أخرجوا أبا بكر، وأصعدوه المنبر[1].

وهو أول من اتجر في مال الله، وذلك حين ولاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» على اليمن، فلما توفي «صلى الله عليه وآله» قدم، فقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى هذا الرجل، فدع له ما يُعيشه، وخذ سائره.

فقال أبو بكر: إنما بعثه النبي «صلى الله عليه وآله» ليجبره، ولست آخذاً شيئاً منه إلا أن يعطيني[2].

قال التستري: «لم يبعثه النبي «صلى الله عليه وآله» لأكل مال الله، ولا

= ومستدركات علم الرجال ج٤ ص٤١٢ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٢٠ وتنقيح المقال ج٣ ص٢٢١ عن الديلمي، وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص٣٤٦ وإرشاد القلوب ص٣٩١ والصراط المستقيم ج٣ ص١٥٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٧٤ ومجمع النورين ص٢٠٤ وعاية المرام ج٤ ص٣٦٧ ومدينة المعاجز ج٢ ص٩٠ ومجمع النورين ص٢٠٤ ومدينة المعاجز ج٢ ص٩٣.

(١) رجال البرقي ص٦٠ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٩٨ وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص١٧٨ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج١ هامش ص٤٦٦ ومعجم رجال الحديث ج١٩ ص٢٠٣.

(٢) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٣٥٨ و (ط دار الجيل) ص١٤٠٤ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٥٥ عنه، والمصنف للصنعاني ج٨ ص٢٦٨ و ٢٦٩ ونصب الراية ج٦ ص١٩٨ وكنز العمال ج٥ ص٥٩١ و ٥٩٢ وقاموس الرجال ج١٠ ص٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٨ ص٤٣٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٩٥ والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص٩.

أجازه في التجارة به»[1].

ومن الذي قال لأبي بكر: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما بعثه ليجبره. فلعله بعثه لحفظ الشأن العام، وحفظ أموال بيت المال؟!

وقالوا: إنه في أحداث البيعة لأبي بكر جاءهم خالد بن الوليد المخزومي، ومعه ألف رجل، وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة، ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل، ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع لهم أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين أسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب، حتى وقفوا بمسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال عمر: والله، يا أصحاب علي، لئن ذهب فيكم رجل يكلم بالذي تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه.

ثم يذكر كيف أن عمر صار يطوف بالمدينة، ويجمع الناس ويكبسهم، ويستخرجهم من بيوتهم للبيعة.

وبعد ذلك بادر إلى إحراق بيت الزهراء «عليها السلام»[2].

وحين جيء بعلي «عليه السلام» للبيعة ـ جبراً وقهراً ـ كان في جملة الجالسين حول أبي بكر بالسلاح[3].

---

(١) قاموس الرجال ج٩ ص٩٩.

(٢) الإحتجاج ج١ ص٢٠٠ و (ط دار النعمان) ص١٠٤ و ١٠٥ والبحار ج٢٨ ص٢٠٢ ومواقف الشيعة ج١ ص٤٣٠ و ٤٣١ والفوائد الرجالية ج٢ ص٣٣٣ و ٣٣٤ ومجمع النورين ص٧٩ و ٨٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٨٦ وبيت الأحزان ص٧٩ و ٩٥ و ٩٦ وراجع: الصوارم المهرقة ص٥٨.

(٣) كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص١٥١ والبحار ج٢٨ ص٢٧٠ والإحتجاج ج١ ص١٠٩ ومجمع النورين ص٩٨ وبيت الأحزان ص١١٠.

القسم العاشر

من الفتح.. إلى الشهادة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الأول

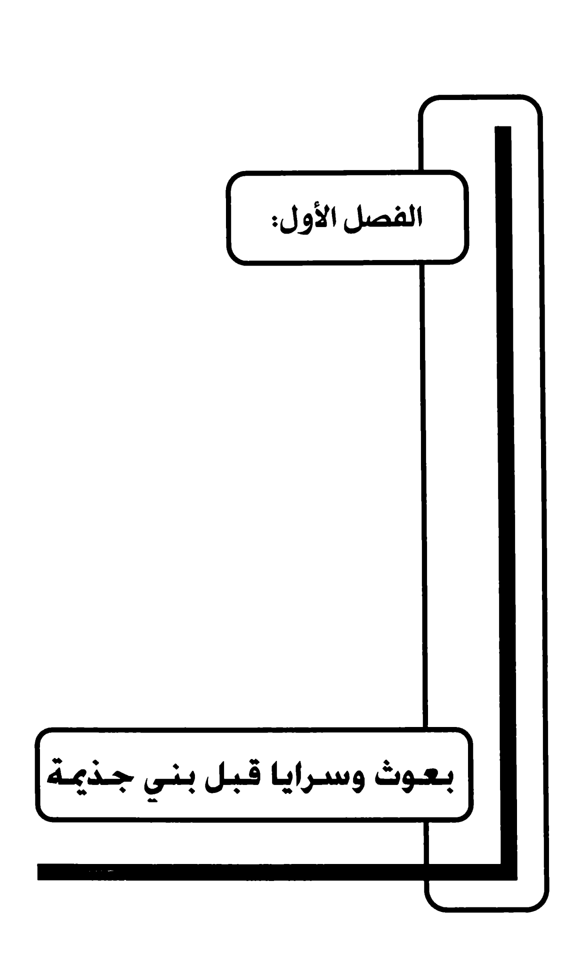
من فتح مكة إلى حنين.. تسع بعوث وسرايا..

الفصل الأول: بعوث وسرايا قبل بني جذيمة
الفصل الثاني: خالد يبيد بني جذيمة
الفصل الثالث: نصوص أخرى أوضح وأصرح
الفصل الرابع: حديث العترة هو القصص الحق

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الأول:

بعوث وسرايا قبل بني جذيمة

بداية:

قد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل، وهو في مكة العديد من السرايا، التي كانت تهدف إلى إزالة آثار الشرك من المنطقة، وذلك في اتجاهين:

أحدهما: هدم الأصنام الني كانت مقامة في تلك المناطق، بعد أن أزيل ما كان منها معلقاً على الكعبة، وما كان على المسجد الحرام.

الثاني: دعوة الناس إلى الله تبارك وتعالى، وحده لا شريك له.

وقد ذكروا من القسم الأول والثاني وفق ترتيب المسعودي وغيره ما يلي:

١ ـ سرية خالد بن الوليد في شهر رمضان إلى نخلة اليمانية، لهدم العزّى فيها.

٢ ـ سرية عمرو بن العاص في شهر رمضان إلى سواع، برهاط، فهدمه.

٣ ـ سرية سعد بن زيد الأشهلي ـ هو من الأوس ـ في هذا الشهر إلى مناة بالمشلل، فهدمه.

٤ ـ سرية خالد بن سعيد بن العاص إلى عرنة.

٥ ـ سرية هشام بن العاص إلى يلملم.

٦ ـ سرية الطفيل بن عمرو الدوسي في شوال إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حممة الدوسي، فهدمه.

٧ ـ سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة[1].

ونقول:

هذا ما ذكره المسعودي وغيره هنا. غير أن بعضه محل نظر وإشكال، فإن بعض ما ذكروه وإن كان قد وقع قبل غزوة حنين، ولكن بعضه الآخر مختلف فيه، مع تصريح بعضهم بما يدل على أنه متأخر عن غزوة حنين. وذلك مثل سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين، فإنها وقعت حين أراد النبي «صلى الله عليه وآله» المسير إلى الطائف.

وبعض ثالث مما ذكر لم نجد فيما اطلعنا عليه من المصادر ما يكفي للحكم عليه، بل لم نجد ما يمكّننا من إفراده بالذكر، وذلك مثل:

ألف: سرية خالد بن سعيد إلى عرنة.

ب: سرية هشام بن العاص إلى يلملم.

وقد أضاف آخرون إلى ما تقدم عدة سرايا ذكروها قبل ذكرهم لسرية خالد إلى بني جذيمة وهي:

٩ ـ سرية غالب بن عبد الله إلى بني مدلج.

١٠ ـ سرية عمرو بن أمية الضمري إلى بني الديل.

---

(١) التنبيه والإشراف ص٢٣٣ و ٢٣٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦٠ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٧٧ و ٢٣٢.

١١ ـ سرية عبد الله بن سهيل بن عمرو إلى بني محارب بن فهر[١].

وسنحاول إن شاء الله ذكر هذه البعوث والسرايا وفقاً للترتيب والترقيم المذكور أعلاه، فنقول:

١ـ سرية خالد لهدم العزى:

لقد أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى العزى، ليهدمها، لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان، وكانت بيتاً بنخلة[٢].

وكان سدنتها، وحجابها: من بني شيبان، من بني سليم حلفاء بني هاشم، وكانت أعظم أصنام قريش وجميع كنانة.

وذلك: أن عمرو بن لحي كان قد أخبرهم أن الرب يشتي بالطائف عند اللات، ويصيف عند العزى، فعظموها، وبنوا لها بيتاً. وكانوا يهدون إليها كما يهدون للكعبة[٣].

---

(١) إعلام الورى (ط سنة ١٣٩٩ هـ) ص١١٩ والبحار ج٢١ ص١٤٠ عنه، وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء سنة ١٤١٢ هـ) ج١ ص٢٦٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٦ عن ابن سعد، والبيهقي، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص٤٨٨ و ٤٨٩ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٥ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٧ والبحار ج٢١ ص١٤٥ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٣٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٦ عن ابن سعد، والواقدي، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص٤٨٨ و ٤٨٩ وراجع: =

وزعموا: أن خالداً ذهب إليها، فقلعها، واستأصلها، فخرجت منها عجوز عريانة، سوداء، ثائرة الرأس، فضربها خالد بسيفه، فقتلها[1].

غير أننا نظن: أن هذه القصة قد تعرضت للتشويه والتحريف، بهدف التمويه على ما بدر من خالد، من مخالفة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث تذكر النصوص أيضاً: أن خالداً لم يقلع العزّى، ولم يهدمها، بل رجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبره أنه قد قلعها.

فقال له «صلى الله عليه وآله»: هل رأيت شيئاً؟!

قال: لا.

قال: ما قلعت.

وفي رواية قال: إنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها.

فعاد إليها خالد متغيظاً ومعه المعول، فقلعها، فخرجت منها عجوز الخ..[2].

= السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص١٩ ج٣ ص٢٠٨ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٣٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٧.

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص٣٨٨ و ٤٨٩ وراجع: البحار ج٢١ ص١٤٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٦.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص٤٨٨ و ٤٨٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٠٨ وزاد المعاد ج١ ص١١٦٦ والبحار ج٢١ ص١٤٥ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٤٥ و ١٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص١٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٦ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٧.

ونص آخر يقول: إن خالداً خرج في ثلاثين فارساً من أصحابه.

قال ابن إسحاق: فلما سمع سادنها السلمي بسير خالد إليها علّق عليها سيفه، وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

أيا عزَّ شدي شدة لا شوى لها على خالد ألقي القناع وشمري

أيا عزَّ إن لم تقتلي المرء خالداً فبوئي بإثم عاجل أو تُنَصَّري

قالوا: فأتاها خالد، فقطع السمرات، وهدمها، ثم رجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبره.

فقال: «هل رأيت شيئاً»؟

قال: لا.

قال: «فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها».

فرجع خالد وهو متغيظ. فلما رأت السدنة خالداً انبعثوا في الجبل، وهم يقولون: يا عزَّى خبليه، يا عزَّى عوريه، ولا تموتي برغم.

فخرجت إليه (امرأة عجوز) سوداء، عريانة، ثائرة الرأس مولولة، زاد أبو الطفيل: تحثو التراب على رأسها ووجهها. فضربها خالد وهو يقول:

يا عزَّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

فجزَّلها اثنتين، ثم رجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره.

فقال: «نعم، تلك العزى قد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٦ عن أبي الطفيل، والواقدي، وابن سعد. وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٣ و ٨٧٤ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٩ وتاريخ =

الحدث في قفص الإتهام:

ونلاحظ على هذه الروايات أموراً عديدة:

فأولاً: هل كانت هذه العجوز السوداء من الإنس أو من الجن؟!

وإذا كانت من الجن.. فهل يمكن لخالد أن يقتل الجن بسيفه؟!

وإذا كانت السيوف الإنسية تقتل الجن.. فلماذا لم تتجنب تلك الجنية سيف خالد؟!

وما هو مصير جثتها بعد قتلها؟! هل بقيت ظاهرة للعيان؟ أم اختفت؟!

وإذا كانت قد اختفت.. فكيف يمكن إثبات صحة قتلها وموتها؟!

وهل يمكن لخالد في هذه الحال: أن يثبت صحة ما يدَّعيه لنفسه من بطولة، وعظمة؟!

وهل كان أمثال هذه العجوز، يوجدون عند سائر الأصنام، مثل هبل، واللات، وودّ، وسواع، ومناة و.. و.. الخ..؟!

وهل ظهرت تلك العجائز على الذين هدموا تلك الأصنام، واقتلعوها؟!

ثانياً: لماذا كذب خالد فيما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فأخبره بأنه قد هدم العزَّى، والحال أنه لم يهدمها.

ثالثاً: لماذا لم يهدم خالد العزَّى في المرة الأولى؟! هل لأنه خاف من ان يكون لها تأثير عليه، من حيث أنه يعتقد: بأن لها شأناً وأثراً؟!

= الخميس ج٢ ص٩٦ والبحار ج٢١ ص١٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص١٢ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٧.

فإن كان الأمر كذلك، فهو يثير أكثر من علامة استفهام حول صحة إيمان خالد، وحول إخلاصه فيما يدَّعيه من التخلي عن الشرك، وعبادة غير الله تعالى.

رابعاً: إنه حين عاد خالد إلى العزَّى متغيظاً، إن كان تغيظه على العزَّى؟ فلماذا حدث هذا التغيظ منه الآن، ولم يكن حين ذهب إليها ثم رجع؟!

وإن كان هذا التغيظ على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، حيث كشف أمره، وفضحه، فذلك قد يصل إلى حد الكفر والخروج من الدين..

وإن كان تغيظ على نفسه، وعلى ارتكابه ما أوجب الفضيحة وظهور الكذب، وافتضاح النوايا، فهذا ما لا سبيل إلى تلافيه، بعد ان أوقع نفسه فيه، ولكن ذلك لا يعفيه من المسؤولية، بل هو يقترب في قبحه وفي تأثيراته من الخيار الثاني الآنف..

خامساً: قد تكرر هذا الحديث بعينه بالنسبة لنائلة أيضاً، ولكنهم لم يذكروا أن أحداً قتل تلك العجوز. وتقدم ذلك.

وذكر هذا الحديث بعينه، مع ذكر قتلها بالنسبة لمناة، حيث زعموا: أن سعد بن زيد قتلها أيضاً.

ولكن عمرو بن العاص لم ينل هذا الشرف، ولا خرجت له شيطانه، ولا شيطان حين هدم سواعاً.

ملاحظة: إننا نظن أنهم أرادوا أن ينسبوا لخالد فضيلة حرب الجن، وهي كرامة ثابتة لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، لكي يرفعوا من شأن خالد، ويقللوا من شأن علي «عليه السلام»، حيث لا تبقى هذه الفضيلة منحصرة فيه ولا هي من خصائصه وميزاته على غيره.

السادن.. بين الذكاء والغباء:

ثم إن ما فعله السادن من تعليق السيف برقبة الصنم ليدافع عن نفسه، فيه دلالة ظاهرة على أنه كان مدركاً بفطرته، وبعقله سخافة عبادتهم لصنم، لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع. وتصرفه هذا يشير إلى ذكائه، وحسن تخلصه من المسؤولية، ودفع أي اعتراض عليه، أو مؤاخذة له، فيما يرتبط بعدم مبادرته للدفاع عن ذلك الصنم المشؤوم.

ولو أنه كان يؤمن بأن للصنم القدرة على المقاومة، والدفاع عن نفسه، فإنه يكون في غاية الغباء، وفي منتهى السذاجة، والتغفيل..

هل هذه سرية؟!:

إن تسمية هدم العزَّى التي كانت مجرد صنم في بيت ببطن نخلة بأنه «سرية» لعله لا يخلو من مسامحة، بل مبالغة، لأجل تعظيم شأن خالد، وتعويضه عن بعض ما فقده في قصة بني جذيمة.

وكذلك الحال في قصة هدم عمرو بن العاص لسواع، فإنه لم يكن هناك أحد من الناس يخشى منه سوى سادنه.

كما أن من الملاحظ: أن الذي حضر هدم العزَّى أيضاً هو خصوص السادن دون سواه..

فلعل إرسال ثلاثين رجلاً مع خالد قد كان بهدف الحماية من مخاطر الطريق، فلا يتعرض له أحد بسوء.

أو لعله كان لغرض آخر، مثل دعوة بعض القبائل التي قد تصادفهم في الطريق إلى الدخول في هذا الدين.

قبل قصة بني جذيمة أو بعدها:

قال الصالحي الشامي:

ذكر ابن إسحاق ومن تابعه، إرسال خالد لهدم العزى بعد سرية خالد إلى بني جذيمة.

وذكرها محمد بن عمر، وابن سعد، والبلاذري، وجرى عليه في المورد والعيون، وجزم به في الإشارة قبلها. وارتضاه في الزهر، وقال: إن في الأول نظراً، من حيث إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان قد وجد على خالد في أمر بني جذيمة، ولا يتجه إرساله بعد ذلك في بعث.

والذي ذكره غير واحد، منهم الواقدي، وتلميذه محمد بن سعد: أن سرية خالد إلى العزَّى كانت لخمس ليال من شهر رمضان، وسرية خالد إلى بني جذيمة كانت في شوال سنة ثمان.

قلت: إن صح ما ذكره ابن إسحاق من كون سرية خالد لهدم العزَّى بعد سرية بني جذيمة، فوجهه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رضي عليه، وعذره في اجتهاده[1].

غير أننا نقول:

إن سرية خالد لهدم العزَّى لا ربط لها بوجد النبي «صلى الله عليه وآله» على خالد، بسبب الجريمة التي ارتكبها في حق بني جذيمة. وإنما هي متصلة بسياسة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في اقتلاع جذور الشرك من قلوب أولئك الناس الطامحين والمغامرين. أو على الأقل إحراق آخر خيوط

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٦ و ١٩٧.

الأمل الذي ربما يراودهم في العودة إلى السقوط في حمأة الشرك، وتلويث النفوس بقاذوراته.

كما أن ذلك يساعد على قطع علاقة الناس السذج والبسطاء بهذا النوع من الناس، الذي يحمل رواسب من هذا النوع، وتكريس علاقتهم بمصدر الوحي، ورمز الفضيلة والإيمان والتقوى..

فكان «صلى الله عليه وآله» يريد أن يحطم اصنامهم بأيدي خصوص هؤلاء الذين يتعاملون مع القضايا بمنطق انتهاز الفرص، واقتناصها، ليصبح أمرهم ظاهراً، وليأمن الناس بوائقهم، التي قد تتجه إلى نحو من العمل السري والتآمري، الذي يريد أن يحفظ معالم الإنحراف، مختزنة في نفوس الضعفاء، والسذج، والبسطاء، ليستفيد منها في الموقع المناسب.

وعلى هذا الأساس نقول:

إن قولهم: إنه لا يمكن أن يكلف النبي «صلى الله عليه وآله» خالداً بهدم العزى بعد أن فعل ببني جذيمة ما فعل غير صحيح.

وذلك لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان سيبعث خالداً لهدم العزَّى، وعمرو بن العاص لهدم سواع، حتى لو ارتكب خالد جريمته في حق بني جذيمة.. وحتى لو ظهرت من عمرو بن العاص البوائق والمعاصي.

بل إن ظهور ذلك من هذا أو ذاك يؤكد لزوم اختيارهما لهذه المهمة، كما هو ظاهر لا يخفى.

فما ذكره الصالحي الشامي أو غيره: من أن من الممكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد رضي على خالد، ليصح إرساله لهدم العزَّى.. غير صحيح.

ولعل الصحيح هو: أنه كان غاضباً على خالد، فاقتضى هذا الغضب

نفسه، أن يرسله في هذه المهمة. رفقاً بالناس، وحفظاً للدين، وإقامة للحجة عليه وعلى أمثاله.

٢ـ هدم سواع:

قال الواقدي، وابن سعد وغيرهما: في شهر رمضان بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص إلى سواع: صنم هذيل بن مدركة، وقيل: لهمدان[1]، وكان على صورة امرأة ليهدمه.

قال عمرو: فانتهيت إليه، وعنده السادن، فقال: ما تريد؟

فقلت: أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن أهدمه .

قال: لا تقدر على ذلك.

قلت: لم؟

قال: تمنع.

قلت: حتى الآن أنت على الباطل؟! ويحك، وهل يسمع أو يبصر؟

قال: فدنوت منه فكسرته، وأمرت أصحابه (أصحابي) فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئاً.

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ وزاد المسير ج٨ ص١٠٠ والتبيان للطوسي ج١٠ ص١٤١ وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج٣ ص٦٤٧ وتفسير غريب القرآن ص٢١٣ وتفسير النسفي ج٤ ص٢٨٤ وتفسير الرازي ج٣٠ ص١٤٤ وتفسير البيضاوي ج٥ ص٣٩٥ وتفسير البحر المحيط ج٨ ص٣٣٥ وتفسير أبي السعود ج٩ ص٤٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص١٨ ولسان العرب ج٨ ص١٧٠ ومجمع البحرين ج٤ ص٤٨١ وتاج العروس ج١١ ص٢٣٠.

ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟

قال: أسلمت لله تعالى[1].

وزعموا: أن هذا الصنم سمي سواعاً على اسم سواع بن شيث بن آدم «عليه السلام»، وقد كان هذا الصنم لقوم نوح «عليه السلام»، ثم صار لهذيل.

كان برهاط: قرية جامعة على ثلاثة أميال من مكة على ساحل البحر يحجون إليه[2].

وبعدما تقدم فإننا نطلب من القارئ الكريم، أن يلاحظ ما يلي:

١ ـ إن الرواة هنا لم يذكروا لنا إن كان مع عمرو بن العاص أحد. فضلاً عن أن يذكروا عدد من كان معه حين ذهب لهدم سواع.

٢ ـ إن أصحاب الصنم هم الذين هدموا خزانته بأمر من عمرو بن العاص.

٣ ـ أين ذهبت الأموال أو التحف، أو الأمتعة التي كانوا يتوقعون وجودها في خزانة الصنم؟! فإن الناس كانوا يهدون لأصنامهم أشياء مختلفة.

٤ ـ إن عمرو بن العاص يستدل على السادن بدليل كان الأحرى،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٨ عن الواقدي، وابن سعد، وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٥ و ٦٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤٠ و ٣٤١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٧٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٦ و ٩٧ وراجع: البحار ج٢١ ص١٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٦ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٠٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ عن مزيل الخفا.

والأجدر به أن يستدل هو به على نفسه، فإنه كان إلى الأمس القريب يعبد تلك الأصنام، ويتقرب لها.

٥ ـ هل يصح تكليف رجل واحد بمهمة هدم صنم أن يوصف بأنه سرية؟!

٣ـ هدم مناة وقتلها:

قالوا: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شهر رمضان بعد فتح مكة[1] سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة لهدمها، وكانت (بالمشلل[2]) للأوس والخزرج، وغسان.

وقيل: مناة لخزاعة. وكانت بقديد. قاله قتادة[3].

وقيل: هي صخرة كانت لهذيل وخزاعة وثقيف[4].

فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن. فقال السادن: ما تريد؟

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٧ والتنبيه والإشراف ص٢٣٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٩.

(٢) المشلل: جبل إلى ناحية البحر، وهو الذي يهبط منه إلى قديد.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص٢٩٤ وتفسير البغوي ج٤ ص٢٥٠.

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٩٩ وتفسير الرازي ج٢٨ ص٢٩٦ وراجع: الأعلام للزركلي ج٨ ص٨٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص١١٧.

قال: هدم مناة.

قال: أنت وذاك.

فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة، سوداء، ثائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها.

فقال السادن: مناة!! دونك بعض غضباتك.

ويضربها سعد بن زيد الأشهلي فقتلها. ويقبل إلى الصنم معه أصحابه، فهدموه.

ولم يجد في خزانتها شيئاً.

وانصرف راجعاً إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

ونحن نسجل هنا الأمور التالية:

١ ـ إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة ما ذكرته الرواية آنفاً: من أن مناة كانت للأوس، والخزرج، وغسان. فأين عنها غسان في الشام؟! والأوس والخزرج في المدينة؟!

في حين أن المشلل موضع لجهة البحر، وهو الجبل الذي يهبط منه إلى قديد.

٢ ـ هل يصح تسمية مهمة هدم صنم بأنه سرية؟!

٣ ـ لماذا يخلي السادن بين سعد بن زيد وبين الصنم ليهدمه، فلا يمانع،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٩ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ و ٩٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٦ و ١٤٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٦٣ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٠٩.

أو لا يظهر انزعاجه، أو رأيه ولو بكلمة، أو لا يحذر الفاعل من عواقب ما يقدم عليه كما فعل سادن سواع والعزى؟!

بل هو يقول للمهاجم: أنت وذاك.

ولكنه حينما رأى تلك المرأة خرجت إليه، يقول لها: مناة!! دونك بعض غضباتك.

على أن ثمة سؤالاً آخر هنا، وهو: هل كان ذلك السادن يعرف مناة؟!

وهل كان قد رآها قبل هذه المرة؟!

ولماذا لم يكن هذا الأمر قد اشتهر بالجزيرة العربية بأسرها؟!

٤ ـ يلاحظ هنا: أن المرأة العريانة السوداء الخ.. لا تخرج لمواجهة خالد في المرة الأولى حتى عاد إليها، واقتلعها، فخرجت.

ولكن مناة تخرج لسعد بن زيد بمجرد توجهه نحو الصنم.

٥ ـ يلاحظ أيضاً: توافق صفات العزى، وحركاتها، مع صفات مناة، وحركاتها، فهي عريانة.. سوداء.. ثائرة الرأس.. تدعو بالويل.. تضرب صدرها.. امرأة.

٦ ـ ويلاحظ: أن سعد بن زيد لا يجد في خزانة مناة شيئاً أيضاً!!

٤ ـ سرية خالد بن سعيد إلى عرنة:

٥ ـ سرية هشام بن العاص إلى يلملم:

وقد قلنا: إن ما راجعناه من مصادر لا يسمح لنا بتقديم تفاصيل تذكر عن أحداث محتملة حصلت في هاتين السريتين.

٦ـ سرية الطفيل الدوسي إلى ذي الكفين:

وسيأتي الحديث عن هذه السرية قبيل مسير النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الطائف، لأنها كانت بعد حنين.

٧ـ سرية غالب بن عبد الله إلى بني مدلج:

وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» بعث (وهو في مكة) غالب بن عبد الله في سرية دعوة إلى بني مدلج، فقالوا: لسنا عليك ولا معك.

فقال الناس: اغزهم يا رسول الله!

فقال: إن لهم سيداً أديباً أريباً، ورب غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله[1].

ونقول:

١ ـ إن ذلك يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بأدق التفاصيل في المحيط الذي يتعامل معه، بل كان أعرف الناس بطبائع الأشخاص وحالاتهم. كما أنه يعرف مدى نفوذهم وتأثيرهم، ويتخذ قراراته على هذا الأساس.

ولكن هل هذه المعرفة كانت مكتسبة له من خلال ما تهيأ له من وسائل عادية؟! أم انها مرتبطة بالتسديد، واللطف الإلهي، والإمداد الغيبي؟!

---

(١) إعلام الورى (ط سنة ١٣٩٩ هـ) ص١١٩ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٢٧ والبحار ج٢١ ص١٤٠ عنه، وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٦٢ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٣.

إننا نرى صحة هذا الخيار الأخير، ولا نجد فيه أي محذور، فإن التدخل الغيبي الإلهي لإيصال المنافع للبشر، ودفع المضار عنهم أمر مشهود في تاريخ البشر.

ولكن إذا كان يراد بهذا التدخل التوصل إلى سلب الناس القدرة على التصرف، وعلى الإختيار، أو أخذهم ومؤاخذتهم استناداً إلى معارف حصلت بوسائل غير عادية، ولا تقع تحت قدرتهم، فذلك هو المحذور الذي لا يمكن أن يكون له أي دور في السياسة الإلهية للبشر، أو في التعامل معهم.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بما ذكره لهم، من معرفته الدقيقة بكل ما من شأنه أن يؤثر على مسار الأمور، بحيث تنتهي إلى ما يحبه المسلمون.. بل هو قد تجاوز ذلك بإخبارهم الغيبي عن مستقبل بني مدلج في هذا الدين، وأنهم سيدخلون فيه، وسيكون منهم الشهداء في سبيل الله.. الأمر الذي يصل بالأمور لدى أصحابه إلى درجة اليقين بالنتائج، فلا موضع للتوهم في أن يكون ما يخبرهم به مجرد توقعات يطلقها على سبيل التفاؤل للربط على القلوب، وشحذ العزائم، وإيقاظ الهمم.

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يشر إلى ما سيفعله سيد بني مدلج!! هل سوف يُسلم؟! أم أنه سيبقى على شركه؟! لكنه، وهو السيد الأديب الأريب سيمنع قومه من إظهار العداوة، ومن إثارة المتاعب، والدخول في تحالفات، أو في مؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، وهذا يكفي مبرراً للكف عن بني مدلج..

٤ ـ إن هذا الذي جرى يظهر: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد

حمل الناس على الإسلام، ولا كان يريد أن يستفيد من عنصر القوة إلا حين تُلجئه الظروف إلى ذلك، وذلك حين يعلن الآخرون الحرب على الإسلام وأهله، دون أن تكون هناك أية فرصة لدفع شرهم، ورد عاديتهم إلا بالتوسل بالقوة.

٥ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان حريصاً على ممارسة حقه في دعوة الناس إلى الحق، وتعريفهم، وإبلاغهم بنبوته، وإقامة الحجة عليهم فيها، وفيما يدعو إليه.. ثم يترك الخيار لهم.

٨ ـ سرية عمر بن أمية إلى بني الديل:

وبعث «صلى الله عليه وآله» عمر بن أمية الضمري إلى بني الديل، فدعاهم إلى الله ورسوله، فأبوا اشد الإباء، فقال الناس: اغزهم يا رسول الله.

فقال: «صلى الله عليه وآله»: أتاكم الآن سيدهم قد أسلم، فيقول لهم: أسلموا، فيقولون: نعم[1].

ونقول:

إننا بالإضافة إلى ما قدمناه في الحديث عن غزوة بني مدلج، نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد توقع لأصحابه قرب قدوم سيدهم إليهم، وحتمية تحقق ما يخبرهم به، حيث قال: «أتاكم الآن سيدهم» بصيغة الفعل الماضي الدال على التحقق والوقوع.

---

(١) إعلام الورى (ط سنة ١٣٩٩ هـ) ص١١٩ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٢٧ والبحار ج٢١ ص١٤٠ عنه، وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٦٢.

ثم أخبر عن إسلام سيد بني الديل قبل قدومه.

ثم توقع أن يكون نفس سيدهم داعية لقومه إلى الدخول في الإسلام، وذلك سيوفر على المسلمين مشكلات كثيرة، وقد تكون كبيرة أيضاً. وسيسهل على بني الديل الدخول في دين الله، من دون أي خوف أو وجل، أو توقع إساءة أو ملامة من رئيسهم وسيدهم.

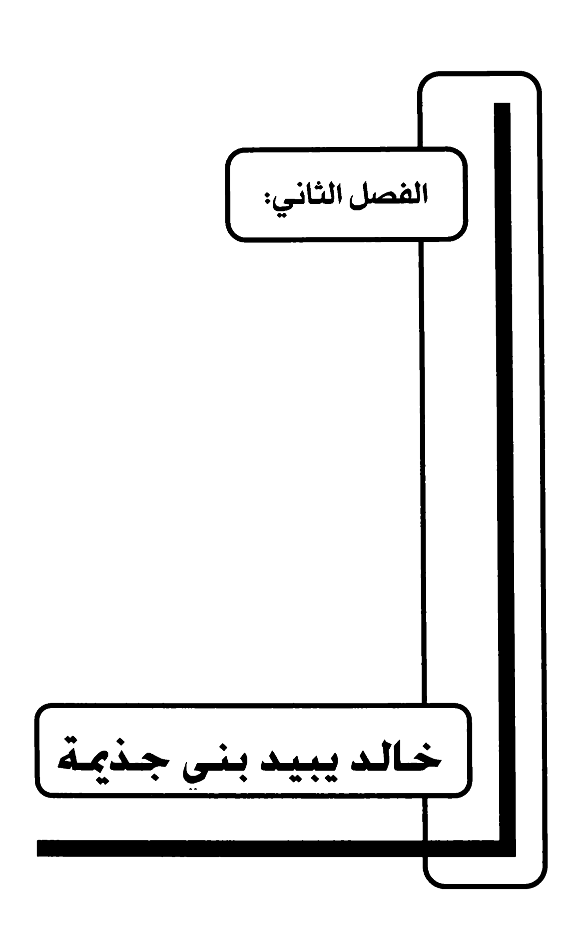
٩ ـ سرية ابن سهيل بن عمرو إلى بني محارب:

وبعث «صلى الله عليه وآله» عبد الله بن سهيل بن عمرو إلى بني محارب بن فهر، فأسلموا، وجاء معه نفر منهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

أما سرية بني جذيمة، فسنفرد حديثاً عنها ابتداءً من الفصل التالي.

---

(١) راجع المصادر المتقدمة في الهامش.



الفصل الثاني:

خالد يبيد بني جذيمة

الفصل الثاني:

قتل بني جذيمة في النصوص والآثار:

وذكروا: أن قصة بني جذيمة قد حصلت بعد الفتح.

قال البلاذري: إنها كانت في شوال[1].

وقالوا: كان بنو جذيمة ـ وهم قبيلة من عبد القيس أسفل مكة بناحية يلملم ـ وقد كانوا أصابوا في الجاهلية من بني المغيرة نسوة، وقتلوا عمّ خالد، فأرسل إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد، بعد أن رجع من هدم العزى، داعياً لا مقاتلاً[2].

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ص١٨١ وراجع: فتح الباري ج٨ ص٤٥ وعمدة القاري ج١٧ ص٣١٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٧ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ عيون الأثر ج٢ ص٢٠٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٧ و ٢٠٠.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ وراجع: البحار ج٢١ ص١٤٠ وإعلام الورى ج١ ص٢٢٧ والمبسوط للسرخسي ج٢٠ ص١٤٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٢٨ فتح الباري ج٨ ص٤٥ وعمدة القاري ج١٧ ص٣١٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص ٢٠٠.

فاستقبلوه وعليهم السلاح، وقالوا: يا خالد، إنَّا لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله، ونحن مسلمون، فانظر، فإن كان بعثك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ساعياً فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها.

فقال: ضعوا السلاح.

قالوا: إنَّا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهلية، وقد أماتها الله ورسوله.

فانصرف عنهم بمن معه، فنزلوا قريباً، ثم شن عليهم الخيل، فقتل وأسر منهم رجالاً.

ثم قال: ليقتل كل رجل منكم أسيره.

فقتلوا الأسرى.

وجاء رسولهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره بما فعل خالد بهم، فرفع «عليه السلام» يده إلى السماء وقال: «اللهم إني أبرء إليك مما فعل خالد».

وبكى، ثم دعى علياً «عليه السلام»، فقال: اخرج إليهم، وانظر في أمرهم. وأعطاه سفطاً من ذهب، ففعل ما أمره، وأرضاهم[1].

---

(١) البحار ج٢١ ص١٤٠ وإعلام الورى (ط سنة ١٣٩٩ هـ) ص١١٩ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٢٢٨. وراجع حديث قتل خالد لبني جذيمة في: البداية والنهاية ج٤ ص٣٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٠ ومسند أحمد ج٢ ص١٥٠ و ١٥١ والمحلى لابن حزم ج١٠ ص٣٦٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٥ و ٢٥٦ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٧٥ وعن فتح الباري ج٥ ص٤٥ وصحيح البخاري ج٥ ص١٠٧ وسنن النسائي ج٨ ص٢٣٧ وفتح الباري ج٨ ص٤٥ والسنن =

وروى ابن إسحاق، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، ومحمد بن عمر عن ابن سعد، قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد ـ حين افتتح مكة ـ داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار (ومعه قبائل من العرب) سليم بن منصور، ومدلج بن مرة، فوطئوا بني جذيمة (بن عامر بن عبد مناة بن كنانة) فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ما أنتم؟

قالوا: مسلمون، قد صلينا، وصدقنا، وبنينا المساجد في ساحاتنا، وأذّنّا فيها.

قال: فما بال السلاح عليكم؟

قالوا: «إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح».

فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا[1].

= الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٧٤ وج٥ ص١٧٧ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٥٤ وكنز العمال ج١ ص٣١٧ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٣ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٧٦ ومصادر كثيرة أخرى.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧١ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٦ و ٦٧ وراجع: أنساب الأشراف ج١ ص٣٨١ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ و ٩٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٧ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١٠ .

فقال رجل من بني جذيمة، يقال له: جحدم: «إنه والله خالد. وما يطلب محمد من أحد أكثر من أن يقر بالإسلام، ونحن مقرون بالإسلام، وهو خالد، لا يريد بنا ما يراد بالمسلمين»(١).

«ويلكم يا بني جذيمة، إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار، وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً».

فأخذه رجال من قومه، فقالوا: «يا جحدم، أتريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس».

فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد(٢).

وقال أبو جعفر، محمد بن علي رضي الله عنهم: فلما وضعوا السلاح أمرهم خالد عند ذلك، فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم(٣).

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٠ عن ابن إسحاق، والواقدي، وراجع: المنمق ص٢٥٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص١٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٢ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤١ وشرح الأخبار ج١ ص٣٠٩ والغدير ج٧ ص١٦٨ وكتاب المنمق ص٢١٦ و ٢١٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٠ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٢ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٢ =

وقالوا: فلما كان السحر نادى خالد: من كان معه أسير فليدافه. والمدافة الإجهاز عليه بالسيف.

وفي المواهب اللدنية: من كان معه أسير فليقتله.

فأما بنو سليم فقتلوا كل من كان في أيديهم.

وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم[1].

وعن إبراهيم بن جعفر المحمودي، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «رأيت كأني لقمت لقمة من حيس، فالتذذت طعمها، فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها، فأدخل عليٌّ يده، فنزعه».

فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، هذه سرية من سراياك، تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب، ويكون في بعضها اعتراض، فتبعث علياً فيسهله[2].

= وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ و ٤٠٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٨ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٠ عن أحمد، والبخاري، والنسائي، وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ عن المواهب اللدنية، والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٠ و ٢٠١ عن ابن هشام، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٢ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ والغدير ج٧ ص١٦٩.

قال ابن إسحاق: ولما أبى جحدم ما صنع خالد، قال: يا بني جذيمة ضاع الضرب، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه[1].

قال: وحدثني أهل العلم: أنه انفلت رجل من القوم، فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره الخبر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل أنكر عليه أحد»؟

قال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض، ربعة، فنهمه خالد، فسكت عنه. وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب، فراجعه، فاشتدت مراجعتهما.

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، أما الأول فابني عبد الله، وأما الآخر، فسالم مولى أبي حذيفة[2].

قال عبد الله بن عمر في حديثه السابق: «فلما قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكرنا ذلك له، فرفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد». مرتين[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٣ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٢ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠١ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، وراجع المصادر المتقدمة.

قال أبو جعفر، محمد بن علي رضي الله عنهم: فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: «يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك».

فخرج علي «عليه السلام» حتى جاءهم، ومعه مال قد بعث به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فودى لهم الدماء، وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه لودى لهم ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليٌّ حين فرغ منهم: «هل بقي لكم مال لم يؤد إليكم»؟

قالوا: لا.

قال: فإني أعطيكم من هذه البقية من هذا المال، احتياطاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مما لا يعلم ومما لا تعلمون».

ففعل، ثم رجع إلى رسو ل الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره الخبر فقال: «أصبت وأحسنت».

ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه، يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد». ثلاث مرات[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠١ وأشار في هامشه إلى: البخاري ج٤ ص١٢٢، والنسائي ج٨ ص٢٣٧ وأحمد في المسند ج٢ ص١٥١ والبيهقي في السنن ج٩ ص١١٥. وراجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص١٥٣ ودلائل الصدق ج٣ ق١ ص٣٣ و ٣٤ والإصابة ج١ ص٣١٨ و ٢٢٧ وج٢ ص٨١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٧ و ١٤٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٨ والسيرة =

وذكر الواقدي: أن علياً «عليه السلام» جاءهم بالمال الذي أعطاه إياه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فودى لهم ما أصاب خالد، ودفع إليهم ما لهم، وبقي لهم بقية من المال، فبعث علي «عليه السلام» أبا رافع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليستزيده، فزاده مالاً، فودى لهم كل ما أصاب[1].

ولما رجع علي «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال له: ما صنعت يا علي؟!

فأخبره، وقال: يا رسول الله، قدمنا على قوم مسلمين، قد بنوا المساجد بساحتهم، فوديت لهم كل من قتل خالد حتى ميلغة الكلاب الخ..[2].

وقال بعض بني جذيمة أبياتاً يذكر فيها غدر خالد بهم، ومنها:

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا ... للاقت سليم يوم ذلك ناطحا

= النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج٣ ص٦٧ و ٦٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤٢ والغدير ج٧ ص١٦٩ وكتاب المنمق ص٢١٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ و ٤٠٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٧٣ والغدير ج٧ ص١٦٨ و ١٦٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٢ و ٧٣ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٤ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٤٥ وأسد الغابة ج٣ ص١٠٢ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ والمنمق ص٢٥٩ و ٢٦٠ وراجع: الثقات لابن حبان ج٢ ص٦٢ و ٦٣ .

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٢ وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص٧.

(٢) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٢.

لما صعهم بشر وأصحاب جحدم   ومرة حتى يتركوا البرك ناضحا[1].

قال ابن عبد البر عن قصة خالد هذه: «وخبره في ذلك (بذلك) من صحيح الأثر»[2].

ما بهذا أمرهم رسول الله ﷺ:

وبعد.. فإن مهمة سرية الدعوة هي التلطف في توضيح الحقائق للناس، وإقناعهم، بإيراد الدَلائل والشواهد التي تقطع كل عذر..

فما معنى: أن يسأل الرجل عن دينه، هل هو كافر أو مسلم، حتى إذا قال: إن كنت كافراً فمه.

فيقال له: إن كنت كافراً قتلناك.

ثم يقتلونه، من دون أن يعرضوا عليه أي شيء من دعوة الإسلام؟!

بل إنهم ليقتلونه حتى بعد أن عرفوا: أنه عشق امرأة فلحقها..

ولم يمهلوه إلا بمقدار أن يلقي عليها نظرة واحدة، ثم يقدموه للقتل.

فعن ابن أبي حدرد الأسلمي، وعن عبد الله بن عصام (المزني) عن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٤ و ٧٥ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٥ وراجع: الإصابة ج١ ص٦٤٥ ومعجم البلدان ج٤ ص٢١٤ وكتاب المنمق ص٢٥٣ و (نسخة مخطوطة) ص٢١٢ والمماصعة: المضاربة بالسيوف. والبرك: الإبل الباركة.

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص١٥٣ و (ط دار الجيل) ج٣ ص٤٢٨ والنص والإجتهاد ص٤٦١ والغدير ج٧ ص١٦٨ والإكمال في أسماء الرجال للتبريزي ص٥٦.

أبيه، وعن ابن عباس: قال ابن أبي حدرد: كنت يومئذٍ في خيل خالد بن الوليد.

وقال عصام: لحقنا رجلاً فقلنا له: كافر، أو مسلم؟

فقال: إن كنت كافراً فمه؟

قلنا له: إن كنت كافراً قتلناك.

قال: دعوني أقضي إلى النسوان حاجة.

وقال ابن عباس: فقال: إني لست منهم، إني عشقت امرأة، فلحقتها، فدعوني أنظر إليها نظرة، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم.

الغدر.. ثم القتل:

وذكر الواقدي ما ملخصه: أن بني سليم طاردوا غلاماً ليقتلوه، فقتل منهم رجلين، ولم يقدروا عليه. ثم ظهر لهم في اليوم التالي، وطلب الأمان، وعرض فرسه، فعرفه بنو سليم أنه غريمهم بالأمس، فناوشوه عامة النهار، حتى أعجزهم، وكر عليهم، ثم عرض عليهم ان يعطوه عهد الله وميثاقه إذا نزل أن يصنعوا به ما يصنعون بالظعن، فإن قتلوهن قتلوه، وإن استحيوهن استحيوه، فأعطوه ذلك. وكانت النساء والذرية في يد خالد..

فلما نزل غدروا به، وجعلوه مع الأسرى من الرجال، فطلب منهم أن يأخذوا برمته إلى نسيات هناك، ثم يردونه[1].

قال ابن أبي حدرد: فقال فتى من بني جذيمة ـ وهو في سني وقد

____

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٨ و ٨٧٩.

جمعت يداه إلى عنقه برمة، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه ـ يا فتى.

فقلت: ما تشاء؟

قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة، ثم تردني بعد فتصنعوا بي ما بدا لكم؟

قال: قلت: والله ليسير ما طلبت.

فأخذت برمته، فقدته بها حتى أوقفته عليهن.

فدنا إلى امرأة سنهن.

قا ل ابن عباس: فإذا امرأة طويلة أدماء، فقال: اسلمي حبيش على نفد من العيش.

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم ... بحلية أو ألفيتكم بالخوانق

ألم يك أهلاً أن ينول عاشق ... تكلف إدلاج السرى والودائق

فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معا ... أثيبي بود قبل إحدى الصفائق

أثيبي بود قبل أن يشحط النوى ... وينأى لأمر بالحبيب المفارق

زاد ابن إسحاق، ومحمد بن عمر:

فإني لا ضيعت سر أمانة ... ولا راق عيني عنك بعدك رائق

سوى أن ما نال العشيرة شاغل ... عن الود إلا أن يكون التوامق

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الأخيرين منها له. انتهى.

فقالت: نعم، وأنت فحييت سبعاً وعشراً وتراً، وثمانياً (ثمانين) تترى.

قال ابن أبي حدرد: ثم انصرفت به، فضربت عنقه.

وقال عصام: فقربناه، فضربنا عنقه، فقامت المرأة إليه حين ضربت عنقه، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عليه[1].

وقال ابن عباس: فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت.

فلما قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره الخبر، فقال: «أما كان فيكم رجل رحيم»؟[2].

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٨ و ٦٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ و ٩٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠١ و ٢٠٢ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٨ ـ ٨٨٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٦ و ٧٧ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٥ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٠ والمنمق ص٢٥٣ ـ ٢٥٥ و ٢٥٨ و ٢٥٩ وراجع: فتح الباري ج٨ ص٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٣٨ و ٣٣٩ والإصابة ج٤ ص٤٩ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٢ عن ابن هشام، وعن ابن إسحاق، وابن سعد، والنسائي، وراجع: البيهقي في الدلائل ج٥ ص١١٨ والطبراني في الكبير ج١١ ص٣٧٠. وراجع: المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٨ ـ ٨٨٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ و ٩٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢١٠ وفتح الباري ج٨ ص٤٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٠١ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٩٦ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٢٦٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦١ وعيونالأثر ج٢ ص٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١٤.

ونحن نكتفي هنا بذكر ثلاثة أمور هي التالية:

١ـ شجاعة.. ونبل:

إن ما صنعه هذا الفتى من بني جذيمة، يثير إعجاب كل منصف أريب، وعاقل لبيب، يعطي القيمة لصفات الرجولة، والشجاعة والشمم، فهو قد دافع عن نفسه دفاع الأبطال، وأعرب عن شجاعة وبسالة رائعة.

ثم هو قد أعرب عن احترامه للعهود والمواثيق، وألزم نفسه بها، رغم أنه يعرف أن الذين يحاربون، ويطاردونه، إنما يفعلون ذلك عدواناً وتجبراً، وبلا أي مبرر.

وقد كان بإمكان هذا الفتى أن ينجو بنفسه،ولكن محبته لتلك المرأة، وسكونه إلى العهد الذي أخذه من محاربيه، هو الذي دفعه إلى هذا الاستسلام النبيل.

٢ـ غدر.. ولؤم:

ولكن هذا الفتى لم يلق من محاربيه ما توقعه من وفاء بعهود الله ومواثيقه، بل وجد الغدر اللئيم، والفعل الذميم، مع أن هؤلاء قد وطأوا تلك البلاد على أساس أنهم دعاة للإسلام، ويريدون تقديم صورة مشرقة ومشرِّفة عن هذا الدين.

أما كان فيكم رجل رحيم:

وبعد.. فإن من البديهي: أن للإنسانية سماتها وتجلياتها، التي تتناسب مع حقيقتها. وأن العاطفة والرحمة الإنسانية هي إحدى هذه السمات،

وتوهجها يكون من هذه التجليات..

وحين تُفْقَدُ الرحمة، فإن الإنسانية تفقد معناها ومغزاها، ولابد أن ينتقص تبعاً لذلك كل ما يرتبط بذلك من حقوق، وامتيازات، وأن ينحط ما نشأ عنها من مقامات ودرجات.

وحين تجلت سمات الإنسانية في علي «عليه السلام» لكل أحد بالتصدق بالخاتم بالصلاة، أعلن الله تعالى له أعظم مقام، ألا وهو مقام الولاية العظمى على البشر، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1].

وحين ظهر الخلل في معنى الرحمة الإنسانية في ذلك ﴿**الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾. جاء الإعلان الإلهي: بأن ذلك من سمات ذلك ﴿**الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ**﴾.. وأن ذلك من شأنه ان يخل حتى بالتكوين الفكري والاعتقادي.. إلى حد انه ينتهي بها يوجب خروجه عن الدين والإيمان، قال تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾[2].

ولأجل ذلك.. جاء الإستفهام الإنكاري الذي يشير إلى فقدان سمات الإنسانية لدى هؤلاء، فلا جرم أن تصدر منهم هذه الأعمال الفظيعة والشنيعة.

المعترضون على الجريمة:

عن سلمة بن الأكوع، قال: قدم خالد بن الوليد على النبي «صلى الله

---

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٢) الآيات ١ ـ ٣ من سورة الماعون.

عليه وآله» بعد ما صنع ببني جذيمة ما صنع، وقد عاب عبد الرحمن بن عوف على خالد ما صنع.

قال: يا خالد، أخذت بأمر الجاهلية في الإسلام، قتلتهم بعمك الفاكه؟!
وأعانه عمر بن الخطاب على خالد.

فقال خالد: أخذتهم بقتل أبيك[1].

وفي لفظ: فقال: إنما ثأرت بأبيك[2].

فقال عبد الرحمن: كذبت والله، لقد قتلت قاتل أبي[3]، وأشهدت على قتله عثمان بن عفان.

ثم التفت إلى عثمان، فقال: أنشدك الله، هل علمت أني قتلت قاتل أبي؟

فقال عثمان: اللهم نعم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٢ وكنز العمال ج١٣ ص٢٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٧١.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٢ و ٢٠٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٣ و ٧٤ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٤ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٠ وراجع: المنمق ص٢٦٠ و (مخطوطة) ص٢١٧ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤٢ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٣ و ٥٩٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٢ وراجع: المنمق ص٢٦٠ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٠ وكنز العمال ج١٣ ص٢٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٧١.

ثم قال عبد الرحمن: ويحك يا خالد، ولو لم أقتل قاتل أبي أكنت تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية؟

قال خالد: ومن أخبرك أنهم أسلموا؟

فقال: أهل السرية كلهم يخبرونا أنك قد وجدتهم بنوا المساجد، وأقروا بالإسلام، ثم حملتهم على السيف.

قال: جاءني رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن أغير عليهم.

وعند ابن إسحاق (وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه) قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي، وقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام، انتهى[1].

فقال عبد الرحمن: كذبت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وغالظ عبد الرحمن.

قال ابن إسحاق: فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2]. انتهى.

فأعرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن خالد، وغضب عليه،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٨ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١١ وكنز العمال ج١٣ ص٢٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٧١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٢ و ٢٠٣ عن الواقدي، وأبي سعد النيسابوري في الشرف، والحاكم في الإكليل، وابن عساكر، وعن الكامل في التاريخ ج٢ ص١٧٣ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٠.

وقال: «يا خالد، ذر لي أصحابي، متى ينكأ المرء؟ ينكأ المرء ولو كان لك أحد ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن»(١).

أو: لم تدرك غدوة أحدهم ولا روحته.

وعند ابن إسحاق: غدوة رجل من أصحابي(٢).

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(٣).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٣ وفي هامشه عن: تهذيب تاريخ دمشق ج٥ ص١٠٣ وعن كنز العمال الحديث رقم (٣٣٤٩٧) والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٠ وراجع: كنز العمال ج١١ ص٧١٦ ح(٣٣٤٩٨) وج١٣ ص٢٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٤ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٨٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٧٣ و (ط دار صادر) ص٢٥٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٣ ص٦٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤٢ وراجع: شرح الأخبار ج١ ص٣١٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٩ وعيون الأثر ج١ ص٢١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٣ عن ابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٣٦٧٣) وأحمد في المسند ج٣ ص١١ والبيهقي في =

ولنا مع هذه النصوص وقفات عديدة نذكر منها ما يلي:

أهمية اعتراض ابن عوف:

ونقول:

تقدم اعتراض عمر وعبد الرحمن بن عوف، وسالم مولى أبي حذيفة، وكذلك عبد الله بن عمر على خالد..

وسيأتي الحديث عن اعتراض عمار عليه أيضاً.

غير أن لاعتراض عبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر أهمية خاصة هنا..

فأما بالنسبة لعمار، فلأن له خصوصيته، ومقامه، وموقعه المتميز فيما بين المسلمين، ولدى الصفوة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسنشير إلى اعتراضه هذا فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

= السنن ج١ ص٢٠٣ وراجع: الإستيعاب ج١ ص٨ و ١٨ والبداية والنهاية ج٧ ص١٨٣ والمحلى لابن حزم ج١ ص٢٨ ونيل الأوطار ج٩ ص٢٢٩ و ٢٣٠ والإيضاح لابن شاذان ص٥٠٧ وكتاب الأربعين ص٣١٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص١٦٧ ومواقف الشيعة ج٢ ص٢٥٤ وسنن أبي داود ج٢ ص٤٠٤ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص٩٣ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٣٨ وج١٠ ص٢٤٦ وعون المعبود ج١١ ص٣٣٣ وكتاب السنة ص٤٦٤ والمعجم الأوسط ج١ ص٢١٢ والتمهيد ج٢٠ ص٢٥١ والكفاية في علوم الرواية ص٦٥ وشرح النهج ج٢٠ ص١١ واللمع للسيوطي ص٨٧ و ٨٨ وكنز العمال ج١١ ص٥٢٨ وج١٤ ص٧٣ و ٧٤.

وأما اعتراض عبد الرحمن بن عوف، فأهميته تكمن في أنه يأتي من إنسان له ثأر عند بني جذيمة، علماً بأن المقتول هو أبوه. والأب أقرب إلى الإنسان من العم، فإذا كان من قتل أبوه وهو ولي دمه يؤنب خالداً على ما فعل.. فكيف يمكن أن يعذر خالد فيما أقدم عليه، وليس هو ولي الدم، وإنما هو مجرد معتدٍ متعمدٍ للباطل، طامح للجريمة؟!

وهناك أمر آخر، وهو: أن إرسال خالد وابن عوف لدعوة بني جذيمة وغيرهم إلى الله تعالى، من شأنه أن يطمئن أولئك الناس إلى أن أمر الجاهلية قد انتهى، وأن أحداً لا يؤخذ بإحنة، ولا يلاحق بجريرة، وأن المنطقة بأسرها قد دخلت في عهد جديد، ينعم الناس فيه بالأمن، والسلام، والسلامة في الدين، وفي الدنيا..

ولو أن آخرين جاؤوا لدعوة بني جذيمة إلى الإسلام، فإنهم لن يقتنعوا بأن من لهم عندهم ثارات قد تخلوا عن الطلب بها..

وذلك كله يظهر: أنه لا مناص من إرسال خالد، وابن عوف.

قال الشيخ المفيد «رحمه الله» عن إرسال خالد إلى بني جذيمة: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم «يدعوهم إلى الله عز وجل. وإنما أنفذه إليهم للترة التي كانت بينه وبينهم، وذلك أنهم كانوا أصابوا في الجاهلية نسوة من بني المغيرة، وقتلوا الفاكه بن المغيرة، عم خالد بن الوليد، وقتلوا أبا عبد الرحمن بن عوف للترة أيضاً، التي كانت بينه وبينهم.

ولولا ذلك ما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالداً أهلاً للإمارة

على المسلمين»[١]. أي وكان عليه «صلى الله عليه وآله» أن يتعامل مع الأمور وفق ظواهرها.. وليس وفق ما يطلع عليه من غيب، لا يتيسر لغيره الاطلاع عليه.. كما أشرنا إليه غير مرة.

ولكن ما صنعه خالد قد ضيع الأهداف التي توخاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» من إرساله.. وخالد هو الذي يتحمل مسؤولية ما صنع، ولذلك برئ «صلى الله عليه وآله» إلى الله من فعله ثلاث مرات.

النبي ﷺ نصير المظلومين:

ولكن علياً «عليه السلام» قد رتق ذلك الفتق، واصلح ما أفسده خالد، وبيّن لبني جذيمة وللعرب جميعاً، ولغيرهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يكون نصيراً للظالمين، بل هو مع المظلوم في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، ينصره بيده، وبلسانه، وبماله، وبجاهه، وبكل ما يقدر عليه..

توضيحات:

وقد تقدم في النص المتقدم ذكر:

الغميصاء: وهي موضع في بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر.

وقوله: ما أنتم؟ قال: في النهر. الظاهر: أنه سألهم عن صفتهم. أي مسلمون أنتم أم كفار؟ ولهذا أتى بها، ولو أراد غير ذلك لقال: من أنتم؟

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٣٩ والبحار ج٢١ ص١٣٩.

وقد استعمل «ما» فيمن يعقل وهو شائع.

لماذا هذا العدد؟!:

قد يقول قائل: إنه إذا كانت هذه سرية دعوة لا سرية قتال، فلماذا هذه الكثرة في عدد أفرادها؟!

ويمكن أن يجاب: بأن سرية الدعوة قد تحتاج ايضاً إلى من يحميها من تآمر المتآمرين، ومغامرة الطائشين، والذين يريدون إثارة الفتن، ويرون ان من مصلحتهم إبقاء التوتر مهيمنا على الاجواء العامة، فيبادرون الى الاخلال بالأمن، ثم يتحينون الفرصة، فقد تأتي الأيام بمفاجآت يمكنهم من خلالها تحقيق بعض ما يصبون إليه..

على أن الدعوة أيضاً قد تحتاج إلى أناس كثيرين يتفرقون في الأحياء، وفي القبائل، وفي الأرياف، والقرى، ويحاولون إقناع الناس، أفراداً وجماعات، بالحق.. ويقدمون لهم الدلائل والشواهد المختلفة.

وقد يسأل سائل أيضاً: عن السبب في إرسال سرايا للدعوة، في حين أن السرايا الأخرى تتخذ عادة منحى قتالياً، أو استطلاعياً وقائياً..

ويجاب: بأن فتح مكة قد فرض هذا الإجراء، فلم يعد للمشركين قدرة على المواجهة، فقد أصبح من الضروري تعريف الناس بدعوة الإسلام، لتسهيل إعلانهم الدخول فيه، حتى لا يبقى الناس في ذلك المحيط مذبذبين بين الإتجاهات المختلفة، فإن تحديد انتمائهم أمر مهم جداً في تحقيق الإستقرار النفسي، والانضباط الإجتماعي والسياسي في المنطقة بأسرها.

لماذا خالد دون سواه؟!:

إذا كانت البعثات تهدف إلى تحديد هذا الإنتماء، فإن من الضروري: أن تكون بقيادة شخصيات قرشية، بل الأولى هو: أن تكون من الأشخاص الذين يخاف الناس بطشهم، ونكايتهم، لأن الدعوة إذا جاءت من قبل خصوص هؤلاء، فذلك يدعو الناس للإطمينان إلى أن دخولهم في هذا الدين ليس فيه أية خطورة عليهم، ولا يعد مغامرة، وتعريضاً لأنفسهم لخطر أخذهم على حين غرة من قبل جبابرة الجاهلية وطغاتها..

وقد كان خالد هو أحد هؤلاء الذين لا مناص من الإستفادة منهم في هذا المجال. وأية شخصية أخرى، فإنها لا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة، ولا توجب الاستجابة لدعوتها أية سكينة أو طمأنينة عند الناس.

خالد معروف بالغدر:

وقد أظهر كلام جحدم: أن خالداً كان معروفاً بغدراته، وأن الاستسلام له يحمل أخطار الغدر بهم..

وهذا يدل على: أن غدر خالد، إنما كان سجية له، فلا مجال لأن يحسب ذلك على الإسلام، أو ينسب إليه.

ولعل الذي عزز خوف جحدم بالإضافة إلى معرفته بخالد، وبسجاياه معرفته أيضاً: بأن لخالد ثاراً جاهلياً على بني جذيمة، لا بد أن يطلبه منهم، خصوصاً.. وأن خالداً كان حديث الإسلام، ولم يدخل الإسلام عن قناعة وإنما رهبة من عواقب الإصرار على المناوأة، ورغبة بالحصول على شيء من حطام الدنيا.

فمن أجل ذلك كله: دعا جحدم قومه إلى الحذر من استدراج خالد لهم. تمهيداً للإنتقام منهم.

أسلمنا.. أم صبأنا؟!:

قد تقدم: أن بني جذيمة قد صرحوا: بأنهم مسلمون. فما معنى ادِّعاء: أنهم لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، بل قالوا: صبأنا.

فعن ابن عمر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث خالداً إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره.

قال ابن عمر: فقلت: والله، لا أقتل أسيري، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ عن صحيح البخاري، والمحلى لابن حزم ج١٠ ص٣٦٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١١٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٣ والمعتصر من المختصر ج١ ص٢١٦ والديات للشيباني ج١ ص٥٠ ونيل الأوطار ج٨ ص٩ والطرائف لابن طاووس ص٣٩٤ ومسند أحمد ج٢ ص١٥١ وسنن النسائي ج٨ ص٢٣٧ وفتح الباري ج٢٧٠ ص٤٦ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٢٢١ و ٢٢٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٧٤ وج٥ ص١٧٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٦٧ ونهج الحق وكشف الصدق ص٣٢٢.

ونقول:

إن من الواضح: أن كلمة أسلمنا هي كلمة عربية، لا يجهلها، ولا يعجز عن التلفظ بها أحد من العرب.

وهي ليست اسماً لشيء بعينه، ولا هي اشتقاق خاص، يمكن أن يتحاشاه بنو جذيمة، دون غيرهم.. فإن كانوا يتحاشون من استعمال هذه الكلمة، فإن ذلك كان بعد ظهور الإسلام، حيث إن تحاشيهم لها لا يزيد عن تحاشي سائر القبائل العربية، التي حاربت الإسلام والمسلمين.

وحتى لو كان لهم حساسية خاصة، وهجران قوي لهذه الكلمة بالذات، فإن ذلك لا يمنعهم من النطق بها عند الضرورة، وحيث يوجب إصرارهم على تركها قتلهم.. فإن بإمكانهم تقليد الآخرين في نطقها، ولو مثل تقليد غير العربي للعربي في نطق الألفاظ العربية..

ولنفترض: أنهم رفضوا الإسلام حقاً، فبأي حق يقاتلهم خالد، ويقتلهم، ويأسرهم، ثم يقتل الأسرى منهم؟!

على أنهم يقولون: إن القوم قد صرحوا: بأنهم مسلمون، وبأنهم قد أذنوا وصلوا، وبنوا المساجد في ساحاتهم، فما هو المبرر لقتلهم بعد هذا كله؟!

خالد يكذب على رسول الله ﷺ:

إن خالداً يعترف لابن عوف: بأنه قتل بني جذيمة انتقاماً منهم، لقتلهم عوفاً أبا عبد الرحمن بن عوف، ولكن ابن عوف يرفض ذلك، ويقول له: إنه قد قتلهم بعمه الفاكه بن المغيرة، ويسكت خالد عن إجابته، حيث لم يجد ما يدافع به عن نفسه.

كما أن الروايات قد صرحت: بأنه قتلهم كان على دفعتين:

الأولى: حين زعم أنهم لم يسلموا.

والثانية: حين قتل من أسرهم منهم.

ولكن خالداً زعم: أن رسولاً قد أتاه بأمر من النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه يطلب منه أن يقتلهم.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: كذبت على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد بلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولكنه لم ينصر خالداً، ولم يصدقه فيما ادَّعاه، بل أظهر غضبه منه، وأعرض عنه، وانتصر لعبد الرحمن بن عوف..

على أن الروايات الأخرى قد صرحت بأنهم قالوا: إنهم مسلمون، وإنهم يصلون، ويؤذنون، وقد بنوا المساجد، وقد صلوا مع خالد مرتين.. قبل أن يوقع بهم كما ذكرته الرواية الصحيحة عن الإمام الباقر «عليه السلام»[1].

ثم إن الأسرى كانوا يصلون حتى في حال أسرهم قبل أن يأمر خالد بقتلهم.

قال الواقدي: «وباتوا في وثاق، فكانوا إذا جاء وقت الصلاة يكلمون

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق (ط سنة ١٣٩٨ هـ) ص١٥٢ و ١٥٣ والبحار ج٢١ ص ١٤٢ وج١٠١ ص٤٢٣ و ٤٢٤ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣٦٦ و ٣٦٧ وعلل الشرائع (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ج٢ ص ٤٧٣ و٤٧٤.

المسلمين، فيصلون ثم يربطون، فلما كان وقت السحر، والمسلمون قد اختلفوا بينهم، فقائل يقول: ما نريد بأسرهم؟! نذهب بهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وقائل يقول: ننظر: هل يسمعون أو يطيعون، ونبلوهم، ونخبرهم. والناس على هذين القولين الخ..»[1].

وقد واجه عبد الرحمن بن عوف خالداً بهذه الحقيقة، ولم يستطع أن ينكرها، فادَّعى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمرهم بقتلهم.

وقد كذبه عبد الرحمن بن عوف في دعواه هذه.

فلماذا يتجرأ خالد على مقام النبوة، وينسب إلى نبي الله تعالى الكذب؟! وكيف يمكن أن تقول فئة من الناس: إن خالداً من الصحابة العدول، وهو يقتل الأبرياء، ويكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو يسب أصحابه؟!

حقيقة دوافع خالد:

تقدم: أن خالداً قال لعبد الرحمن بن عوف، حين لامه على فعلته: إنما ثأرت بأبيك.

وهذا معناه: أن الأمر لم يكن مجرد حصول اشتباه في فهم كلمة: «المدافة» التي أطلقها خالد ـ حسب زعمهم ـ لأصحابه في وقت السحر.. بل كان قتلاً مقصوداً ومتعمداً..

ومع غض النظر عن ذلك، إذا كان هؤلاء القوم مسلمين، ويصلون

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٦.

ويؤذنون، وقد بنوا المساجد في الساحات، فما هو الداعي إلى أسرهم، وشد أكتافهم، وتسليمهم لأصحابه؟! ألا يعد هذا غدراً ظاهراً بهم؟!

وألم يكن بإمكان خالد أن يستغني عن أسرهم بأن يتحقق من صحة ما ادَّعوه: من أنهم يصلون، ويؤذنون، وأنهم أقاموا المساجد في ساحاتهم؟! فيطلب منهم أن يصلوا أمامه، وأن يؤذنوا، وأن يدلوه على المساجد التي أقاموها ليراها بنفسه.

وأما زعمه: أنه قتلهم انتقاماً للفاكه بن المغيرة، فهو غريب وعجيب من إنسان ينسب نفسه إلى الإسلام!! فإن الفاكه قد قتل في الجاهلية، وهو مشرك مهدور الدم، ولعله كان هو المعتدي عليهم، أو كان قد قتل ثأراً لدم قتيل آخر. ولا شيء يثبت أنه قتل مظلوماً.

على أن المؤرخين قد صرحوا: بأن بني جذيمة قد دفعوا دية الفاكه ودية عوف إلى قريش.

فلماذا يعود عبد الرحمن بن عوف لقتل قاتل أبيه، وهو قد أخذ ديته، ثم يعود خالد لقتل أربع مائة غلام من بني جذيمة[1].

وحتى لو قتل مظلوماً، فإن الإسلام يجب ما قبله.

ولو أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يؤاخذ الناس بما صدر منهم قبل إسلامهم لقتل معظم الناس، بل لوجب قتل الناس كلهم، لأن جريمة الشرك نفسها تقتضي قتلهم. فضلاً عما سوى ذلك مما ارتكبوه، أو مارسوه..

ولنفترض: أن قاعدة الإسلام يجب ما قبله، قد عطلت بالنسبة لمن

---

(١) المنمق ص١٦٤ و ٢٤٨ والسيرة النبوية ج٤ ص٧٤.

يقتل مظلوماً، إذا أصر ولي الدم على الإنتقام.. فإن ذلك أيضاً لا يبرر ما فعله خالد لعدة أسباب:

أحدها: أن خالداً لم يكن ولي دم الفاكه بن المغيرة.

الثاني: أن عليه أن يرفع الأمر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

الثالث: أن عليه أن يقتصر على قتل القاتل نفسه دون سواه،

الرابع: أن لا يتعدى القتل إلى التمثيل أو التعذيب في الكيفية التي يجريها.

دعوا لي أصحابي:

١ ـ تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لخالد حين تلاحى مع عبد الرحمن بن عوف دعوا لي أصحابي. أو لا تسبوا أصحابي.

ولعل هذه هي الرواية الصحيحة.

وسواء أكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال: دعوا، أو قال: لا تسبوا، فإن خالداً قد تناول شخص ذلك الصحابي، وآذاه بلسانه، ولم يكن خالد يتورع عن سب أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ قد يقال: إن هذه الكلمة تشير إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعد خالداً من أصحابه، فضلاً عن أن يكف عنهم لسانه، وسبَّه.

فدعوى: أن كل من رأى النبي «صلى الله عليه وآله» مميزاً فهو صحابي تصبح موضع ريب.

ويدل على ذلك: أن قوله في الرواية نفسها: إن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه، فإن هذا الخطاب يشمل خالداً بلا

ريب، فلو أنه كان هو من الصحابة لم يكن معنى لخطابه بمثل هذا الكلام.

٣ ـ إن ابن عوف، وإن كان في ذلك الوقت ممن يصح أن يعد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن لا يعني بقاءه وكذلك سائر أصحابه «صلى الله عليه وآله» على حال الإستقامة بعد وفاته أيضاً.

ويدل على ذلك حديث: ليردن علي الحوض أقوام، فيختلجون دوني، فأقول: رب أصحابي.

فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي بعض نصوص الحديث: إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري،

زاد في بعضها قوله: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[1].

---

(١) راجع ألفاظ الحديث في: صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح) ج٦ ص٦٩ و ٧٠ و ١٢٢ وج٨ ص١٣٦ و ١٤٨ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٤٩ و ١٦٩ و ٢٠٢ وج٩ ص٥٨ و ٥٩ و ٦٣ و ٦٤ و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٩٢ و ٢٤٠ وج٧ ص١٩٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ وج٨ ص٨٧ وصحيح مسلم ج١ ص٥٨ و ١٥٠ وج٧ ص٦٧ و ٦٨ و ٧٠ و ٧١ و ٩٦ و ١٢٢ و ١٢٣ وج٨ ص١٥٧ ومسند أحمد ج١ ص٢٣٥ و ٢٥٣ و ٣٨٤ و ٤٠٢ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٢٥ و ٤٣٩ و ٤٥٣ وج٣ ص٢٨ و ١٠٢ و ٢٨١ وج٥ ص٤٨ و ٥٠ و ٣٣٩ و ٣٨٨ و ٣٩٣ و ٤٠٠ و ٤١٢ وكنز العمال (ط الهند) ج١١ رقم (١٤١٦) و (٢٤١٦) و (٢٤٧٢) و (ط مؤسسة الرسالة) ج٤ ص٥٤٣ وج٥ ص١٢٦ وج١١ ص١٧٧ وج١٣ ص٢٣٩ وج١٤ ص٣٥٨ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٤٠٧ والمغازي للواقدي ج١ ص٤١٠ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص١٥٩ و ١٦٠ و (ط دار الجيل) ج١ ص١٦٤ والجمع بين الصحيحين رقم (١٣١) و (٢٦٧). وراجع:=

= الإقتصاد للشيخ الطوسي ص٢١٣ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج١ ص٩٣ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص١٣١ و ٣٧٨ و ٣٧٩ وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص١٦٣ و ٢٧٠ وشرح الأخبار ج١ ص٢٢٨ وج٢ ص٢٧٧ وكتاب الغيبة للنعماني ص٥٤ والمسترشد ص٢٢٩ والإفصاح للشيخ المفيد ص٥١ والتعجب للكراجكي ص٨٩ وكنز الفوائد للكراجكي ص٦٠ والعمدة لابن البطريق ص٤٦٦ و ٤٦٧ والطرائف لابن طاووس ص٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ والملاحم لابن طاووس ص٧٥ والصراط المستقيم ج٢ ص٨١ وج٣ ص١٠٧ و ١٤٠ و ٢٣٠ وعوالي اللآلي ج١ ص٥٩ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص٦٥ و ٦٦ و ٦٧ والصوارم المهرقة ص١٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٤٠ و ٢٤٠ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ والبحار ج٨ ص١٦ و ٢٧ وج٢٣ ص١٦٥ وج٢٨ ص١٩ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ١٢٧ و ٢٨٢ وج٢٩ ص٥٦٦ وج٣١ ص١٤٥ وج٣٧ ص١٦٨ وج٦٩ ص١٤٨ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٣٩٤ و ٣٩٥ والنص والإجتهاد ص٥٢٤ و ٥٢٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص١٠٣ والغدير ج٣ ص٢٩٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص١٧٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٧٦ ومواقف الشيعة ج٣ ص٢٠٨ وميزان الحكمة ج٢ ص١٠٦٢ وج٣ ص٢١٨٨ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠١٦ سنن الترمذي ج٤ ص٣٨ وج٥ ص٤ وسنن النسائي ج٤ ص١١٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٠١ وج٤ ص٤٥٢ وشرح مسلم للنووي ج٣ ص١٣٦ وج٤ ص١١٣ وج١٥ ص٦٤ ومجمع الزوائد ج٣ ص٨٥ وج٩ ص٣٦٧ وج١٠ ص٣٦٥ وفتح الباري ج١١ ص٣٣٣ وج١٣ ص٣ وعمدة القاري ج١٥ ص٢٤٣ وج١٨ ص٢١٧ وج١٩ ص٦٥ وج٢٣ ص١٠٦ و ١٣٧ و ١٤٠ وج٢٤ ص١٧٦ وتحفة الأحوذي ج٧ ص٩٣ وج٩ ص٦ و ٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٤٣ والمصنف لابن أبي=

= شيبة ج٧ ص٤١٥ وج٨ ص١٣٩ و ٦٠٢ ومسند ابن راهويه ج١ ص٣٧٩ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٦٥ وتأويل مختلف الحديث ص٢١٧ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٥٢ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٦٦٩ وج٦ ص٣٣٩ و ٤٠٨ ومسند أبي يعلى ج٧ ص٣٥ و ٤٠ و ٤٣٤ وج٩ ص١٠٢ و ١٢٦ وصحيح ابن حبان ج١٦ ص٣٤٤ والمعجم الأوسط ج١ ص١٢٥ وج٦ ص٣٥١ وج٧ ص١٦٦ والمعجم الكبير ج٧ ص٢٠٧ وج١٢ ص٥٦ وج١٧ ص٢٠١ وج٢٣ ص٢٩٧ ومسند الشاميين ج٣ ص١٦ و ٣١٠ وج٤ ص٣٤ ومسند الشهاب ج٢ ص١٧٥ والإستذكار لابن عبد البر ج٥ ص١١١ والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٣٠١ و ٣٠٨ وج١٩ ص٢٢٢ ورياض الصالحين للنووي ص١٣٨ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٢٤١ وتغليق التعليق لابن حجر ج٥ ص١٨٥ و ١٨٧ والجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٤٤٩ وفيض القدير ج٥ ص٤٥٠ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٨٥٦ ومجمع البيان ج١٠ ص٤٥٩ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٤٨٣ والتفسير الصافي ج١ ص٣٦٩ وج٥ ص٣٨٢ وج٧ ص٥٦٦ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٨٠ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص١٩٥ وتفسير الميزان ج٣ ص٣٨٠ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٣٧١ وجامع البيان ج٤ ص٥٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٢٥٤ ومعاني القرآن للنحاس ج٢ ص٣٨٢ وتفسير الثعلبي ج٣ ص١٢٦ وج١٠ ص٣٠٨ وتفسير السمعاني ج٢ ص٧٧ وج٦ ص٢٩٠ وتفسير البغوي ج٢ ص٧٦ وزاد المسير ج٨ ص٣٢٠ والجامع لأحكام القرآن ج٤ ص١٦٨ وج٦ ص٣٦١ و ٣٧٧ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٢٤ وج٣ ص٢٦١ وج٤ ص٥٩٥ والدر المنثور ج٢ ص٣٤٩ وج٥ ص٩٦ وج١٧ ص٢١١ وج٢٢ ص٤٥ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٢٣٤ وعلل الدارقطني ج٥ ص٩٦ وج٧ ص٢٩٩ وتاريخ مدينة دمشق =

هل هذا الخلط متعمد:

وإذا راجعنا نصوص ما جرى من خالد على مالك بن نويرة وأصحابه، وعلى بني جذيمة، فإننا نشهد ظاهرة مثيرة وهي: أن ثمة تشابهاً في عرض ما جرى بين القضيتين في عدة مفاصل أساسية.

فقد رأوهم يصلون، ويؤذنون في كلا الواقعتين.

وحبسوا في ليلة باردة، وقتلوا لأن خالداً أمر أصحابهم بأن يدفئوا أسراهم، ففهموا ذلك على أنه أمر بالقتل.

وكلمة «أدفئوا في لغة كنانة تعني القتل».

وسمع خالد الواعية بعد ان فرغوا منهم.

واعترض على خالد في قتلهم رجلان، هما: عبد الله بن عمر، وسالم مولى أبي حذيفة في بني جذيمة، أو عبد الله بن عمر وأبو قتادة في قصة مالك وأصحابه. وقد كره خالد كلامهما في كلتا الحادثتين.

بل إن أبا قتادة قد عاهد الله أن لا يشهد مع خالد حرباً أبداً بعد قصة مالك بن نويرة.

وتذكر رواية قصة مالك أيضاً: سياقاً يتوافق كثيراً مع سياق قصة بني

= ج٢٠ ص٣٧٢ وج٣٦ ص٨ وج٤٧ ص١١٧ وسير أعلام النبلاء ج١ ص١٢٠ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٤ ص١٢٥١ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٣١ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٣٠٥ و ٣٠٦ وج١٤ ص٢٢٢ و ٢٢٣ وبشارة المصطفى للطبري ص٢١٧ والدر النظيم ص٤٤٤ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٨٣ والعدد القوية للحلي ص١٩٨ وسبل الهدى والرشاد الصالحي ج١٠ ص٩٦ وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٣٩٨ والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص١٦٤ و ١٦٥.

جذيمة، فإن أصحاب خالد واجهوا أصحاب مالك تحت الليل، فأخذ أصحاب مالك السلاح، فقال أصحاب خالد: إنَّا مسلمون.

فقالوا: ونحن المسلمون.

قلنا: فما بال السلاح معكم؟

قالوا: فما بال السلاح معكم؟

قلنا: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح.

فوضعوا السلاح لقول خالد الخ..»[1].

وهذا السياق بعينه موجود في قصة بني جذيمة كما تقدم.

فهل سبب هذا التشابه هو: أن محبي خالد أرادوا أن يقرنوا بين أبي بكر في نصرته لخالد ودفاعه عنه، وبين حادثة بني جذيمة، حيث لم يقتل النبي «صلى الله عليه وآله» خالداً حين أوقع بهم؟!

الإقواء في الشعر المنقول:

وقد ظهر في الأبيات المنقولة، خصوصاً في البيتين اللذين قال ابن هشام: إن أهل العلم بالشعر ينكرونهما لذلك القائل، ظهر فيها الإقواء، في القافية، فجاءت مرفوعة بدل أن تكون مكسورة، فقراءة المرفوع مكسوراً إقواء في الشعر.

اجتهاد خالد:

إن محبي خالد قد عذروا خالداً فيما فعله ببني جذيمة بأنه اجتهد فأخطأ، رغم اعترافه لعمر: بأن الأمر ليس كذلك، ورغم أنه قد اعترف

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (حوادث سنة ١١ هـ) ج٣ ص٢٧٩ وقد تقدمت مصادر ذلك.

لابن عوف بأنه قد قتلهم استجابة للإحن الجاهلية، فقد قال العامري:

«وإنما أنكر النبي «صلى الله عليه وآله» على خالد، لأنه لم يتثبت في أمرهم. ثم عذره في إسقاط القصاص، لأن (أي قولهم: صبأنا) ليس تصريحاً في قبول الدين. وقد سأل عمر أبا بكر في خلافته قتل خالد بن الوليد بمالك بن نويرة، فقال: لا أفعل، لأنه متأول الخ..»[1].

فتراه يصرح: بأن هذا هو نفس ما عذره به أبو بكر لقتله مالك بن نويرة وأصحابه. ثم إقدامه على الزنى بزوجة مالك في نفس ليلة قتله، كما تنبأ به مالك نفسه، في نفس ليلة قتله..

وعلى كل حال، فقد قالوا: إنه لما بلغ ذلك أبا بكر وعمر، قال عمر لأبي بكر: إن خالداً قد زنى، فاجلده.

قال أبو بكر: لا، لأنه تأول فأخطأ.

قال: فإنه قتل مسلماً، فاقتله.

قال: لا، إنه تأول فأخطأ.

ثم قال: يا عمر! ما كنت لأغمد سيفاً سله الله عليهم[2].

---

(١) بهجة المحافل للعامري ج١ ص٤٤٤.

(٢) راجع: تاريخ ابن شحنة (روضة المناظر) (مطبوع بهامش الكامل) حوادث سنة ١١ هـ ج٧ ص١٦٥ و (في ط أخرى لروضة المناظر) ج١ ص١٩١ و ١٩٢ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٨. وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٢٠٩ وشرح المواقف ج٨ ص٣٥٨ والغدير ج٧ ص١٦٠ وراجع: كنز العمال ج٥ ص٢٤٧ ومرآة الجنان ج٢ ص١٢٠ وفيات الأعيان ج٦ ص١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٥٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٥٠٣ والكنى والألقاب ج١ ص٤٢.

ولكن ليت شعري كيف يجيب هؤلاء على الأسئلة التالية:

كيف يصح الإجتهاد مع وجود النص على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لم يرسله مقاتلاً، وإنما أرسله داعياً؟!

وكيف يصح الإجتهاد، مع النهي الصريح عن قتل المسلمين؟! فإنه لا يحل قتل المسلم إلا في كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو تعمده قتل مسلم[1]. أو فساد في الأرض[2]، وكل ذلك لم يكن..

وإذا كان بنو جذيمة لم يحسنوا أن يقولوا: «أسلمنا»، فقالوا: «صبأنا»

---

(١) راجع: مشكاة المصابيح ج٢ ص٢٨٥ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٤٧ ومصابيح السنة ج٢ ص٥٠٢ والديات لابن أبي عاصم ص٩ وعن صحيح البخاري ج٦ ص٢٥٢١ وعن صحيح مسلم ج٢ ص٣٧ و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٨٧ وج٨ ص٤٣ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٣٥ ص٢١٢ والمحلى لابن حزم ج١١ ص٦٨ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٤٩٩ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٢٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٢٨ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٠٣ وج٢٤ ص٦١ وعون المعبود ج١٢ ص٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٤١٧ ونصب الراية ج٤ ص١٠٩ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٩٦ وكنز العمال ج١ ص٨٧ و ٩٢ وشرح مسند أبي حنيفة ص٣٥٩ وكشف الخفاء ج٢ ص٣٦٧ وأحكام القرآن ج٢ ص٩٨ و ٢٩٢ وأضواء البيان ج٣ ص١٣٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٤٤٥.

(٢) كما نصت عليه الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الآية ٣٣ من سورة المائدة).

ـ كما زعم أنصار خالد ومحبوه ـ فإن صلاتهم، وأذانهم، ومساجدهم شاهد صدق على إسلامهم.

ولو قيل: إن ذلك لا يمنع من ارتدادهم بعد صلاتهم وأذانهم، فيصح قتلهم..

فإننا نقول:

قد تقدم: أن خالداً قال لهم: ما أنتم؟

قالوا: مسلمون.

ولو أنهم كانوا قد عادوا إلى الإرتداد، فلماذا اعترض الناس على خالد حين قتلهم؟!

ولماذا غضب عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ولماذا برئ إلى الله من فعل خالد ثلاث مرات؟!

ولماذا لامه عمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار، وعبد الله بن عمر، وسالم مولى أبي حذيفة؟!

ولماذا لم يقتل أحد من الأنصار أسيره؟!

ولماذا يعتذر خالد عن قتلهم: بأنه يريد أخذ ثار عوف؟!

ولماذا.. ولماذا..

ومن جهة أخرى: كيف يمكن لهؤلاء إثبات اجتهاد خالد، وهو كان حديث عهد بالإسلام؟ إلا أن يكون هؤلاء يرون أن الإجتهاد ـ كالنبوة ـ مقام إلهي يمنحه الله لمن يشاء!!

وأخيراً نقول:

إن زعمهم: أن خالداً تأول فأخطأ، فيه جرأة كبيرة على خالد ـ بنظرهم

طبعاً ـ وهو ذنب يستغفرون الله منه، فقد كان ينبغي أن يقولوا فيه مثل ما قالوه في قاتل علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد افتروا على ابن ملجم، فزعموا: أنه مجتهد مأجور على ما فعل.

وقال محمد بن جرير الطبري في التهذيب: «ولا خلاف بين أحد من الأمة أن ابن ملجم قتل علياً متأولاً مجتهداً مقدراً على أنه على صواب»[1].

وهذا هو نفس ما عذروا به أبا الغادية قاتل عمار بن ياسر[2].

اجتهاد خالد عند الخطابي:

قال الخطابي: «يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم للعدول عن لفظ الإسلام، ولم ينقادوا إلى الدين، فقتلهم متأولاً. وأنكر عليه النبي «صلى الله عليه وآله» العجلة، وترك التثبت في أمرهم، قبل أن يعلم المراد من قولهم: صبأنا»[3].

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٨ وراجع: مغني المحتاج ج٤ ص١٢٤ وتلخيص الحبير ج٤ ص٤٦ والمحلى لابن حزم ج١٠ ص٤٨٤ والجوهر النقي ج٨ ص٥٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٦١ والغدير ج١ ص٣٢٣ وج٩ ص٣٩٣ وج١٠ ص٣٤١ والمجموع للنووي ج١٩ ص١٩٧ والمبسوط للسرخسي ج٢٦ ص١٧٥ والشرح الكبير ج١٠ ص٧٦ والنص والإجتهاد ص١٣.

(٢) المحلى لابن حزم ج١ ص٤٨٤ والجوهر النقي (مطبوع بهامش سنن البيهقي) ج٨ ص١٥٨ والغدير ج١ ص٣٢٨ وسماء المقال في علم الرجال للكلباسي ج١ ص٢٠.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤ ص١٦١ وراجع: فتح الباري ج٨ ص٤٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١١ ومرقاة المفاتيح ج٧ ص٤٨٧.

وهو كلام بارد، وتأويل فاسد.

فأولاً: إن مهمة خالد هي دعوتهم إلى الله تعالى، وتقريب مفاهيم الإسلام إلى أذهانهم، وإقامة الحجة عليهم، من خلال الأدلة والشواهد.

فإن لم يرق لهم الدخول في الإسلام، فليس له أن يقاتلهم، فضلاً عن أن يغدر بهم، ثم ياسرهم، ويعرضهم على السيف.

ثانياً: لا ندري كيف يجوز له أو لغيره الإجتهاد في مورد يحكم فيه العقل بلزوم الإحتياط بمراجعة النبي الكريم «صلى الله عليه وآله». الذي لم يفوض إليه أن يعمل باجتهاده، سواء أخطأ فيه، أم أصاب.

ثالثاً: إنه حتى لو أن خالداً لم يستعجل في أمر بني جذيمة، بل تثبت من قصدهم بكلمة «صبأنا»، وعلم أنهم قد رفضوا الإسلام، فإن قرار قتلهم أو استبقائهم لا يعود إليه. فالتثبت في أمرهم، ومعرفة مرادهم من كلمة صبأنا لا يفيد في دفع اللوم عن خالد..

رابعاً: قد تقدم: أنهم صرحوا بأنهم مسلمون، وصلوا مع خالد عدة صلوات قبل أن يغدر بهم، وبنوا المساجد في الساحات، ورفعوا الأذان، وكانوا بعد أسرهم يطلبون من المسلمين أن يمكنوهم من الصلاة، فكانوا يحلونهم من كتافهم، فإذا صلوا أعادوهم إليه.

خامساً: قد اعترف خالد لعمر، واعترف لعبد الرحمن بن عوف: بأنه قد قتلهم لأحن، وثارات، وعصبيات جاهلية.

اعتراض ابن عوف وسالم وابن عمر:

واعتراض عبد الرحمن بن عوف على خالد، وجواب خالد له يدل على

أن قتل بني جذيمة لم يكن بسبب الفهم الخاطئ من قبل بني كنانة، فإن خالداً لم يعتذر بذلك، بل اعتذر بأنه أراد أن يقتل قاتل عوف والد عبد الرحمن بن عوف.

كما أن السبب في قتلهم إن كان هو الفهم الخاطئ من قبل بني كنانة، فإن ملامة عبد الرحمن لخالد تصبح بلا معنى، فإن الخطأ في الفهم يعتبر عذراً مقبولاً عند الناس.

على أنه لو صح ذلك، فإن اتهام عبد الرحمن بن عوف لخالد بأن ما فعله من أمر الجاهلية، وأنه أراد أن يأخذ بثأر عمه الفاكه بن المغيرة يصبح من البهتان الذي يقتضي مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ردع ابن عوف عنه؛ فإنه من الظلم الظاهر، ومن المنكر السافر.

وكل هذا الذي ذكرناه: يجري أيضاً بالنسبة لاعتراض ابن عمر وسالم مولى أبي حذيفة.. فقد كان على خالد أن يعتذر لهما: بأنه لا ذنب له فيما جرى.. بل الآخرون هم المخطئون في فهم كلامه، فإن كان ثمة من لوم، فيجب أن يوجه إليهم، إن صح لوم من يخطئ في فهم الكلام الموجه إليه.

التناقض والاختلاف:

إن التناقض الظاهر فيما بين الروايات في عرضها لما جرى لبني جذيمة يشير إلى أن ثمة رغبة في تعمية الأمور، وإثارة الشبهات حول حقيقة وحجم ما جرى، فعسى ولعل، ولعل وعسى يفيد ذلك في إعادة شيء من ماء الوجه لخالد، ولو أمام البسطاء والسذج من الناس.

ونحن لا نريد أن نفيض في إظهار هذه التناقضات، بل نكل ذلك إلى

القارئ الكريم نفسه. فإن وضوح ذلك يدعونا إلى توفير الوقت لما هو أهم، ونفعه أعم.

أدفئوا أسراكم:

وزعموا: أنه لما كان وقت السحر، نادى خالد: من كان معه أسير فليدَافِّه، والمدَافَّة: الإجهاز عليه بالسيف.

ونقول:

من الذي قال: إن كنانة والعرب حول مكة تقول: أدفئوا، بمعنى اقتلوا؟

فإننا لم نجد شاهداً على ذلك سوى ما في هذه الرواية.

غير أنهم ذكروا: أن قولهم: أدفأ الجريح بمعنى أجهز عليه، وقالوا: إن هذه لغة يمانية[1].

وبنو مدلج وكنانة كانتا تعيشان في منطقة مكة، وليستا يمانيتين.

كما أن الأسرى لم يكونوا جرحى، ليقال: إنهم فهموا من هذه الكلمة لزوم الإجهاز على من كان جريحاً منهم!!

وقد صرحت الروايات: أن الذين كانوا مع خالد بن الوليد هم:

١ ـ من المهاجرين والأنصار.

٢ ـ من بني سليم بن منصور.

٣ ـ ومن بني مدلج بن مرة.

---

(١) راجع: أقرب الموارد ج١ ص٣٣٩.

ومن الواضح: أن بني سليم بن منصور ينتهون إلى قيس بن عيلان بن مضر.. فأين كنانة من هؤلاء؟!

والمهاجرون هم عموماً من قريش.

والأنصار هم من الأوس والخزرج، فالذين كانوا من كنانة هم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة، وهؤلاء قلة قليلة، يعرفون لغة قريش، ويعرفون أن المتكلم معهم قرشي.

فلو صح: أن أحداً من كنانة ممن كان حاضراً قد وقع في الغلط فعلاً، فالمفروض هو: أن ينهاه رفقاؤه عن قتل أسيره، ويعرِّفوه معنى كلام خالد.

النداء عند السحر!! لماذا؟!:

ثم إننا لا ندري لماذا اختار خالد وقت السحر ليأمر أصحابه بقتل أسراهم؟ هل كان يريد أن يفرغ من هذا الأمر، وحينما يكون الأتقياء من صحابة النبي «صلى الله عليه وآله» نائمين، لا يشعرون بما يجري، حتى يفرغ من جريمته؟!

لأن الظاهر: أن خالداً كان يخاف من ثورة كثير من الصحابة ضده، لو أنهم شهدوا تلك الجريمة النكراء، والفضيحة الصلعاء، والشنعاء.

ويكفي أن التاريخ لم يستطع أن يصرح لنا إلا باسم رجلين اعترضا على خالد فيما صنع، ومن غير المعقول أن يمالئه على هذه الجريمة ثلاث مائة وخمسون رجلاً قد صحبوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعرفوا ورأوا بعضاً من سياساته ومواقفه!!

فمن المتوقع أن يكثر المعترضون عليه، ولو لأجل التنصل من المسؤولية

عما يحدث، وتسجيل موقف رافض، ولو على مستوى الشكليات.

كما أننا نستفيد من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أما كان فيكم رجل رحيم؟! شاهداً ومؤيداً لما ذكرناه.

فإن الذين مارسوا القتل ـ على ما يظهر ـ قد وقع الإختيار عليهم بعناية ودقة. أي أن خالداً قد سلم الأسرى لأناس يعرفهم بالقسوة، وبعدم الرحمة، حسبما أشارت إليه كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فعل خالد من أمر الجاهلية:

إن من الأمور التي قررها الإسلام، وضع دماء الجاهلية، وعدم أخذ الناس بها. ربما لأنها إنما أريقت لا لأجل إحقاق حق، وإبطال باطل، وإنما انطلاقاً من عصبيات مقيتة وثأراً يأخذ البريء بذنب المسيء، ونصرة لمفاهيم جاهلية وغير إنسانية.

والمتأمل في ما فعله خالد يجد: أنه لا يخرج عن هذا السياق، إن يكن يُغرقُ فيه، ويَغرَقُ في وحوله النتنة، وتبتهج روحه لما ينبعث منه من روائح عفنة.

لماذا لم يعاقب النبي ﷺ خالداً؟!:

ولا يشك أي مطلع منصف في أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غضب مما جناه خالد، ولم يكتف بالإعراض، بل شفع ذلك بتكرار البراءة إلى الله من فعله ثلاث مرات. ثم هو قد واجهه باللوم على ما بدر منه تجاه عبد الرحمن بن عوف الذي اعترض عليه بسبب ما صدر منه.

غير أن ثمة سؤالاً يبقى بحاجة إلى جواب.. وهو:

لماذا لم يأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» خالداً بجريمته، ما دام أنه قد كان من المؤكد: أنه إنما قتل جماعة من المسلمين، وأنه لم يكن صادقاً حينما ادَّعى عليهم الكفر.. وأنه قد كذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بادِّعائه: أنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمره بقتلهم؟!

ولعل الصواب أن يتضمن الجواب ما يلي:

إننا لا نريد أن نتول: إن قتل خالد يحبط مسعى النبي «صلى الله عليه وآله» لاستقطاب مستضعفي المنطقة، من حيث إن ذلك سيثير أمام الدعوة الإسلامية ألف مشكلة ومشكلة، حين تتحرك زعامات قريش في إعلام مسموم، يرمي إلى إثارة الشبهات في حقانية هذا الدين، وفي صحة قرارات النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»..

ولكننا نريد أن نكتفي بالقول: بأن ادِّعاء خالد: أن بني جذيمة كانوا كفاراً حين قتلهم، قد كان بهدف إيجاد الشبهة في أن يكون قد اشتبه عليه الأمر، فظن كفرهم، فقتلهم.

وهو وإن كان مخطئاً في ذلك بلا ريب، إلا أن خطأه هذا لا يبرر الاقتصاص لهم منه. بل هو يوجب أن يديهم إمام المسلمين، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بيت المال.

وقد بادر «صلى الله عليه وآله» إلى دفع الدية لهم، وتعويضهم عن كل ما فقدوه.

والقرائن والدلالات وإن كانت متضافرة على تكذيب هذه المزعمة. ولكنها مزعمة تكفي لدفع غائلة الاقتصاص من خالد، فإن الحدود تدرأ

بالشبهات.

وقد أشرنا مرات عديدة إلى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يتعامل مع الناس على أساس علم الشاهدية، أو العلم الخاص الذي يمنحه الله تعالى إياه، وإنما يتعامل معهم وفق ما تؤدي إليه الوسائل العادية المتوفرة لديهم، فهو يقضي بين الناس بالأيمان والبينات، وبما يوجبه الإقرار، وما يراه بعينه، ويسمعه بأذنه..

وتوضيح آخر نضيفه هنا، وهو: أن خالداً، وإن كان منهياً عن القتال، لأن سريته سرية دعوة لا سرية قتال. وقد أخطأ في قتاله لبني جذيمة بلا ريب.

ولكن هناك أمران يفرضان تعاملاً خاصاً، يتناسب مع مقتضياتهما وهما:

أولاً: أن المسلم لا يقتل بالكافر.. فادِّعاء كفرهم يجعل خالداً الذي قتلهم عمداً في مأمن من القصاص. أي أن هؤلاء، وإن كانوا مسلمين في واقع الأمر، ولكن خالداً يدَّعي: أنه إنما قتلهم لظنه فيهم الكفر.. وهذه شبهة توجب دفع القصاص، كما قلنا.

ثانياً: إنه لا يجوز الإقدام على أي تصرف يثير الشبهة في صحة ودقة وصوابية التصرفات، التي تصدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلا يجوز له أن يفعل ما يوجب شكهم في نبوته، أو اتهامه في عصمته..

ولعل ذلك هو بعض فوائد عدم السماح له بأن يتعامل مع الناس بعلم الشاهدية.

غضب النبي ﷺ وإعراضه عن خالد:

قال البلاذري، والواقدي: مكث رسول الله «صلى الله عليه وآله»

معرضاً عن خالد حيناً، وخالد يتعرَّض له «صلى الله عليه وآله»، ويحلف ما قتلهم على ترة، ولا عداوة، وإنه لم يسمع منهم تشهّداً.

قال البلاذري: فرضي «صلى الله عليه وآله» عنه وسماه بعد ذلك سيف الله.

قال الواقدي: فلما قدم علي ووداهم، أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» على خالد، فلم يزل عنده من علية أصحابه حتى توفي «صلى الله عليه وآله»..

ثم ذكر حديث: لا تسبوا خالداً، فإنما هو سيف من سيوف الله سله على المشركين[1].

ونقول:

قد تحدثنا في موضع سابق من هذا الكتاب عن تسمية خالد بـ «سيف الله»، وأنه أمر مكذوب، وأن خالداً إنما سل سيفه على المسلمين في قضية بني جذيمة، وفي يوم البطاح حين قتل مالك بن نويرة، ولم نجد له أية نكاية في المشركين، بل كان هو السبب في هزيمة المسلمين في مؤتة، بعد أن كان النصر منهم على أعظم أمبرطورية في ذلك العصر قاب قوسين أو أدنى، ثم كان بعد ذلك الرجل الذي تولى إخضاع المسلمين لأبي بكر، وقتلهم على ذلك بلا رحمة ولا شفقة!!

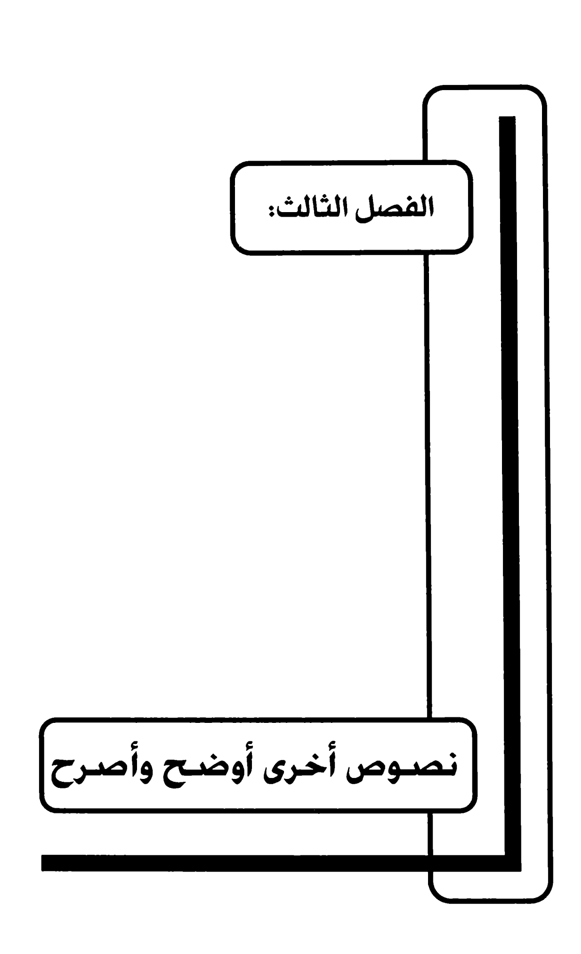
---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص٣٨١ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٤٩ ومسند أبي يعلى ج١٣ ص١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٤٣ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٧ والمطالب العالية ج١٦ ص٣٠٩ وفضائل الصحابة ج٢ ص٨١٥.

وغضب النبي «صلى الله عليه وآله» وإعراضه عن خالد، لعله لأجل دلالة الناس عن حقيقة: أن خالداً ليس صادقاً فيما يدَّعيه.

وأن الشبهة التي أراد أن يتلطى خلفها وإن كانت توجب درء الحد عنه في ظاهر الأمر، ولكنها شبهة قائمة على الخداع والتضليل، ولذلك عامله «صلى الله عليه وآله» وفق ما ادَّعاه لنفسه من جهة.. ثم بيَّن له الحقيقة والواقع، ليفهمه: أن القبول منه لا يعني أنه قد تمكن من خداع النبي «صلى الله عليه وآله» من جهة أخرى، فلا يظنن أنه قادر على التلاعب بقرارات النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، والتأثير على سياساتهم، بما يدبره من مكائد ومصائد. فهو إنسان مكشوف ومعروف لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فلئن دفع عن نفسه القتل بما خادع به النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين هذه المرة، فإنه قد لا يسلم من ذلك فيما لو سولت له نفسه ذلك مرة أخرى.



الفصل الثالث:

نصوص أخرى أوضح وأصرح

أربع مائة قتيل من بني جذيمة:

قال ابن حبيب البغدادي: «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر، فقاتلهم على ماء لهم، يقال له: الغميصاء[1]، فقتل منهم أربع مائة غلام»[2].

وصرح المؤرخون: بأن خالداً أكثر القتل في بني جذيمة[3].

ولكن محبي خالد يسعون بكل قوة لتقليل عدد القتلى، ولكن القتلى كانوا من الكثرة بحيث لم يجدوا مناصاً من الإعتراف بذلك، فقد رووا عن رجل من بني جذيمة، مبيض؛ قال: سمعت خالد بن إلياس يقول: بلغنا أنه قَتَل منهم قريباً من ثلاثين رجلاً[4].

وهذا الرقم رغم أنه كثير في نفسه، ولكن حديث ابن حبيب عن قتل

---

(١) الغميصاء: موضع في البادية قرب مكة إلى جهة يلملم.

(٢) المنمق (ط الهند سنة ١٣٨٤ هـ) ص٢٤٨ و (نسخة مخطوطة) ص٢٠٩.

(٣) المنمق ص٢٥٢ و٢٥٩ و (نسخة مخطوطة) ص٢١١ و ٢١٢ وراجع: الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٧ والنص والإجتهاد ص٤٦٠ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٦٢٧ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج١ ص٢٦٦.

(٤) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٤.

أربع مائة غلام، يدل على كثرة هائلة في عدد القتلى، تجعل من الصعب علينا تصديق كلام منسوب إلى رجل مجهول من بني جذيمة، عن خالد بن إلياس الضعيف في نفسه أيضاً، الذي وصفه ابن معين بأنه: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه[1].

وقال البخاري: ليس بشيء منكر الحديث[2].

وقال أحمد والنسائي: متروك[3].

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث[4].

وقال أبو زرعة: ضعيف ليس بقوي. سمعت أبا نعيم يقول: لا يسوى حديثه فلسين[5].

وقال النسائي مرة: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه[6].

---

(١) عمدة القاري ج٥ ص٢٨٦ وميزان الإعتدال ج٢ ص٤٠٨ ونصب الراية للزيلعي ج١ ص٤٦٤.

(٢) عمدة القاري ج٥ ص٢٨٦ ونصب الراية للزيلعي ج١ ص٤٦٤ والكامل لابن عدي ج٣ ص٥ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٦٨ وتهذيب التهذيب ج٣ ص٧٠ و ٧١.

(٣) ميزان الإعتدال ج١ ص٦٢٧ و٦٢٨ وتهذيب التهذيب ج٣ ص٧٠ و ٧١ وعمدة القاري ج٥ ص٢٨٦ ونصب الراية للزيلعي ج١ ص٤٦٤ وضعفاء العقيلي ج٢ ص٣ والجرح والتعديل ج٣ ص٣٢١ والكامل لابن عدي ج٣ ص٥ وبحر الدم للمبرد ص٤٨ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٦٨ وتهذيب التهذيب ج٣ ص٧٠.

(٤) تخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٤٢ ونصب الراية للزيلعي ج١ ص٤٦٤ وتهذيب التهذيب ج٣ ص٧٠.

(٥) الجرح والتعديل ج٣ ص٣٢١ وتهذيب التهذيب ج٣ ص٧٠.

(٦) تحفة الأحوذي ج٨ ص٦٨ وتهذيب التهذيب ج٣ ص٧١.

وضعّفه أيضاً: يعقوب بن سفيان، وابن عدي، والترمذي، وابن شاهين، والساجي، ومحمد بن عمار، وابن مثنى، والبزار، وابن حبان، والحاكم، والنقاش،.

وقال ابن عبد البر: ضعيف عند جميعهم[1].

ولو استطاع محبوا خالد إنكار أصل وجود قتلى لما ترددوا في ذلك.

القسوة والغلظة:

قد ذكرت هذه الحادثة بمرارة ظاهرة في أشعار عدد من الناس، وقد تركت أثرها في وجدانهم وفي مشاعرهم الإنسانية، فراجع بعض ما قيل في ذلك في كتاب السيرة النبوية لابن هشام، والمنمق، وغير ذلك.

ولسنا بحاجة إلى التدليل على فظاعة ما جرى، فإن الحوامل قد أسقطن أجنتهن، وقد محقت تلك القبيلة عن بكرة أبيها، في مالها، وفي رجالها، الذين لم ينج منهم إلا الشريد، وإلا الأسرى الذين أطلقهم الأنصار، وبعض من غيرهم.. وكان خالد وبنو سليم هم الأعتى والأقسى، والأغلظ أكباداً فإن بني سليم قد قتلوا جميع من كان في أيديهم من الأسرى، ولم يفلت منهم احد..

ويكفي للتدليل على حقيقة خالد وأعوانه، قول النبي «صلى الله عليه وآله» لهم: «أما كان فيكم رجل رحيم»؟!

ابن واضح يروي ما جرى:

أما النص الذي ذكره ابن واضح فهو التالي: «بلغ جذيمة: أن خالداً قد

---

(١) تهذيب التهذيب ج٣ ص٧٠ و ٧١.

جاء ومعه بنو سليم، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح.

فقالوا: إنا لا نأخذ السلاح على الله، وعلى رسوله، ونحن مسلمون. فانظر ما بعثك رسول الله له، فإن كان بعثك مصدقاً، فهذه إبلنا وغنمنا، فاغد عليها.

قال: ضعوا السلاح.

قالوا: إنا نخاف أن تأخذنا بإحنة الجاهلية.

فانصرف عنهم، وأذّن القوم وصلوا.

فلما كان السحر شنّ عليهم الخيل، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية.

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد. وبعث علي بن أبي طالب «عليه السلام» فأدى إليهم ما أخذ منهم، حتى العقال، وميلغة الكلب. وبعث معه بمالٍ ورد من اليمن، فودى القتلى، وبقيت منه بقية. فدفعها علي «عليه السلام» إليهم على أن يحلوا رسول الله مما علم ومما لا يعلم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لما فعلت أحب إلي من حمر النعم.

ويومئذٍ قال لعلي «عليه السلام»: فداك أبواي.

وقال عبد الرحمن بن عوف: والله، لقد قتل خالد القوم مسلمين.

فقال خالد: إنما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف.

فقال له عبد الرحمن: ما قتلت بأبي، ولكنك قتلت بعمك الفاكه بن المغيرة[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي (ط صادر) ج٢ ص٦١ وراجع المصادر المتقدمة.

الأموال من اليمن!!:

وذكر البلاذري وغيره: أن المال الذي أعطاه «صلى الله عليه وآله» لبني جذيمة كان قد اقترضه، فصرفه في ذلك[1].

وقد تقدم: أنهم ذكروا: أن المال الذي اقترضه من صفوان بن أمية، وحويطب، وابن أبي ربيعة قد ودى منه قتلى بني جذيمة[2].

ولكن اليعقوبي قال: إنه قد أدى ديات القتلى من مالٍ ورد إليه من اليمن.

ونقول:

قد عرفنا: أن أموال بني جذيمة قد قسمت، ولم يعد يمكن رد اعيانها، فردّ «صلى الله عليه وآله» عليهم مثل ما أخذ منهم، حتى لقد أعطاهم عوضاً عن ميلغة الكلب، وحبال الرعاة، وما إلى ذلك.

كما أنه قد أعطاهم ديات قتلاهم. وديات القتلى تكون في العادة مبالغ كبيرة جداً، قد يحتاج أداؤها إلى التماس المال من أكثر من اتجاه. وقد يحتاج من عليه دية إلى أن يسير في العرب طلباً للمعونة منها، خصوصاً إذا تعددت الديات. فكيف إذا بلغت العشرات والمئات، كما هو الحال في قضية بني جذيمة، حيث أكثر خالد من القتل فيهم، حتى ذكر البعض رقم أربع مائة غلام.

مهما اقترض «صلى الله عليه وآله» من أموال، فإنه لا يمكن اقتراض ما

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ص٣٨١.

(٢) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٢.

يفي بدايات عشر معشار هؤلاء.

خصوصاً إذا لاحظنا ما يحتاج إليه جيش يزيد على عشرة آلاف مقاتل من نفقات عظيمة.

أما ما ذكروه: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد ودى القتلى مما اقترضه من صفوان بن أمية وغيره، فهو لا يعدو كونه مجرد مزحة من قائله. خصوصاً مع التصريح بأنه «صلى الله عليه وآله» قد اقترض ذلك المال ليعين به ضعفاء أصحابه.. ولا شك في أن كثرة هؤلاء الضعفاء ظاهرة، تتناسب مع عدد عشرة آلاف مقاتل، قد جاؤوا من بلاد بعيدة، وليس لهم مصدر رزق في هذه البلاد، وقد جاؤوا محاربين غير مسالمين، ولا متاجرين.

وأما المال الذي جاء من اليمن، فهو ليس من غنائم الحرب، لأنه «صلى الله عليه وآله» لم تكن له سرايا، ولا كتائب تعمل في تلك المناطق، بل كان كل ما يمكنه أن يستفيد منه في مجال القتال قد وظفه في تجهيز هذا الجيش إلى مكة ومحيطها، ليحسم الأمور فيها، ويدخل المنطقة بأسرها في مرحلة جديدة من التوجهات والطموحات، والتخطيط، والحركة، والعمل.

كما أن المفروض هو: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد بسط سلطته على منطقة اليمن.. ولم يكن له تجار يعملون فيها على تحصيل المال، وإمداده به..

كما أن اليمن نفسها لم يكن لها ذلك التميّز والتفرد، والأهمية في إنتاج المال. فقد كانت مناطق الشام، وبلاد الروم، وفارس اكثر أهمية منها من هذه الجهة.

يضاف إلى ما تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يباغت قريشاً بالجيوش، وهو إنما يجمع جيوشه من منطقة المدينة وما هو قريب منها،

وهي تقع لجهة الشام.. واليمن تقع في الجهة المقابلة بالنسبة لموقعه من مكة، فأي تحرك من جهة اليمن باتجاه المدينة سوف يفتضح أمره لدى أهل مكة، والحالة أنه يريد أن يباغتهم..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد استفاد صداقات في تلك البلاد، ولا أنشأ علاقات مع ملوكها، ومع أصحاب الأموال فيها، تدعوهم لتقديم مبالغ ضخمة له، تسمح بإعطاء عشرات، بل مئات الديات لأهلها.

فإن كان ثمة من مبادرات في هذا الاتجاه، فهي تقتصر على أمور جزئية جداً، ورمزية، مثل: جارية، فرس، غلام، شيء من الطيب، خاتم، حلة، حمار، مكحلة، شيء من العسل ونحو ذلك.. فراجع إحصائيات هدايا ملك الحبشة له.. رغم أنه كان مسلماً، وكذلك إحصائيات هدايا المقوقس، أو غيره.. فإنها كلها لا تخرج عن هذا السياق..

ويبقى السؤال:

من الذي جاءه «صلى الله عليه وآله» بهذا المال الهائل من اليمن، ولماذا؟!

إننا إذا استبعدنا احتمال الإمداد الغيبي الإلهي، فلا نجد جواباً مقنعاً، ومعقولاً، ومقبولاً إلا أن نقول:

إن هذا يشير إلى: أن الإسلام كان قد فشا في الناس في مناطق اليمن، بصورةطوعية. وكان أولئك المسلمون يرسلون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بزكواتهم، وأخماس أموالهم، وصدقاتهم، وسائر ما يتوجب عليهم..

ومن غير البعيد أيضاً: أنهم كانوا حين يسمعون بمسيره «صلى الله عليه وآله» إلى مكة بهذا الجيش العظيم، الذي يحتاج إلى نفقات كبيرة جداً، ولابد من المساعدة فيها.. يدعوهم شعورهم بالمسؤولية والواجب المتمثل بحفظ

الإسلام، وحفظ النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» والمسلمين إلى بذل كل غال ونفيس في هذا السبيل، وتخرج المسألة عن كونها مجرد تبرعات وتطوع، لتصبح واجباً عقلياً ودينياً وأخلاقياً، لا بد من امتثاله على أكمل وأتم وجه وأوفاه.

ولعل هذا المال كان خليطاً من ذلك كله..

تفدية النبي ﷺ علياً عليه السلام بأبويه:

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» في قضية بني جذيمة قد فدّى علياً «عليه السلام» بأبويه..

وقد يستفاد من سياق كلام اليعقوبي: أن ذلك كان شائعاً ومعروفاً..

فقد قال: «ويومئذٍ قال لعلي: فداك أبواي»

فكأن هذا الأمر كان معروفاً وشائعاً. وقد أراد تعيين زمان حصوله وحسب..

ومهما يكن من أمر: فإن هذا يكذب ما زعموه: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لسعد في يوم أحد: ارم فداك أبي وأمي.

وأن علياً «عليه السلام» قال: ما سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» جمع أبويه لأحد إلا لسعد(1). فإن المقصود: هو سرقة هذه الفضيلة من علي

---

(1) راجع: المغازي للواقدي ج١ ص٢٤١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٢٩ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٣٣ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٨٨ ومسند أحمد ج١ ص١٣٧ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢٨ وج٥ ص٣٢ و ٣٣ وج٧ ص١١٦ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢٥ وسنن الترمذي ج٤ ص٢١١ وج٥ ص٣١٤ وفضائل الصحابة للنسائي ص٣٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٩٦ والسنن =

«عليه السلام»، ثم منحها لأي كان من الناس.

وقد أرادوا أن يستعينوا بعلي نفسه في ذلك، وإمعاناً منهم في الكيد، ومبالغة في الإيهام والإبهام.

وزعموا أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال للزبير يوم أحد وقريظة: فداك أبي وأمي[1].

= الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٦٢ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص١٨٤ وفتح الباري ج٦ ص٦٩ وج٧ ص٦٦ وعمدة القاري ج١٤ ص١٤٢ و ١٨٥ وج١٧ ص١٤٨ و ١٤٩ وج٢٢ ص٢٠٤ والأدب المفرد للبخاري ص١٧٤ ومكارم الأخلاق لابن الدنيا ص٦٣ وكتاب السنة ص٦٠٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٦١ وج٦ ص٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ ومسند أبي يعلى ج١ ص٣٣٤ وج٢ ص٣٥ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٤٧ ومصادر كثيرة أخرى.

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٢٩ و ٢١٧ و ٣٢٧ و ٣٢٨ عن الشيخين، والترمذي، وحسَّنه، والتاريخ الكبير للبخاري ج٦ ص١٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ و ١٠ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٢ وحدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٠ عن الصحيحين، وصحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، باب مناقب الزبير، وفضائل الصحابة للنسائي ص٣٤ وفتح الباري ج١٠ ص٤٦٩ وعمدة القاري ج١٤ ص١٤٢ وج١٦ ص٢٢٥ وج٢٢ ص٢٠٤ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٩٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١٠ وج٨ ص٥٠١ و ٥٠٣ وكتاب السنة ص٥٩٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٦١ وج٦ ص٥٨ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٣٥ والإستيعاب ج٢ ص٥١٣ وكنز العمال ج١٣ ص٢٠٦ و ٢٠٨ و ٢١٠ و ٢١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٠٦ وتاريخ ابن معين ج٢ ص٥٦ ومصادر كثيرة أخرى.

وقد فات هؤلاء: أن عبد الله وآمنة بنت وهب أجل وأعظم عند الله من أن يفدّي النبي «صلى الله عليه وآله» بهما سعداً والزبير، اللذين ظهرت منهما المخزيات، والموبقات، فإن عبد الله بمقتضى حديث ابن عباس، وأبي جعفر، وحديث أبي عبد الله «عليهما السلام» في جوابه عن قول الله عز وجل ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[1] قال: يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم «عليه السلام»[2]. يدل على نبوة عبد الله ـ ولو لنفسه ـ ولا يمكن أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» فداء لإنسان عادي، يرتكب المعاصي، ويقع في الموبقات.

قال المجلسي عن آباء النبي «صلى الله عليه وآله»: «بل كانوا من الصديقين، إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين»[3].

---

(١) الآية ٢١٩ من سورة الشعراء.

(٢) راجع: البحار ج١٥ ص٣ وج١٦ ص٢٠٤ وج٨٦ ص١١٨ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٠١٩ وتفسير مجمع البيان ج٧ ص٣٥٨ والتفسير الصافي ج٤ ص٥٤ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٦٩ وتفسير مجمع البيان ج٧ ص٣٥٨ وتفسير الميزان ج١٥ ص٣٣٦ وراجع: مدينة المعاجز ج١ ص٣٤٧ ومجمع الزوائد ج٧ ص٨٦ وج٨ ص٢١٤ وإختيار معرفة الرجال ج٢ ص٤٨٨ وتفسير السمعاني ج٤ ص٧١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٦٥ ومعجم رجال الحديث ج١٨ ص١٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٢٣٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٤٩.

(٣) البحار ج١٥ ص١١٧.

لماذا ينكسر عمر؟!.

عن ابن عمر قال: قال عمر لخالد بن الوليد: ويحك يا خالد!! أخذت بني جذيمة بالذي كان من أمر الجاهلية؟! أوليس الإسلام قد محا ما كان في الجاهلية؟!

فقال: يا أبا حفص، والله، ما أخذتهم إلا بالحق! أغرت على قوم مشركين، فامتنعوا، فلم يكن لي بد إذا امتنعوا من قتالهم. فأسرتهم، ثم حملتهم على السيف!!

فقال عمر: أي رجل تعلم عبد الله بن عمر؟

قال: أعلمه ـ والله ـ رجلاً صالحاً.

قال: فهو أخبرني غير الذي أخبرتني. وكان معك في ذلك الجيش!.

فقال خالد: فإني أستغفر الله وأتوب إليه.

فانكسر عنه عمر، وقال: ويحك إئت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستغفر لك[1].

ونقول:

إن ما تضمنته هذه الرواية غريب وعجيب.

أولاً: لماذا ينكسر عنه عمر حين اعترف له بجريمته النكراء؟!

أليس المفروض: أن ينشط عمر في لومه وتقريعه، وفي المطالبة بالإقتصاص

---

(١) كنز العمال ج١٠ ص٥٨٩ و ٥٩٠ عن الواقدي، وابن عساكر. ونقل عن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٠ و ٨٨١ وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن عديم الحلبي ج٧ ص٣١٤٦.

منه؟! تماماً كما فعل مع أبي سفيان حين رآه مع العباس في مر الظهران، وكما فعل مع سهيل بن عمرو في الحديبية، ومع حاطب بن أبي بلتعة في المدينة قبل المسير إلى فتح مكة.

ثانياً: إن عمر قد عودنا في المواقف المشابهة التشدد مع هذا النوع من الناس إلى حد التمرد على توجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله» والإصرار على ما يخالفها، كما جرى في قصة حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة. وفي غيرها مما كان يبادر فيه إلى الطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يأذن له بضرب عنق هذا وذاك..

ولكنه رغم ما كان بينه وبين خالد من كدورات، ظهرت آثارها في بعض الأحيان، فإنه لا يفرّط بخالد في اللحظات الحاسمة، ومنها هذه اللحظة، التي لو بادر فيها إلى السعي لإحقاق الحق، ومجازاة خالد، الذي اعترف له بجريمته، لكانت الضربة القاتلة لخالد، ولو على الصعيد الإجتماعي العام..

ثالثاً: قد أظهرت هذه الرواية: أن خالداً كان يكذب على النبي«صلى الله عليه وآله» وعلى عمر، وعلى عبد الرحمن بن عوف، وعلى عمار، وابن عمر، وسالم، وعلى سائر الناس وكان يحلف لهم الأيمان ليقنعهم بمكذوباته..

ولكن عمر لم يعترض على خالد في ذلك، ولو بمقدار نصيحة يسديها له، يحذره فيها من عواقب الكذب في الدنيا والآخرة..

مع أن عمر كان قد أظهر استبشاعه لجريمة خالد، وأنَّبه وأعان عبد الرحمن بن عوف عليه، فلماذا نشط ضده هناك، ثم تراجع وانكسر هنا؟

رابعاً: هل نستطيع أن نستفيد من سير الأحداث: أن عمر بن الخطاب

كان يسعى لانتزاع اعتراف من خالد، من شأنه أن يجعل خالداً رهينة في يده. لكي يحد من عنفوانه معه هو، وطغيانه عليه.. ولم يكن يريد أن يجري أحكام الإسلام فيه. ولا كان يريد أن ينال هذا الظالم جزاءه العادل..

هل لأن خالداً كان على مثل رأيه في علي «عليه السلام» وحزبه ومحبيه، ويمكن أن يكون مفيداً لهم في مشروعهم الذي يخططون له، ويعملون من أجله؟!

أم لأن خالداً كان من قومه قريش، الذين يتعصب لهم، ويريد أن يحميهم، وأن يحفظهم وينصرهم، ولو أوغلوا في دماء المسلمين، وهتكوا أعراضهم، ونهبوا اموالهم؟!

إن الوقائع المختلفة تؤكد على أن كلا هذين الأمرين كانا محط نظر عمر بن الخطاب في أمثال هذه الحالات..

الريب في موقف المهاجرين:

وقد أجملت بعض الروايات، أو حاولت أن تزوِّر القول، حين زعمت: أن المهاجرين والأنصار لم يقتلوا أسراهم..

غير أن ملاحظة سائر الروايات، خصوصاً سياق روايات الواقدي في مغازيه تعطي: أن الأنصار فقط هم الذين اتخذوا الموقف الحازم والجازم في هذا الأمر.

ولذلك يلاحظ: أن التنويه بموقفهم كان هو الأصرح والأقوى..

بل إن عدداً من الروايات قد اقتصرت على ذكر امتناع الأنصار عن قتل أي أسير كان في يدهم. ولم تذكر اسم أحد سوى أفراد قليلين من

غيرهم صرحت بأسمائهم..

فلاحظ على سبيل المثال قول أياس بن سلمة عن أبيه قال: كنت مع خالد بن الوليد، وكان في يدي أسير، فأرسلته وقلت: اذهب حيث شئت، وكان مع الناس من الأنصار أسارى، فأرسلوهم"[1].

فهو يصرح باسم الأنصار، ولم يذكر المهاجرين.

وعن ابن عمر قال: وأرسلت أسيري، وما أحب أني قتلته، وأن لي ما طلعت عليه شمس أو غربت. وأرسل قومي معي من الأنصار قتلاهم"[2].

فقد ذكر: أن خصوص الأنصار هم أرسلوا أسراهم..

وقد صرح أبو بشير المازني: بأنه أخرج سيفه، ليضرب عنق أسيره، فقال له الأسير: يا أخا الأنصار، إن هذا لا يفوتك، انظر إلى قومك.

قال: فنظرت، فإذا الأنصار طراً قد أرسلوا أساراهم"[3].

ويدل على ذلك أيضاً ما يلي:

خالد يغضب على الأنصار فقط:

عن خارجة بن زيد: لما نادى خالد بن الوليد في الأسرى يدافُّون، وثب بنو سليم على أسراهم، فدافُّوهم. وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم. فغضب على من أرسل من الأنصار.

فكلمه يومئذٍ أبو أسيد الساعدي، وقال: اتق الله يا خالد، والله، ما كنا

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٦.

(٢) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٧.

(٣) المصدر السابق.

لنقتل قوماً مسلمين.

قال: وما يدريك؟!

قال: نسمع إقرارهم بالإسلام، وهذه المساجد بساحتهم[١].

فهذه الرواية وإن كانت قد صرحت: بأن المهاجرين أرسلوا أسراهم أيضاً، لكن لا شك بأن فيها بعض التدليس بالنسبة إلى المهاجرين، إذ لماذا انصب غضب خالد على خصوص الأنصار؟! وكان راضياً عن المهاجرين.

ألا يدلنا ذلك على: أن المهاجرين قد فعلوا ما أرضاه، ولو بأن أرسل بعضهم اسراه، وقتل بعضهم من كان بيده؟!

أحقاد بني سليم:

قال الواقدي: «فأما بنو سليم فقتلوا كل من كان في أيديهم»[٢].

والسبب في ذلك هو: أن بني سليم كانوا متغيظين على بني جذيمة في حروب كانت بينهم، ببرزة[٣] وغيرها. وكانت بنو جذيمة قد أصابوهم ببرزة، وهم موتورون، يريدون القود منهم، فشجعوا عليه[٤].

وبذلك تتلاقى أحقاد بني سليم مع أحقاد خالد بن الوليد، لتكون ثمرتها كارثة إنسانية، ومذبحة بشرية هائلة، تحمل معها الخزي والعار،

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٧ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٧.

(٢) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٦.

(٣) موضع في ديار بني كنانة . وفيه أوقعت بنو فراس بن مالك من بني كنانة ببني سليم (معجم ما استعجم ص١٥٢).

(٤) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٨.

لمرتكبيها، ولكل من أعانهم، أو مالأهم عليها.

لماذا يكتّف بعضهم بعضاً؟!.

وقد صرحت الروايات أيضاً: بأنه لما وضع بنو جذيمة السلاح، قال لهم: إستأسروا، فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضاً، وفرقهم في أصحابه[1].

فلماذا هذا الإجراء يا ترى؟!

هل هو إجراء إحتياطي من خالد؟ لكي لا يغدر بنو جذيمة بأصحابه، حين يندفعون نحوهم لتكتيفهم؟!

وأي شيء يمكنهم فعله في هذا المجال؟! وأصحاب خالد مسلحون، ولا سلاح لدى بني جذيمة؟ فأية حركة تبدر منهم، فستكون سيوف أصحاب خالد على أتم الإستعداد لاصطلامهم والتهامهم.

أم أن خالداً اراد بهذا الإجراء الإمعان في إذلال بني جذيمة، والتلذذ بذلك ما شاء له هواه، وأتاحه له كيده وحقده؟!

قد يكون هذا هو الإحتمال الأصوب والأقرب، والأنسب بأخلاق أهل الغدر، والخيانة، وقساة القلوب، وغلاظ الأكباد.

النبي ﷺ ينتصر لعمار حين يقع في خالد:

قالوا: ودخل عمار على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٠ عن ابن سعد، وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٩٧ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٧ و ١٤٨ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٩ وزاد المعاد ج٣ ص٤١٥ وغير ذلك.

الله، لقد حمش قوماً قد صلوا وأسلموا. ثم وقع بخالد عند النبي «صلى الله عليه وآله». وخالد جالس لا يتكلم، فلما قام عمار وقع به خالد.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: مه يا خالد، لا تقع بأبي اليقظان، فإنه من يعاده يعاده الله، ومن يبغضه يبغضه الله، ومن يسفهه يسفهه الله[1].

ونلاحظ هنا:

١ ـ إن عماراً لما وقع بخالد كان خالد جالساً.. ولم يكن عمار يخشى جواب خالد، لأن عماراً لا يقول إلا الحق، ولا يلهج إلا بالصدق. وليس لدى خالد ما يصح أن يجيب به عماراً، فسكت..

وحين خرج عمار بادر خالد إلى اغتنام الفرصة، فوقع فيه، حين أمن من الجواب الصارم الواضح، والحازم الفاضح.

فجبهه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما تقدم.. وتلك صفعة أخرى استحقها مجرم قاتل، وكاذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كنَّى عماراً وهو غائب بأبي اليقظان، تكرمة وإجلالاً له، ولكنه خاطب خصمه باسمه مع أنه حاضر.. وذلك إمعاناً منه في توهين أمره، وتصغير شأنه..

يضاف إلى ذلك: أنه أمره بالكف وعدم متابعة الكلام، فقال له: مه يا خالد.

٣ ـ إن كلام النبي «صلى الله عليه وآله» قد تضمن كشفاً عن دوافع خالد تجاه عمار، وأن دافعه فيما يقوله فيه هو العداوة والبغض، والتسفيه.

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٨١ و ٨٨٢.

وأما موقف عمار، فهو بداعي: نصرة الحق، وكبت الباطل، والتماساً لرضا الله تعالى.

دفاع الأتباع!! تزوير واختراع!!:

ويروي محبو خالد قضية بني جذيمة بصورة تختلف تماماً عما أثبتته المصادر المختلفة، فعن عبد الملك بن عبد الرحمن بن الحارث، قال: أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد أن يغير على بني كنانة، إلا أن يسمع أذاناً، أو يعلم إسلاماً. فخرج حتى انتهى إلى بني جذيمة، فامتنعوا أشد الإمتناع، وقاتلوا وتلبَّسوا السلاح؛ فانتظر بهم صلاة العصر والمغرب والعشاء لا يسمع أذاناً، ثم حمل عليهم، فقتل من قتل، وأسر من أسر، فادَّعوا بعدُ الإسلام.

قال عبد الملك: وما عتب عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك ولقد كان المقدم حتى مات.

ولقد خرج معه بعد ذلك إلى حنين على مقدمته. وإلى تبوك.

وبعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أكيدر ودومة الجندل. فسبى من سبى ثم صالحهم.

ولقد بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى بلحارث بن كعب إلى نجران أميراً وداعياً إلى الله، ولقد خرج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع، فلما حلق رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأسه أعطاه ناصيته، فكانت في مقدم قلنسوته. فكان لا يلقى أحداً إلا هزمه الله تعالى.

ولقد نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين هبط من لفت[١] في حجته، ومعه رجل، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من هذا؟

فقال الرجل: فلان.

قال: بئس عبد الله فلان!

ثم طلع آخر، فقال: من الرجل؟

فقال: فلان.

فقال: بئس عبد الله فلان.

ثم طلع خالد بن الوليد، فقال: من هذا؟

قال: خالد بن الوليد.

قال: نعم عبد الله خالد بن الوليد!

وقال رجل من بني جذيمة مبيَّض، قال: سمعت خالد بن إلياس يقول: بلغنا أنه قتل منهم قريباً من ثلاثين رجلاً. انتهى[٢].

ونقول:

هكذا يزور هؤلاء حقائق التاريخ، كرمى لعيون خالد بن الوليد، ومن كان خالد في خدمتهم، ويسعى في تأييد وتشييد ملكهم وسلطانهم.

وإليك طائفة من هذه الأكاذيب، التي تضمنتها الرواية المتقدمة، فهم يدَّعون زوراً:

١ ـ أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر خالداً أن يغير على بني كنانة. مع

---

(١) اسم مكان.

(٢) المغازي للواقدي ج٣ ص٨٨٣ و ٨٨٤.

أن الروايات تصرح: بأنه بعثه داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً.

٢ ـ وتدَّعي: أن بني جذيمة قد امتنعوا أشد الامتناع.. مع أن الروايات تصرح: بأنه طلب منهم وضع السلاح، فوضعوه، وطلب منهم أن يكتف بعضهم بعضاً، ففعلوا.

٣ ـ تدَّعي: أن بني جذيمة قاتلوا.. والروايات تصرح بضد ذلك.

٤ ـ تقول: لقد تلبس بنو جذيمة السلاح.

ونقول:

ولكنهم عادوا فوضعوه لما طلب منهم خالد ذلك، فلماذا تصر الرواية على التسويق لضد ذلك؟!

٥ ـ وتقول: انتظر بهم خالد صلاة العصر، والمغرب، والعشاء، ولم يسمع أذاناً. مع أن الروايات تصرح: برفع الأذان، وبوجود المساجد في ساحاتهم، وكانوا وهم أسرى يصلون عند حضور أوقات الصلاة.

بل الرواية الصحيحة المتقدمة عن الإمام الباقر «عليه السلام» قد صرحت: بأنه قبل أن يغير عليهم نادى خالد بالصلاة، فصلى وصلوا، فلما كان وقت الفجر نادى بها فصلى وصلوا. ثم شن عليهم الغارة.

٦ ـ وتدَّعي: أنه بعد أن فعل بهم خالد ذلك ادَّعوا الإسلام. مع أنهم قد صرحوا: بأنهم مسلمون بمجرد أن سألهم خالد عن حالهم، كما تقدم..

٧ ـ وتقول: إنه ما عتب النبي «صلى الله عليه وآله» على خالد. مع أن الروايات تقول: إنه أعرض عنه، وغضب عليه مدة طويلة..

٨ ـ تقول: إنه إنما قتل منهم ثلاثين رجلاً فقط. مع أن ابن حبيب يصرح: بأنه قتل منهم اربع مائة غلام.

٩ ـ تقول: كان خالد المقدم عند النبي «صلى الله عليه وآله» حتى مات.. مع أن غضبه على خالد، وإعراضه عنه بعد فعلته هذه، ظاهر في النصوص والآثار، مع أن هذا الكلام لا شاهد له سوى دعوى قائليه.

أما ما اعتبروه دليلاً على تقدم خالد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو ما يلي:

١ ـ خرج بعد ذلك إلى حنين على مقدمته «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ بعثه «صلى الله عليه وآله» إلى نجران أميراً وداعياً إلى الله.

٣ ـ بعثه إلى تبوك.

٤ ـ بعثه إلى أكيدر ودومة الجندل.

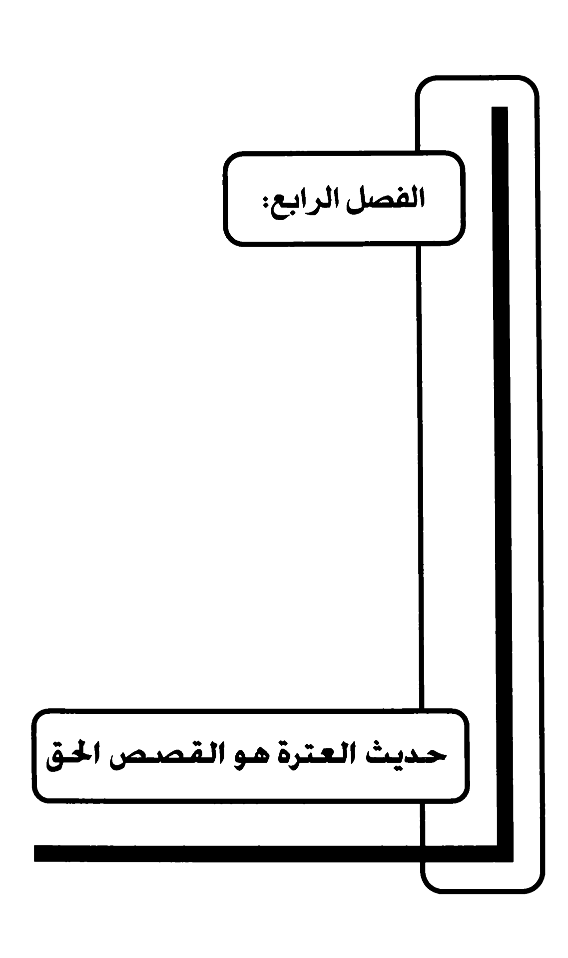
٥ ـ خرج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع. فلما حلق «صلى الله عليه وآله» أعطاه ناصيته. فكانت في مقدم قلنسوته.. فكان لا يلقى أحداً إلا هزمه.

٦ ـ قول النبي «صلى الله عليه وآله»: نعم عبد الله خالد بن الوليد.

ونقول:

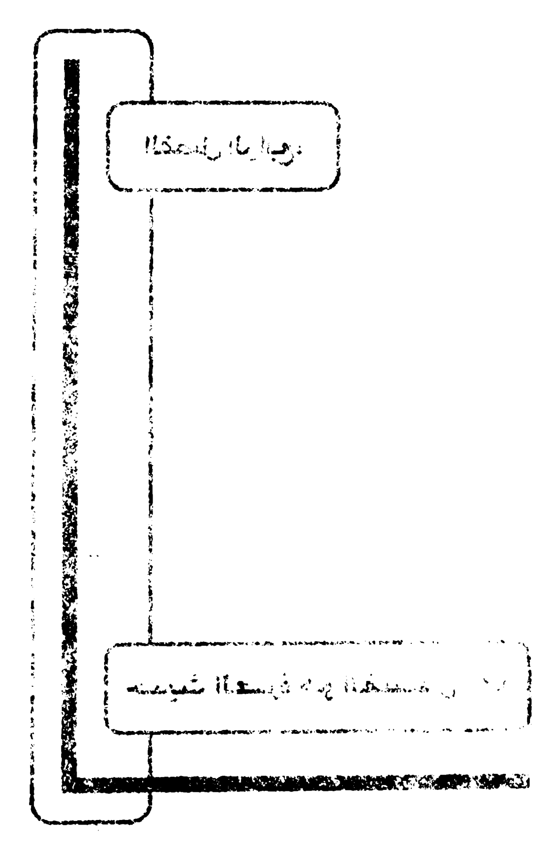
أولاً: سيأتي إن شاء الله عدم صحة ما زعموه من إرساله في عدد مما ذكر. أو أننا على الأقل نملك ما يبرر شكنا في صحة ما ينقل من ذلك. وليكن ما فعله ببني جذيمة أحد هذه المبررات.

ثانياً: إنه كان لا بد من إرسال رؤوس الشرك والمعروفين بالشراسة والفتك فيهم، ليكونوا هم الدعاة للناس إلى الدخول في الإسلام، فإن ذلك يوجب سكينة الناس، واطمئنانهم إلى أنه ليس ثمة من يخشى من صولته، وفتكه، لو أظهر أنه يترصد الفرصة للإنقلاب على الأعقاب..



الفصل الرابع:

حديث العترة هو القصص الحق



نصوص هامة لا بد من التوقف عندها:

ونريد أن نعرض هنا نصوصاً هامة.. ثم نلحقها ببعض ما يفيد في جلاء الحقيقة، وفي إعطاء الإنطباع السليم عن بعض ما ترمي إليه مواقف الرسول «صلى الله عليه وآله»، وبياناته، وغير ذلك من أمور هامة ومفيدة، والنصوص هي التالية:

١ـ ما جرى لأبي زاهر مثل ما جرى لبني جذيمة:

ذكر ابن شهرآشوب قضية إغارة خالد على حي أبي زاهر الأسدي، فجاء سياقها موافقاً ـ تقريباً ـ لسياق قضية بني جذيمة، فقال:

«**في رواية الطبري**: أنه أمر بكتفهم، ثم عرضهم على السيف، فقتل منهم من قتل.

فأتوا بالكتاب الذي أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أماناً له ولقومه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وقالوا جميعاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.

وفي رواية الخدري: اللهم إني أبرأ إليك من خالد ثلاثاً.

ثم قال: «أما متاعكم فقد ذهب، فاقتسمه المسلمون، ولكنني أرد عليكم مثل متاعكم».

ثم إنه قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث رزم من متاع اليمن، فقال: يا علي، فاقض ذمة الله، وذمة رسوله. ودفع إليه الرزم الثلاث.

فأمر علي «عليه السلام» بنسخة ما أصيب لهم.

فكتبوا، فقال: خذوا هذه الرزمة، فقوّموها بما أصيب لكم.

فقالوا: سبحان الله هذا أكبر مما أصيب لنا!

فقال: خذوا هذه الثانية، فاكسوا عيالكم وخدمكم، ليفرحوا بقدر ما حزنوا، وخذوا الثالثة بما علمتم وما لم تعلموا، لترضوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما قدم علي «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره بالذي كان منه، فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه، وقال: أدى الله عن ذمتك كما أديت عن ذمتي.

ونحو ذلك روي أيضاً في بني جذيمة(1).

٢ ـ رواية صحيحة عن الإمام الباقر عليه السلام:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد «رحمه الله»، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»، قال:

بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى حي يقال

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء سنة ١٤١٢ هـ) ج١ ص١٥٠ و ١٥١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٩٥ والبحار ج٣٨ ص٧٣.

لهم: بنو المصطلق من بني جذيمة. وكان بينهم وبين بني مخزوم إحنة في الجاهلية.

فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخذوا منه كتاباً، فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادى بالصلاة، فصلى وصلوا. فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى، فصلى وصلوا. ثم أمر الخيل، فشنوا فيهم الغارة، فقتل، وأصاب.

فطلبوا كتابهم فوجدوه، فأتوا به النبي «صلى الله عليه وآله»، وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد.

فاستقبل القبلة، ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد .

قال: ثم قدم على رسول الله تبر ومتاع، فقال لعلي «عليه السلام»: يا علي، إئت بني جذيمة من بني المصطلق، فأرضهم مما صنع خالد.

ثم رفع «صلى الله عليه وآله» قدميه، فقال: يا علي، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك.

فأتاهم علي «عليه السلام»، فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله.

فلما رجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، قال: يا علي، أخبرني بما صنعت.

فقال: يا رسول الله، عمدت، فأعطيت لكل دم دية، ولكل جنين غرة، ولكل مال مالاً.

وفضلت معي فضلة، فأعطيتهم لميلغة كلابهم، وحبلة رعاتهم.

وفضلت معي فضلة، فأعطيتهم لروعة نسائهم، وفزع صبيانهم.

وفضلت معي فضلة، فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون.

وفضلت معي فضلة، فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: يا علي، أعطيتهم ليرضوا عني؟! رضي الله عنك، يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»[1].

٣ـ حديثان آخران:

وفي حديث آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث خالداً والياً على صدقات بني المصطلق حي من خزاعة.

ثم ساق الحديث نحو ما تقدم، ولكنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي في آخره: «أرضيتني، رضي الله عنك، يا علي، أنت هادي أمتي. ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك، وأخذ بطريقتك. ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك، ورغب عن طريقتك إلى يوم القيامة»[2].

وفي حديث المناشدة يوم الشورى، قال «عليه السلام»:

«نشدتكم بالله، هل علمتم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ففعل ما فعل، فصعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المنبر، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق (ط سنة ١٣٨٩ هـ) ص١٥٢ و ١٥٣ و (ط مؤسسة البعثة) ص٢٣٨ والبحار ج٢١ ص١٤٢ و ج١٠١ ص٤٢٣ و ٤٢٤ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣٦٦ و ٣٦٧ وعلل الشرائع (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ج٢ ص٤٧٣ و ٤٧٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٤٨٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١١ ص٨٠ وغاية المرام ج٢ ص٧٦.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي (ط سنة ١٤١٤ هـ) ص٤٩٨ والبحار ج٢١ ص١٤٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١١ ص٢١٩.

ثلاث مرات.

ثم قال: «اذهب يا علي».

فذهبت، فوديتهم، ثم ناشدتهم بالله هل بقي شيء؟

فقالوا: إذا نشدتنا بالله، فميلغة كلابنا، وعقال بعيرنا.

فأعطيتهم لهما[1]. وبقي معي ذهب كثير، فأعطيتهم إياه، وقلت: وهذا لذمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولما تعلمون، ولما لا تعلمون، ولروعات النساء والصبيان.

ثم جئت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبرته، فقال: «والله، ما يسرني يا علي أن لي بما صنعت حمر النعم».

قالوا: اللهم نعم[2].

ونقول:

قد صرحوا: بأن بني المصطلق بطن من خزاعة، وهو بنو جذيمة، وجذيمة هو المصطلق[3].

وكان «صلى الله عليه وآله» قد غزا بني المصطلق في سنة أربع، أو خمس، أو ست، فأسر وسبى، وتزوج منهم جويرية، فأعتق المسلمون كل

---

(١) أي أنه أعطى بني جذيمة مالاً لأجل ميلغة الكلب، وعقال البعير.

(٢) الخصال ج٢ ص٥٦٢ والبحار ج١ ص١٤١ و ٣٢٧.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٢٢٨ عن السيرة الحلبية ج٢ ص٢٩٣ و (ط دار المعرفة) ص٥٨٣ ومعجم قبائل العرب، ونهاية الإرب، والروض الأنف ج٢ ص١٧. والمنمق ص١٢٧ و ٢٠٠ و ٢٣٠ ولب اللباب في تحرير الأنساب ص٢٤٦.

من كان بأيديهم من الأسرى منهم، وقالوا: أصهار رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فآمنوا، وأخذوا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً بإسلامهم[1].

ذنب بني جذيمة:

والذي يبدو لنا: أن إيقاع خالد ببني جذيمة كان لعدة أسباب:

أولها: ما أشارت إليه الروايات: من أنه أراد أن ينتقم لعمه الفاكه بن

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٢٢٨ وأشار في هامشه إلى: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٠٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٩٣ وصحيح البخاري ج٥ ص١٤٧ وإلى الكامل في التاريخ ج٢ ص١٩٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٥٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص١٩٢ والروض الأنف ج٢ ص١٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٢ ص٩٦ وراجع: المجموع للنووي ج١٩ص٣٠٦ ووتكملة حاشية رد المحتار ج١ ص٢٦٦ ونيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص١٥٠ وفقه السنة ج٢ ص٦٨٧ والغارات للثقفي ج٢ ص٨١٧ والبحار ج٢٠ ص٢٩٠ و ٢٩٦ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢٤٠ ومسند أحمد ج٦ ص٢٧٧ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٣٥ و ٢٣٦ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٢٦ و ٢٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٥ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٢١٧ وج٤ ص٣٧ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٣٦٢ ونصب الراية ج٦ ص٥٥٠ وموارد الظمآن ج٤ ص١٢٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١١٧ والثقات لابن حبان ج١ ص٢٨٩ والإصابة ج٨ ص٧٣ والمنتخب من ذيل المذيل ص١٠١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٦٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٣ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٣١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢٦٣ .

المغيرة، إنفاذاً لوصية أبيه له ولإخوته بذلك[١].

ثانيها: أن خزاعة كانت مكروهة من قبل قريش، لأنها كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله». فلابد أن يوقع بكل من ينتسب إلى خزاعة، التي حالفت من لا تحبه قريش، ومن تسعى لإبطال دعوته، وكسر شوكته، ومن لم يزل أمرها معه يسير من وهن إلى وهن، حتى اضطرت إلى الاستسلام.

ثالثها: أن نفس طبيعة خالد تميل إلى العدوان، وقهر الناس، وإذلالهم بقسوة وشراسة، ولو عن طريق الغدر والخديعة، ونقض العهود، والمواثيق.. بل ولو استلزم ذلك الكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين كان خالد يحاول إسكات الأصوات المرتفعة بالنكير عليه، حيث زعم لعبد الرحمن بن عوف: أنه إنما قتلهم امتثالاً لأمر النبي «صلى الله عليه وآله» الصادر إليه فيهم.. فكذبه عبد الرحمن في هذه الدعوى، وظهر كذبه فيها أيضاً من إعلان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالقول ـ ثلاث مرات ـ اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد..

كتابة الخسائر:

وقد جاء في حديث إغارة خالد على حي أبي زاهر الأسدي: أن علياً «عليه السلام» أمر بنسخ ما أصيب لهم، فكتبوا. ثم أعطاهم المال.

قال ابن شهرآشوب في آخر قصة أبي زاهر: «ونحو ذلك روي أيضاً في

---

(١) المنمق لابن حبيب ص٢٢٦ و ٢٤٦.

بني جذيمة»[١].

ونقول:

إن لكتابة الخسائر العديد من الأهداف والمقاصد، نذكر منها:

١ ـ أن ذلك يمثل ضمانة لحفظ حقوق الناس.

٢ ـ إنه يبعد عملية معالجة هذا الأمر عن أجواء الفوضى.

٣ ـ إنه يمنع من تحايل البعض للحصول على ما لا حق لهم به.

٤ ـ يمثل درساً عملياً في نظم الأعمال وضبطها.

٥ ـ إنه إذا أعطاهم بصورةعشوائية فذلك يفسح المجال أمام ذوي الأغراض السيئة، لإشاعة الإتهام له «عليه السلام» بعدم رعاية العدل والإنصاف، وقد يزعزع ذلك الثقة لدى بعض الضعفاء ممن لا يملكون الوعي الكافي، وتخدعهم أو تؤثر عليهم الشائعات.

٦ ـ قد يهيء ذلك أجواء غير سليمة بين بني جذيمة أنفسهم، حيث قد يتهم بعضهم بعضاً في أمر الأموال، ويصير بعضهم يرصد حركة البعض الآخر، ويشيع سوء الظن، والتحاسد فيما بينهم.

٧ ـ والأهم من ذلك كله وسواه: ما رواه سليمان بن جعفر الجعفري، عن الإمام الرضا «عليه السلام» حين رأى غلمانه وهم يعملون بالطين أواري الدواب[٢]، وغير ذلك، وإذا معهم أسود ليس منهم، فسألهم عنه

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء سنة ١٤١٢ هـ) ج١ ص١٥١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٩٥ والبحار ج٣٨ ص٧٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٤٤.

(٢) الأواري: جمع آري، وهو محبس الدابة، ويطلق أيضاً على معلف الدابة أنه آري.

فقالوا: يعمل معنا، ونعطيه شيأً.

قال: قاطعتموه على أجرته؟!

فقالوا: لا، هو يرضى منا بما نعطيه.

فأقبل عليهم يضربهم بالسوط، وغضب لذلك غضباً شديداً.

فقلت: جعلت فداك، لم تدخل على نفسك.

فقال: إني قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرة، أن يعمل معهم أحد حتى يقاطعوه أجرته.

واعلم: أنه ما من أحد يعمل لك شيئاً بغير مقاطعة، ثم زدته لذلك الشيء ثلاثة أضعاف على أجرته إلا ظن أنك قد نقصته أجرته.

وإذا قاطعته ثم أعطيته أجرته، حمدك على الوفاء، فإن زدته حبة عرف ذلك لك، ورأى أنك قد زدته[1].

فهذا التوجيه الكريم هام جداً، ويتعين الالتزام به في قضية بني جذيمة، التي يراد فيها القضاء عن ذمة الله ورسوله، ومعالجة آثار كارثة تتجاوز في نتائجها وتبعاتها حدود الخسائر المادية، لتنال الأنفس البريئة، وقتل الأجنة.

هذا بالإضافة إلى روعات النساء، وفزع الصبيان.. وغير ذلك من

---

(١) الكافي ج٥ ص٢٨٨ و ٢٨٩ والبحار ج٤٩ ص١٠٦ والحدائق الناضرة ج٢١ ص٥٧٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٩ ص١٠٤ و (ط دار الإسلامية) ج١٣ ص٢٤٥ وتهذيب الأحكام ج٧ ص٢١٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص١٥ ودرر الأخبار ص٣٦٨ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج٢ ص٣٠١ و ٣٠٢ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج٢ ص٣٠١.

أمور لا بد من معالجتها، وسل سخيمة أولئك الناس الذين وقعوا ضحية قضاء الجاهلية، وأحقادها، وإحنها، وعصبياتها البغيضة.

كل ذلك من أجل حفظ إيمان الناس، من أن يتعرض لأي كدورة أو اختلال.. ومن أجل إقامة صرح العدل، وإعطاء كل ذي حق حقه..

شكوك لا مبرر لها:

وقد يسأل أحدهم: إنه إذا كان بنو جذيمة بأسفل مكة، على ليلة منها نحو يلملم[1]. إلى جهة اليمن، فكيف يمكن أن يغزوهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في السنة الرابعة، أو الخامسة، أو السادسة.. في حين أن الهيمنة على المنطقة كانت لقريش، وكانت لها تحالفات وارتباطات مع مختلف القبائل فيها..

ونحن.. وإن كنا نرى: أن سراياه التي كان «صلى الله عليه وآله» يرسلها في كل اتجاه، قد أضعفت علاقة تلك القبائل بقريش، وزعزعت تحالفها معها، وحولتها في العديد من الموارد إلى تحالفات مع المسلمين، ولكن ذلك لا يصلح جواباً على السؤال عن الوسيلة التي مكنت النبي «صلى الله عليه وآله» من الوصول إلى هذه المنطقة التي تقع مكة على طريقها، فإن ذلك لا بد أن يكون محفوفاً بالمخاطر الكبيرة، إلا إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد سلك إليهم طرقاً غير مألوفة، مكنته من أن يتحاشى المرور من المناطق المأهولة.

---

(١) التنبيه والإشراف ص٢٣٤.

ولعل مما يسهل عليه هذا الأمر: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن بحاجة إلى استنفار الناس في المنطقة، ولا كان يريد جمع أعداد كبيرة من المقاتلين، بل كان يكتفي ببضع عشرات، أو مئات، يقدرون على إنجاز المهمات الموكلة إليهم بسرعة، وبمزيد من التكتم والإنضباط.

على أن من الجائز أن يكون هؤلاء القوم كانوا أولاً على ماء المريسيع، قرب قديد، على الساحل بالقرب من مكة.. حيث هاجمهم حين علم بجمعهم في المرة الأولى، وأعلنوا له آنئذٍ إسلامهم، وأعطاهم بذلك كتاباً.. ثم انتقلوا من موضعهم ذاك إلى ماء الغميصاء، بين مكة ويلملم، حيث جرى عليهم من خالد بعد ذلك ما جرى، فإن العرب كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ، بحسب ما يقتضيه الحال.

دلالات باهرة في فعل علي عليه السلام:

هذا.. وقد ذكرت الروايات: الأسباب التي دعت علياً «عليه السلام» إلى إعطاء المال لبني جذيمة، ونحن نعرضها وفق ما أشارت إليه النصوص، كما يلي:

١ ـ أعطى لكل دم دية.

٢ ـ رد مثل متاعهم عليهم، وأما نفس المتاع، فقد ذهب، فاقتسمه المسلمون، فلا سبيل إلى رده عينه (وقد ورد ذلك في حديث إغارة خالد على حي أبي زاهر الأسدي، حيث قال ابن شهرآشوب: إنه قد روي نحو ذلك في بني جذيمة).

٣ ـ أعطاهم إحتياطاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مما يعلمون،

ومما لا يعلمون.

٤ ـ وفي نص آخر: أعطاهم على أن يحلوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مما علم، ومما لا يعلم.

٥ ـ ليرضوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٦ ـ لروعة نسائهم، وفزع صبيانهم.

٧ ـ قضاء، لذمة الله، وذمة رسوله.

٨ ـ أعطاهم كسوة عيالهم، وخدمهم، ليفرحوا بقدر ما حزنوا (كما ورد في حديث إغارة خالد على حي أبي زاهر الأسدي، حيث قال ابن شهرآشوب: ونحو ذلك روي أيضاً في بني جذيمة).

٩ ـ لكل جنين غرة.

١٠ ـ لكل مال مالاً.

١١ ـ لميلغة كلبهم، وحبلة رعاتهم.

وما نريد أن نقوله هنا هو: أن مجموع هذه النصوص يشير إلى أمور عديدة، كلها على جانب كبير من الأهمية، فلاحظ ما يلي:

ألف: إن ذلك يدل على: أن الذين قتلوا لم يكونوا جميعاً من الكبار والبالغين، بل كان فيهم أجنة أيضاً، ولذلك أعطى علي «عليه السلام» لكل جنين غرة. والغُرَّة ـ بالضم ـ عبد أو أمة.

ومنه: قضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الجنين بغرة.

وقال الفقهاء: الغرة من العبد الذي ثمنه عشر الدية[1].

---

(١) راجع: مجمع البحرين ج٣ ص٤٢٢ و (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ج٣ ص٣٠٢.

وزعم بعضهم: أن الغرة من العبيد الذي يكون ثمنه نصف عشر الدية[1].

وفي هذا التعبير ـ أعني قوله: «لكل جنين غرة» ـ: إشارة ضمنية إلى تعدد، أو كثرة القتلى من الأجنة، حتى ذكرهم أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى جانب ديات البالغين..

ثم إنه لم يتضح إن كان هناك قتلى من النساء أو لم يكن.. ولكن روعاتهن كانت واضحة.

ب: إن علياً «عليه السلام» قد أعطى مالاً لروعات النساء، وعوضاً عما أصابهن من الحزن، وصرح: بأن المطلوب هو: أن يفرحوا بقدر ما حزنوا.

وهذا تأصيل لمعنى جديد لا بد من مراعاته في مجالات التعامل مع الناس، ولم يكن هذا المعنى معروفاً، ولا مألوفاً قبل هذه الحادثة.. كما أننا لم نجد أحداً قد راعى هذا المعنى في معالجته لآثار العدوان على الآخرين.

ولعل قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «يا علي، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك».

يشير إلى هذا المعنى، ولا يختص ذلك بموضوع مقادير الديات، أو ما يرتبط بالثأر من غير القاتل الحقيقي.

بل إن الفقهاء وعلى مدى كل هذا التاريخ الطويل لم يشيروا في فتاواهم، ولو إلى رجحان التعرض لمعالجة هذا النوع من الآثار، ولا رسموا

---

(١) أقرب الموارد ج٢ ص٨٦٧ وراجع: عمدة القاري ج٢٤ ص٦٧ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٥٥٤ ومرقاة المفاتيح ج٧ ص٤٠ والنهاية في غريب الأثر ج٣ ص٣٥٣ وكتاب الكليات ج١ ص٦٧٠ والتعريفات للجرجاني ج١ ص٢٠٨.

له حدوداً، ولا بينوا له أحكاماً، ولا حددوا له شروطاً!!

فهل هذه غفلة كانت منهم؟!

أم أنهم فهموا: أن ذلك مما يختص بالمعصوم، من نبي وإمام؟! أم ماذا؟!

ج: يلاحظ: أن علياً «عليه السلام»، قد بذل لبني جذيمة أموالاً من أجل أن يفرحوا بقدر ما حزنوا.

أي أنه «عليه السلام» قد لاحظ مقدار الحزن، ومقدار الفرح، وأراد أن يكون هذا بقدر ذاك، ولذلك لم يقل : «ليفرحوا بعد ما حزنوا». بل قال: «ليفرحوا بقدر ما حزنوا».

د: إن سرد ما اعطاه علي «عليه السلام» لبني جذيمة يصلح أن يكون هو الوصف الدقيق لحقيقة ما جرى على هؤلاء الناس من قتل وسلب وخوف. فهم قد سلبوهم كل شيء. حتى حبلة الرعاة، وميلغة الكلب، ولم يتركوا لهم حتى كسوة العيال والخدم.. وأخذوا منهم ما يعلمون، وما لا يعلمون.

بالإضافة إلى قتل الرجال، وإسقاط الأجنة، وروعة النساء، وفزع الصبيان، وحزن العيال والخدم.

هـ: وقد صرحت الكلمات الواردة في الروايات: بأن علياً «عليه السلام» يريد أن يقضي عن ذمة الله ورسوله. أي أن الذين قتلهم خالد، قد كانوا في ضمان ذمة الله، وذمة الرسول «صلى الله عليه وآله».

ولعل هذا يؤيد صحة القول: بأنه كان لديهم كتاب من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يضمن لهم سلامتهم، وأمنهم، ويعتبرهم في ذمة الله ورسوله.

وعدوان خالد عليهم يعتبر إخلالاً بهذه الذمة، وهذا يحتم الوفاء بها،

وإعادة الأمور إلى نصابها.

بل قد يقال: إن هذا التعبير يدل على: أنه لو أن أحداً من غير المسلمين اعتدى على بني جذيمة لوجب نصرهم، وتحمل مسؤولية التعويض عليهم كل نقص يعرض لهم، في الأموال والأنفس على حد سواء..

و: قد ذكرت النصوص المتقدمة: أنه «عليه السلام» أعطاهم مقداراً من المال، ليرضوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع العلم: بأن السخط على الرسول «صلى الله عليه وآله» من موجبات الكفر والخروج من الدين.

ومع أن السخط والرضا لا يشترى ولا يعطى بالمال، فكيف نفهم هذا الإجراء منه «عليه السلام»؟!

ولعل من المفيد أن نقول في الإجابة عن ذلك:

إن المراد بالرضا هنا ليس ما يقابل السخط، بل المراد به: الشعور بالرضا، بعد الشعور بالحاجة إلى الإنصاف، وبضرورة إيصال حقهم إليهم..

فإذا رأوا علياً «عليه السلام» قد اعطاهم فوق ما لهم من حق، فلابد أن يتكون لديهم شعور باستعادة كامل حقوقهم، وبما فوق مستوى الإنصاف والعدل الذي يتوقعونه أو ينتظرونه..

وهذا معناه: أنه «عليه السلام» لم يشتر رضاهم بالمال.. بل هو قد وفاهم حقهم، حتى تكوَّن لديهم الشعور بالرضا بهذا الوفاء.

ز: إن تخصيص جزء من المال لما يعلمون، وما لا يعلمون. قد يكون من أهم الأمور التي تبلِّغهم درجات ذلك الرضا بأكمل وجوهه، وأتمها، فإن هناك أموراً قد يفقدها الإنسان، ولكنها تكون من الصغر، والتفاهة إلى حد يرى أن مطالبته بها تنقص من قدره، وتحط من مقامه، فيعرض عنها.

ولكنه حتى حين يغض النظر عنها قد يبقى لديه شعور بالانتقاص من حقه، أو فقل بعدم بلوغه درجة الإشباع.

فإذا رضخ علي «عليه السلام» له مالاً في مقابل تلك الأمور أيضاً، فإنه لا يبقى مجال لأي خاطر يعكر صفو الشعور بالإرتواء التام..

فإذا زاد على ذلك: أن أعطاه أموالاً في مقابل ما ربما يكون قد عجز عن استحضاره في ذهنه، فإنه سينتقل إلى مرحلة الشعور بالامتنان. والإحساس بمزيد من اللطف به، والتفضل عليه، والنظر إليه، والشعور معه..

حكم علي عليه السلام حكم الله تعالى:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام» بأن يضع قضاء الجاهلية تحت قدميه.. أي أنه «صلى الله عليه وآله» يعلن أن خالداً قد قضى في بني جذيمة بحكم الجاهلية..

وذلك يكذب ما زعمه خالد: من أنه قد نفذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم.. حسبما تقدم. كما كذَّبه قبل ذلك حين أعلن ثلاث مرات براءته مما صنع خالد.

ويكذِّب أيضاً رواية محبي خالد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان راضياً، ولم يعترض على فعله، ولم تسقط منزلته عنده.. فإن النبي الأعظم والأكرم «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يرضى بما يكون من قضاء الجاهلية، ولا يمكن أن يرضى بما يعلن أنه بريء إلى الله منه..

وفي المقابل نجد علياً «عليه السلام» كما يصرح به الإمام الباقر «عليه السلام»: لما انتهى إلى بني جذيمة «حكم فيهم بحكم الله».

وهذا صريح: بأن جميع ما فعله علي «عليه السلام» إنما هو إجراء لحكم الله تعالى، وليس مجرد تبرعات منه «عليه السلام»، تستند إلى الاستحسان، أو إلى تفاعل أو اندفاع عاطفي آني، أو رغبة أذكتها العصبية للقربى، أو محبة أكدتها علاقة المودة والإلف بينه وبين ابن عمه نبي الله «صلى الله عليه وآله».. بل ما فعله كان ـ كما قلنا ـ إجراء وتنفيذاً لحكم الله تبارك وتعالى، من دون تأثر بهوى، أو ميل مع عصبية أو عاطفة..

ويؤكد هذا المعنى: أن المال الذي حمله «عليه السلام» معه إليهم، سواء أكان مُلْكاً شخصياً للنبي «صلى الله عليه وآله»، أو كان من بيت مال المسلمين، لا يجوز له الإسراف والتبذير فيه، فضلاً عن تمزيقه وتفريقه وفق ما يقود إليه الهوى، وما يرجحه الذوق والاستنساب، وتدعو إليه العاطفة والإنفعالات الشخصية.

فوالله، لولا دين آل محمد:

وقد قال رجل من بني جذيمة:

جزى الله عنا مدلجاً حيث أصبحت ... جزاءة بؤسى حيث سارت وحلت

أقاموا على أقضاضنا يقسمونها ... وقد نهلت فينا الرماح وعلت

فوالله لولا دين آل محمد ... لقد هربت منهم خيول فشلت[1]

ونقول:

إننا نسجل هنا:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٧ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ص٨٨٧.

١ ـ إن هذا القائل قد بيَّن أن تمسك بني جذيمة بدين الإسلام هو الذي منعهم من مهاجمة خالد ومن معه، وهو الذي دعاهم إلى إلقاء السلاح، ثم القبول بأن يكتف بعضهم بعضاً.. ولولا ذلك لكانت لهم صولات توقع الهزيمة الحتمية على الذين قتلوهم.

٢ ـ إن هذا الشعر قد تضمن تصريحاً بأن هؤلاء القوم كانوا يلتزمون بدين آل محمد..

وهذا معناه: أن آل محمد كانوا جزءاً من هذا الدين، وكانوا أعلامه، وقادته ورواده، وعنهم تؤخذ معالم الدين ومفاهيمه، وشرائعه. وأن ذلك كان معروفاً منذ ذلك الزمن. ولا ندري إن كان «صلى الله عليه وآله» قد سجل عليهم في الكتاب الذي أعطاهم إياه، فقد وجدنا لهذا نظائر في تاريخ الإسلام، فإنه «صلى الله عليه وآله» كتب لأهل مقنا: «وليس عليكم أميرٌ إلا من أنفسكم، أو من آل بيت رسول الله..»[1].

٣ ـ إن هذه الأبيات قد نسبت دين الإسلام كله إلى آل محمد، فإن الشاعر لم يقل: لولا محمد.

بل قال: لولا دين آل محمد.

وفي ذلك دلالة ظاهرة على ما قلناه..

وفي مقابل ذلك: لم نجد أحداً يقول: لولا دين أبي بكر وعمر لكان

______

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص١٠٣ و ١٠٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٧٧ وفتوح البلدان للبلاذري (ط سنة ١٣٨ هـ) ص٦٧ و (ط مكتبة النهضة المصرية) ج١ ص٧٢.

كذا.. لا في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا بعده.

أنت مني بمنزلة هارون من موسى:

١ ـ إن من أهم الأوسمة التي أعلن عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بما جرى لبني جذيمة، هو قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»، حسبما روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»: « أنت مني بمزلة هارون من موسى»[1].

---

(١) الهداية للشيخ الصدوق ص١٥٧ و ١٥٨ و ١٦٠ و ١٦٢ والمقنعة للشيخ المفيد ص١٨ ورسائل الشريف المرتضى ج١ ص٣٣٣ وج٤ ص٧٦ والإقتصاد للشيخ الطوسي ص٢٢٢ و ٢٢٥ والرسائل العشر للشيخ الطوسي ص١١٤ وإشارة السبق لأبي المجد الحلبي ص٥٣ والحدائق الناضرة ج٨ ص ٥١٢ ونخبة الأزهار للسبحاني ص١٦٠ والخلل في الصلاة للسيد مصطفى الخميني ص١٣٠ وكتاب الطهارة للسيد الخميني ج٢ ص١٢٨ والمحاسن للبرقى ج١ ص١٥٩ والكافي ج٨ ص١٠٧ وعلل الشرائع ج١ ص٢٢٢ وج٢ ص٤٧٤ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج١ ص٢٠٨ وج٢ ص٢١٠ والخصال ص٢١١ و ٣١١ و ٥٥٤ و ٥٧٢ والأمالي للشيخ الصدوق ص٢٣٨ و ٤٠٢ و ٤٩١ و ٦١٨ وكمال الدين وتمام النعمة ص٢٧٨ ومعاني الأخبار للشيخ الصدوق ص٧٤ و ٧٥ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ وتحف العقول ص٤٣٠ و ٤٥٩ وتهذيب الأحكام ج١ ص٢٧ وج١٠ ص٤١ وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص٨٩ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٩ وج٦ ص١١٠ وج٩ ص١٢٢ وج١٢ ص٣٩ و ٤١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٣٢ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٢١ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣٦٧ وكتاب سليم بن قيس (تحقيق =

= محمد باقر الأنصاري) ص١٦٧ و ١٩٥ و ٢٠١ و ٢٠٤ و ٢٩٩ و ٣٠٥ و ٣١٤ و ٣٢٢ و ٤٠٠ و ٤٠٨ و ٤١٤ و ٤٢٢ و ٤٥٨ والغارات للثقفي ج١ ص٦٢ وج٢ ص٧٤٥ و ٧٦٧ ومناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» لمحمد بن سليمان الكوفي ج١ ص٢٢٤ و ٣٠١ و ٣١٧ و ٤٥٩ و ٤٩٩ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٨ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٧ و ٥٢٩ و ٥٣٤ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ وج٢ ص٥١٦ المسترشد للطبري ص٦٧ و ٣٣٥ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٦ و ٤٥٤ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٦٢١ ودلائل الإمامة للطبري ص١٢٤ وشرح الأخبار ج١ ص٩٧ و ٣١٩ وج٢ ص١٧٧ و ١٨٦ و ٢٥٠ و ٤٧٧ وج٣ ص٢٠٢ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص٩٢ و ١٦٠ والفصول المختارة للشيخ المفيد ص٢٨ و ٢٥٢ والإفصاح للشيخ المفيد ص٣٣ والنكت الإعتقادية للشيخ المفيد ص٣٨ و ٤٢ والنكت في مقدمات الأصول للشيخ المفيد ص٤٧ و ٤٧ والإرشاد للشيخ المفيد ج١ ص٨ والأمالي للشيخ المفيد ص١٩ والأمالي للسيد المرتضى ج٤ ص١٨٦ وكنزالفوائد ص٢٧٤ و ٢٧٥ ـ ٢٨٣ والأمالي للشيخ الطوسي ص٢٢٧ و ٢٥٣ و ٣٣٣ و ٣٥١ و ٥٤٨ و ٥٥٥ و ٥٦٠ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٥٥ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٩٧ و ٢١٦ و ٢١٨ و ٢٣٣ و ٢٤٧ و ٢٧٨ وج٢ ص٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣ و ٤ و ١٩٠ وج٢ ص٣٧ و ٢١٩ و ٣٠٢ وج٣ ص٤٤ و ٤٦ و ٦٠ والعمدة لابن البطريق ص١٣ و ٩٧ و ١٢٦ ـ ١٣٧ و ١٤٤ و ١٨٣ و ٢١٤ و ٢٥٨ و ٣٣٧ والمزار لمحمد بن المشهدي ص٥٧٦ والفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ص١٥٢ وسعد السعود لابن طاووس ص٤٣ وإقبال الأعمال ج١ ص٥٠٦ واليقين لابن طاووس ص٢٠٨ و ٤٤٨ والطرائف لابن طاووس ص٥١ ـ ٥٤ و ٦٣ و ١٥١ و ٢٧٧ و ٤١٤ و ٥٢١ والصراط المستقيم ج١ ص٦١ و ١٠١ و ٢٠٧ ـ ٣٢٣ وج٢ ص٤٧ و ٦٤ و ٨٧ وج٣ ص٧٨ =

= والمحتضر لحسن بن سليمان الحلي ص٩٦ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص٥٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٩٨ ـ١٠٣ و ١٩٠ و ٢٢٢ وحلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ص٨٠ و ٣٢٧ و ٣٣٨ و ٤٢٤ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٢٠ والبحار ج٥ ص٦٩ وج٨ ص١ وج١٦ ص٤١٢ و٤١٣ وج٢١ ص١٤٢ وج٢٥ ص٢٢٤ وج٢٦ ص٣ وج٢٨ ص٤٥ و ٥٥ و ٢٢٢ و ٣٥٠ وج٢٩ ص٨٣ و ٦٠٦ وج٣١ ص٣١٦ و ٣٣٣ و ٣٥١ و ٣٦٢ و ٣٦٨ و ٣٧١ و ٣٧٦ و ٤١٤ و ٤١٧ و ٤٢٩ و ٤٣٣ وج٣٢ ص٤٨٧ و ٦١٧ وج٣٣ و ١٤٩ و ١٥٤ و ١٧٦ و ١٨٣ وج٣٥ و ٥٨ و ٢٧٥ وج٣٦ ص٣٣١ و ٤١٨ وج٣٧ ص٢٥٤ ـ و٣٠٥ وج٣٨ ص١٢٣ و ٢٤٠ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٣٣١ و ٣٣٦ ـ ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٢ وج٣٩ ص٢٠ و ٢١ و ٢٨ و ٥٩ و ٦٢ و ٨٥ وج٤٠ ص٢ و ٩ و ١٠ و ٤٣ و ٧٨ و ٨٨ و ٩٥ وج٤٢ ص١٥٥ وج٤٤ ص٢٣ و ٣٥ و ٦٣ وج٤٩ ص٢٠٠ و ٢٠٩ و ٢٢٩ وج٦٤ ص١٤٨ و ١٩٤ وج٦٨ ص٦٥ وج٦٩ ص١٤٦ و ١٥٥ وج٧٢ و ٤٤٥ وج٨٢ ص٢٦٥ وج٩٧ ص٣٦٢ وج٩٩ ص١٠٦ وج١٠١ ص٤٢٤ وكتاب الأربعين للشيخ الماحوزي ص٧٩ و ٨١ و ٨٢ و ١٣٧ و ١٤٦ و ٢٣٦ و ٢٣٩ و ٣٤٢ و ٤٣٥ و ٤٤٣ ومناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص١٠٦ و ١٣٣ ـ ١٣٥ و ٢٠١ و ٢١٦ و ٢٢٠ و ٤٤٦ وخلاصة عبقات الأنوار للنقوي ج١ ص٥٢ و ٥٥ و ٦١ و ٧٢ و ٨٥ و ٨٦ و ٩٢ و ٩٧ وج٢ ص٢١٣ وج٧ ص٥٨ و ٧٥ و ٨٧ و ١٢١ و ١٧٩ و ١٨٨ و ٢٣٣ وج٨ ص٢٦٣ وج٩ ص١٠٦ و ٢٦٩ و ٣١٤ ونهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص١٣١ و ١٣٣ والنص والإجتهاد ص٤٩١ و ٥٦٤ والمراجعات ص٢٠٠ و ٢٠٤ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢٨٣ و ٣١٠ و ٣٨٩ وسبيل النجاة في تتمة المراجعات لحسين الراضي ص١١٧ و ٢١٣ و ٢٧٦ ومقام الإمام علي «عليه السلام» لنجم الدين العسكري ص١٣ و ١٨ و =

= ١٩ و ٣٠ و ٣٣ والغدير ج١ ص٣٩ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٨ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢٩٧ و ٣٩٦ وج٢ ص١٠٨ وج٣ ص١١٥ و ٢٠١ و ٢٢٨ وج٤ ص٦٣ و ٦٥ وج٥ ص٢٩٥ وج٦ ص٣٣٣ وج١٠ ص١٠٤ و ٢٥٨ و ٢٥٩ وفدك في التاريخ للسيد محمد باقر الصدر ص٢٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٢٩ وج٨ ص٢٣١ وج١٠ ص٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٥٥ ونهج السعادة ج١ ص١٢٤ و ١٦٠ و ٣٦٣ وج٧ ص٤٧١ والإمام علي «عليه السلام» لحمد الرحماني الهمداني ص٢٥٣ و ٢٨٢ و ٣٠٧ و ٥٨٦ وكلمات الإمام الحسين «عليه السلام» للشيخ الشريفي ص٢٧٢ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص١٢٨ وج٢ ص١١٦ وأضواء على الصحيحين للنجمي ص٣٢٩ و ٣٤٤ ومعالم المدرستين للعسكري ج١ ص٢٩٦ و ٣١٦ وأحاديث أم المؤمنين عائشة للعسكري ج١ ص٢٤٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٤٣ و ٥٦٤ ومواقف الشيعة ج١ ص١٠٢ و ٣٠٥ و ٣١٥ و ٤٤٠ و ٤٥٤ وج٢ ص٤٠٢ وج٣ ص٢٦٩ و ٣٠٢ والمناظرات في الإمامة للشيخ عبدالله الحسن ص٥ و ١٠١ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٦ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٩ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٥٩ و ٣٣٢ و ٤٧٥. وفضائل الصحابة ص١٣ و ١٤ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٠٤ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص١٧٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٠٩ ـ ١١١ والديباج على مسلم للسيوطي ج٥ ص٣٨٦ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٦١ ومسند أبي داود ص٢٩ والمعيار والموازنة للإسكافي ص٢١٩ و ٢٢٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٩٦ ومسند سعد بن أبي وقاص للدورقي ص١٧٦ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٣ والآحاد والمثاني ج٥ ص١٧٢ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٥١ و ٥٨٦ ـ ٥٨٨ و ٥٩٥ و ٥٩٦ ومجلسان من إملاء النسائي ص٨٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٤ و ٤٥ و ١٢٠ ـ ١٢٥ وخصائص أمير =

= المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص٧٧ ـ ٧٩ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٩ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٨٧ و ٩٩ وجزء الحميري ص٢٨ و ٣٤ وأمالي المحاملي ص٢٠٩ وحديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي ص١٩٩ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٦٩ والمعجم الصغير ج٢ ص٢٢ و ٥٤ والمعجم الأوسط ج٣ ص١٣٩ وج٥ ص٢٨٧ وج٦ ص٧٧ و ٨٣ وج٧ ص٣١١ والمعجم الكبير ج١ ص١٤٦ و ١٤٨ وج٢ ص٢٤٧ وج٤ ص١٧ و ١٨٤ وج١١ ص٦١ وج٢٤ ص١٤٦ و ١٤٧ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص٢٥٢ وفوائد العراقيين للنقاش ص٩٤ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٥٩ و ٢٦٤ وج٥ ص٢٤٨ وج٦ ص١٦٩ وج٩ ص٣٠٥ وج١٠ ص٢٢٢ وج١٣ ص٢١١ وج١٧ ص١٧٤ وج١٨ ص٢٤ ودرر السمط في خبر السبط ص٧٩ ونظم درر السمطين ص٢٤ و ١٣٤ وكنز العمال وج٥ ص٧٢٤ وج٩ ص١٦٧ و ١٧٠ وج١١ ص٥٩٩ و ٦٠٧ وج١٣ ص١٠٦ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٥١ و ١٦٣ و ١٩٢ وج١٦ ص١٨٦ وتذكرة الموضوعات للفتني ص٨ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٣٨٤ و ٤٢٠ ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص١٩٥ وفتح الملك العلى لأحمد بن الصديق المغربي ص١٠٩ و ١٥٤ وإرغام المبتدع الغبي لحسن بن علي للسقاف ص٥٩ وقاموس شتائم للسقاف ص١٩٨ ودفع الإرتياب عن حديث الباب للعلوي ص٣٣ وتفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص٢٥٠ وخصائص الوحى المبين لابن البطريق ص١٨٦ و ٢٤٣ و ٢٤٥ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٣١٤ وتفسير القرطبي ج١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وعدة الأصول (ط.ق) ج١ ص١٧٠ ورجال النجاشي ص٩٤ و ٢٣٣ و ٤٠١ والفهرست للطوسي ص٧٤ ونقد الرجال للتفرشي ج٣ ص١٧٦ والفوائد الرجالية لبحر العلوم ج٤ ص١١٣ وطرائف المقال للبروجردي ج٢ ص٤٨٧ و ٥٦٩ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج٣ ص٦٤ و ٦٥ وج١١ ص٩٦ وج١٨ ص٢١٥ وتهذيب المقال =

= للأبطحى ج٣ ص٤٨٩ وج٥ ص٤٣٢ والتاريخ الكبير للبخاري ج١ ص١١٥ ومعرفة الثقات للعجلي ج٢ ص١٨٤ و ٤٥٧ وضعفاء العقيلي ج٢ ص٤٧ والكامل لابن عدي ج٢ ص١٤٢ و ٣١٥ وج٣ ص٢٠٧ وج٦ ص٦٨ و ٢١٦ وج٧ ص٣٩ وطبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان ج٤ ص٢٦٤ وعلل الدارقطني ج٤ ص٣١٣ و ٣٨١ وتاريخ بغداد ج١ ص٣٤٢ وج٤ ص١٧٦ و ٢٩١ وج٥ ص١٤٧ وج٨ ص٥٢ و ٢٦٢ وج٩ ص٣٧٠ وج١٠ ص٤٥ وج١٢ ص٣٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٣٤٩ وج١٣ ص١٥٠ و ١٥١ وج١٨ ص١٣٨ وج٢٠ ص٣٦٠ وج٢١ ص٤١٥ وج٣٠ ص٣٥٩ وج٣٨ ص٧ وج٣٩ ص٢٠١ وج٤١ ص١٨ وج٤٢ ص٥٣ و ١١٦ و ١٤٣ و ١٤٦ ـ ١٤٨ و ١٥٠ و ١٥٣ ـ و١٥٧ و ١٦٢ ـ ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨٢ ـ ١٨٥ وج٥٤ ص٢٢٦ وج٥٩ ص٧٤ وج٧٠ ص٣٥ و ٣٦ وأسد الغابة ج٤ ص٢٧ وج٥ ص٨ وذيل تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي ج٤ ص٢٠٩ وتهذيب الكمال للمزي ج٥ ص٥٧٧ وج٨ ص٤٤٣ وج١٤ ص٤٠٧ وج٢٠ ص٤٨٣ وج٣٢ ص٤٨٢ وج٣٥ ص٢٦٣ وتذكرة الحفاظ ج١ ص١٠ و ٢١٧ وج٢ ص٥٢٣ وسير أعلام النبلاء ج٧ ص٣٦٢ وج١٣ ص٣٤١ وج١٤ ص٢١٠ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٠٩ وج٥ ص١٦٠ ج٧ ص٢٩٦ ولسان الميزان ج٢ ص٤١٤ والإصابة ج٤ ص٤٦٧ وأنساب الاشراف ص٩٦ و ١٠٦ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري ص١٤ و ١٥ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص٨٠ وج٢ ص٢٨١ و ٣٢٨ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٧٦ و ٣٧٨ وج٨ ص٨٤ ووقعة صفين للمنقري ص٣١٥ وبشارة المصطفى للطبري ص٣٥٢ و ٣٧٤ و ٤٠٩ وإعلام الورى للطبرسي ج١ ص٣٢٦ و ٣٣١ والمناقب للخوارزمي ص٥٥ و ٦١ و ١٢٩ و ١٣٣ و ١٤٠ و ١٥٨ و ٣٠١ وكشف الغمة ج١ ص٦٣ و ٧٩ و ١٢٣ و ٢٩٢ و ٣٤٢ وج٢ ص٢٤ ونهج الإيمان =

وهي كلمة قالها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأمير المؤمنين «عليه السلام» في أكثر من مناسبة، أشهرها: حين تجهز «صلى الله عليه وآله» لغزو تبوك، وتخلف عنه جمع من المنافقين في المدينة انتظاراً للفرصة، وأملاً بإنجاز مؤامرتهم الشريرة، وسعياً لتحقيق نواياهم المشؤومة.

فإنه «صلى الله عليه وآله» قرر: أن يبقي علياً «عليه السلام» على المدينة مدة غيبته.

فتضايق المتآمرون من المنافقين، وتضايق معهم من لف لفهم، ممن كان عازماً على المسير أيضاً، لكي يبقوا على مقربة من المستجدات والتحولات، وليمكنهم التدخل في الوقت المناسب في مسار الأحداث، وانتهاز الفرص

= لابن جبر ص٦٨ و ١١٩ و ٣٧٩ ـ ٤٠٥ و ٥٣١ و ٦١٦ و ٦٥٨ والعدد القوية ص٥١ و ٢٤٧ وكشف اليقين ص٢٧٩ و ٤٢٥ و ٤٥٩ و ٤٦٦ والنزاع والتخاصم للمقريزي ص١٠١ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج١ ص٣٧ و ١٩٧ و ٢٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٩٢ وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص١٣٧ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٦٢ و ٢٤٠ و ٣٠٩ و ٤٠٤ و ٤٣١ و ٤٣٤ وج٢ ص٨٦ و ١٤٦ و ١٥٣ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٨٦ وج٣ ص٢٠٨ و ٢١١ و ٢٧٨ و ٣٦٩ و ٤٠٣ واللمعة البيضاء للتبريزي ص٦٧ والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص٩٦ و ١١٧ و ١٨٣ والأنوار العلوية للشيخ جعفر النقدي ص٢٣ و ٣٢٨ و ٣٣٦ ولمحات للشيخ لطف الله الصافى ص٤٣ ومجموعة الرسائل للشيخ لطف الله الصافي ج١ ص١٧٤ وج٢ ص٣٢٩ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٢٥٥ وحياة الإمام الرضا «عليه السلام» للقرشي ج١ ص١٦٩ وج٢ ص٢٦٦ و ٣١٨.

واقتناصها، إن أمكن. أو دفع ما يرون فيه خطراً على مشاريعهم التآمرية التي يعدون لها العدة. كما أظهرته الوقائع اللاحقة.

وكان إبقاء علي «عليه السلام» في المدينة مخيفاً لهم، فحاولوا أن يطلقوا شائعات حول القرار بإبقاء علي «عليه السلام»، من شأنها أن تمس الكرامة، وتؤذي العنفوان، من قبيل قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» خلَّف علياً «عليه السلام» استثقالاً له[1].

أو قولهم: خلفه في النساء والصبيان[2].

---

(١) المسترشد ص١٢٩ و ٤٤٤ والإرشاد ج١ ص١٥٦ وذخائر العقبى ص٦٣ والمستجاد من الإرشاد ص٩٥ و ٩٦ والصراط المستقيم ج١ ص٣١٦ والبحار ج٢١ ص٢٠٨ و ٢٤٥ وج٣٧ ص٢٦٧ والغدير ج٣ ص١٩٨ والمناظرات في الإمامة ص٢١٤ والثقات ج٢ ص٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٦٨ وعن البداية والنهاية ج٥ ص١١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٦ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص٢٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤١ ونشأة التشيع والشيعة ص١٠٩ وكتاب السنة ص٥٨٦ وإعلام الورى ج١ ص٢٤٤ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٩ وشرح الأخبار ج٢ ص١٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٨٣ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٣٧٨ والثقات ج٢ ص٩٣ وكشف اليقين للعلامة الحلي ص١٤٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٣٢ والإعتقاد على مذهب السلف لأحمد بن الحسين البيهقي ص٢٠٥ ومسند أبي يعلى ج١ ص٢٨٦ ومعارج القبول ج٢ ص٤٧١ ومسند فاطمة للسيوطي ص٦٢ والمعجم لابن المثنى التميمي ص٢٣٠ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٢٩ وتلخيص المتشابه في الرسم ج٢ ص٦٤٤ وتاريخ =

أو: كره صحبته[١].

أو: مله وكره صحبته[٢].

أو: استثقله وكره صحبته[٣].

أو: سئمه وكره صحبته[٤].

وجاء الرد الإلهي الحاسم والحازم ليقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

= الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٢٧ وتاريخ الأحمدي ص٩٩ وفضائل الصحابة للنسائي ص١٤ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (ط بيروت) ج٩ ص٤١ والحدائق لابن الجوزي ج١ ص٣٨٧ عن البخاري، ومسلم، والبداية والنهاية ج٥ ص٧.

(١) المسترشد ص٤٤٥ وشرح الأخبار ج١ ص٩٧ ومسند ابن الجعد ص٣٠١ والطبقات الكبرى ج٣ ص٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٧٥ وأنساب الأشراف ص٩٤.

(٢) مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» ج١ ص٥٣١ و ٥٣٢ وفضائل الصحابة ص١٣ ومسند سعد بن أبي وقاص ص١٧٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٤ و ١٢٠ و ٢٤٠ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص٧٦ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٨٦ والكامل ج٢ ص٤١٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٥١ و ١٥٢ ومختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٤٤.

(٣) مقام الإمام علي «عليه السلام» ص٣٦ ومكاتيب الرسول هامش ج١ ص٥٩٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١١٧.

(٤) الإحتجاج ج١ ص٥٩ ومدينة المعاجز ج١ ص٢٨٨ والبحار ج٢١ ص٢٢٣ وتفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص٣٨٠ وبشارة المصطفى للطبري ص٣١٦.

٢ ـ وعن منزلة هارون من موسى نقول:

ألف: إن منزلة هارون من موسى، كما أشارت إليه آيات القرآن الكريم: هي أنه وزيره. وذلك بجعل من الله سبحانه، فإن الله جعل هارون وزيراً لموسى: ﴿..وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾(١).

أنه شد أزر النبي، وشد عضده.

أنه شريكه في أمر الدين، ونشره، وإبلاغه، وحفظه وفي كل شيء سوى النبوة.

أنه من أهله، فقد قال تعالى على لسان موسى «عليه السلام»: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ..﴾(٣).

أنه ردءٌ للنبي.

أنه يصدق النبي، فقد قال تعالى حكاية عن موسى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾(٤).

أنه خليفته في قومه..

أن مهمته هي الإصلاح في أولئك القوم..

قال تعالى حكاية عن لسان موسى «عليه السلام»: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الفرقان.

(٢) الآيتات ٢٩ ـ ٣٢ من سورة طه.

(٣) الآية ٣٥ من سورة القصص.

(٤) الآية ٣٤ من سورة القصص.

﴿وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(١).

ب: قال العلامة الطباطائي «رحمه الله» عن نبي الله هارون «عليه السلام»: «أشركه الله تعالى مع موسى «عليهما السلام» في سورة الصافات: في المنّ، وإيتاء الكتاب، والهداية إلى الصراط المستقيم، وفي التسليم، وأنه من المحسنين، ومن عباده المؤمنين [الصافات: ١١٤ ـ ١٢٢] وعده مرسلاً [طه: ٤٧]، ونبياً [مريم: ٥٣]، وأنه ممن أنعم عليهم [مريم: ٥٨]، وأشركه مع من عدهم من الأنبياء في سورة الأنعام في صفاتهم الجميلة، من الإحسان، والصلاح، والفضل، والإجتباء، والهداية [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٨]» انتهى(٢).

ج: ليس المراد بإشراكه في حفظ الدين، ونشره، وتبليغه، ما هو على حد شراكة المؤمنين معه في ذلك من حيث إن وجوب التبليغ والإرشاد والدعوة إلى الله، والدفاع عن الحق والدين وتعليم الأحكام يعم الجميع، فيجب على الناس العاديين وعلى الأولياء والأنبياء أيضاً.. بل هي شراكة خاصة في كل أمره «صلى الله عليه وآله» باستثناء نزول الوحي عليه، ونيل درجة النبوة بصورة فعلية.

وتظهر آثار هذه الشراكة في وجوب طاعته «عليه السلام»، وفي حجية قوله، وفي كل ما أعطاه الله إياه من علم خاص، ومن عرض أعمال العباد عليه، ومن طاعة الجمادات له، ومن التصرفات والقدرات الخاصة، مثل طي الأرض، ورؤيته من خلفه، وكونه تنام عيناه ولا ينام قلبه، والإسراء

---

(١) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

(٢) الميزان (تفسير) ج١٦ ص٤٤.

والمعراج إلى السماوات لرؤية آيات الله تبارك وتعالى وما إلى ذلك.

د: إنه «عليه السلام» من أهل النبي «صلى الله عليه وآله» والأهل يعيشون مع بعضهم بعفوية وشفافية ووضوح، فأهل النبي يشاهدون أحواله، ويطّلعون على أسراره، فإذا كان وزيره، وشريكه منهم، فإن معرفته بكل هذه الأمور المعنوية تكون منطلقة من معرفته الواقعية بكل حالاته وخفاياه، وباطنه وظاهره.. ولابد أن يدخل إلى ضمير هذا الوزير والشريك وإلى خلجات نفسه، وحنايا روحه، ويلامس شغاف قلبه بصفته نبياً مقدساً وطاهراً بكل ما لهذه الكلمة من معنى، ولا يريد لنفسه ردءاً وشريكاً ووزيراً بعيداً عنه، قد يفرض غموضه احترامه عليه، أو يخشى ويحذر ما يجهله منه..

إن هذا الإشراف المباشر على حالات هذا النبي، والعيش معه بعفوية الأهل والأحبة ومن دون أن يكون هناك أي داع لتحفظه معهم، أو للتحفظ معه.. يعطي للإنسان السكينة والطمأنينة إلى صحة الرؤية، وسلامة المعرفة، وواقعيتها، فيترسخ الإيمان بصحة نبوته في العقل، ويتبلور صفاؤه في الوجدان، ويتجذر طهره في أعماق النفس، وينساب هداه في الروح والضمير إنسياب الدم في العروق..

وهذه خصوصية لا يمكن أن توجد إلا لدى الأنبياء «عليهم السلام»، ومن هم في خطهم من الأولياء، والخلّص من المؤمنين..

أما من عداهم من أهل الدنيا.. فلا يمكن أن تستقيم لهم الأمور إلا بوضع الحجب، وإنشاء السدود والحواجز أمام الناس، حتى أقرب الناس إليهم ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم فضلاً عن غيرهم.. ومنعهم من المعرفة

بحقيقة سلوكهم، وبواقع نواياهم، وبما تكنّه ضمائرهم.. لأن معرفة الناس بذلك سوف تجر لهم الداء الدوي، والبلاء الظاهر والخفي..

هـ: وأما الأخوّة التي ينشدها النبي في الوزير: فقد تعني فيما تعنيه الأمور التالية:

أولاً: المساواة.. والإشتراك.. والمماثلة في الميزات.. والشبه في الصفات..

ولذلك نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كما ذكر المؤرخون كان يؤاخي بين كل ونظيره، ممن هو أقرب الناس إليه في الخُلُق، وفي السيرة، وفي الطموح، وفي المستوى الفكري والعقلي، وسائر الصفات.

مع العلم: بأننا لا نجد ملكاً يعترف لأي مخلوق، سواء أكان وزيراً أو قريباً أو حتى ولداً بالمساواة معه في الصفات والأخلاق، وسائر الميزات. بل هو يعطي لنفسه مقاماً متميزاً عن الناس كلهم، ويسعى لتعمية الأمر على الناس، ويتوسل إلى ذلك بأساليب شتى من الإبهام والإيهام، والإدّعاءات الزائفة، والمظاهر الخادعة.

ثانياً: إن هذا التشابه أو التقارب في الميزات من شأنه: أن يفرض تساوياً في الحقوق لكل منهما بالنسبة لأخيه الآخر.. وهذا مرفوض أيضاً في منطق أهل الدنيا، فإن الرؤساء والملوك فيها، إن لم يجدوا لأنفسهم خصوصية، فلابد من انتحالها، والتظاهر بما يوهم الخصوصية. كما ألمحنا إليه..

فكيف يمكن أن يرضوا بالمساواة مع غيرهم في الحقوق والمزايا؟!

و: إن استثناء النبوة في كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن وزارة علي «عليه السلام» يفيد: أن المراد بمنزلة هارون من موسى: هو سائر مراتبها، ومختلف متعلقاتها. أي أن هذا الإستثناء يفيد عموم المنزلة وشمولها لكل

الأمور والجهات والمراتب، فهو بمنزلته في لزوم الطاعة، وفي حجية قوله، وفي حاكميته، وفي القضاء، والعطاء، والسلم، والحرب والسفر، والحضر، وفي الحياة، وبعد المات.. وفي كل شيء..

أنت هادي أمتي:

وتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام» في هذه المناسبة: «أنت هادي أمتي. ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك، وأخذ بطريقتك. ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك، ورغب عن طريقك إلى يوم القيامة»[1].

ونقول:

إن هذه الكلمة قد تضمنت ثلاثة أمور هامة وأساسية.. وهي:

١ـ علي عليه السلام هادي أمة محمد ﷺ:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرر في هذه المناسبة: أن علياً «عليه السلام» هادي أمته.

وهذا يدل على: أن ما أجراه «عليه السلام» في بني جذيمة ليس مجرد إيصال بعض مال استحقه أولئك الناس عوضاً عن متاع سلب منهم، أو ديات لقتلى سقطوا في عدوان تعرضوا له. بل هو أمر يرتبط بالهداية إلى الحق، وتعريف الناس بما يرضي الله تبارك وتعالى..

---

(١) الأمالي للطوسي (ط سنة ١٤١٤ هـ) ص٤٩٨ والبحار ج٢١ ص١٤٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١١ ص٢١٩.

فكيف يمكن فهم هذا الأمر من الوقائع التي جرت له «عليه السلام» في مهمته تلك؟

إن الإجابة على هذا السؤال قد تكون من خلال ملاحظة تنوّع العطاءات، وتنوّع أسبابها، حيث أظهرت: أن لروعات النساء، وفزع الصبيان قيمة، وأنه لا بد من أن تودى الأجنة إذا أسقطت في مثل هذه الحالات، وأنه لا بد من بذل الأموال لإبراء ذمة الله ورسوله، ولأجل ما يعلمون، وما لا يعلمون.. وغير ذلك مما تقدم.. وتقدمت بعض الإشارات إلى وجوهه وأسبابه..

وهي أمور لم تكن واضحة للناس، بل هي قد لا تخطر لأحد منهم على بال..

وهي تدل على: أنه «عليه السلام» هو الذي يدرك أسرار الشريعة، ودقائقها، وكوامنها، ويعرف أهدافها، ومؤدياتها..

ولعل مما يوضح ذلك: أنه «عليه السلام» قد أعطى مالاً أيضاً من أجل أن يرضوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليحفظ بذلك دينهم، ويصون إيمانهم.

٢ـ السعيد من أحب علياً عليه السلام:

وقد بيّن «صلى الله عليه وآله» للناس: أن حقيقة السعادة تُنال بأمرين:

أحدهما: حب علي «عليه السلام».

والمقصود هو: حبه «عليه السلام» كما هو، وعلى ما هو عليه، وهو الذي يرضيه ما يرضي الله، ويغضبه ما يغضبه، فالسعيد هو من أحب علياً «عليه السلام» حتى وهو يجري عليه وعلى أهله وولده أحكام الله تعالى،

ويقيم عليه وعليهم حدوده، ولا تؤثر إقامته لها عليه وعليهم في محبته وفي إخلاصه وطاعته له، فهو يحبه حتى وهو يجلده، وحتى وهو يقتص من ولده القاتل. أو يقطع يد ولده السارق.

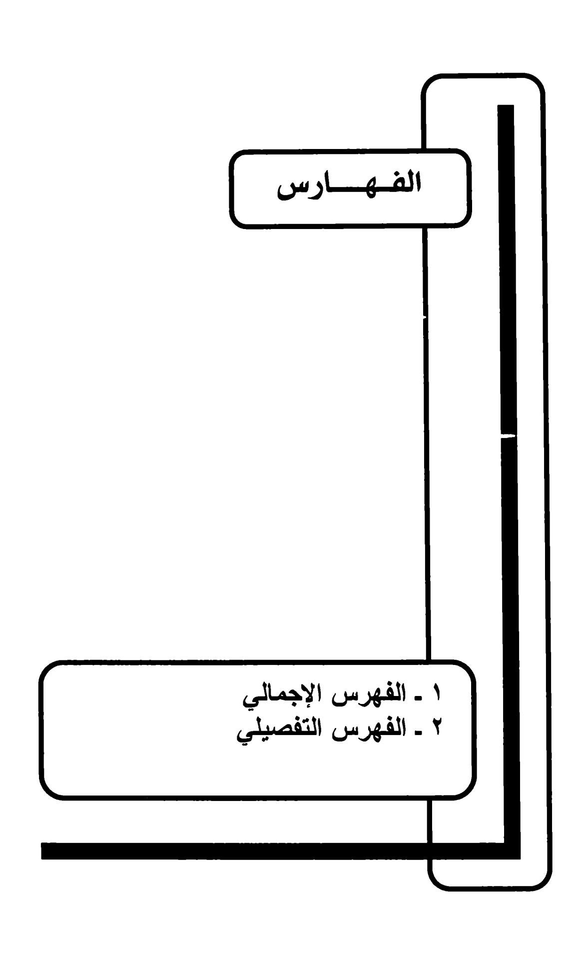
أما حب علي «عليه السلام» لأنه شجاع مثلاً، فهو ليس حباً لعلي «عليه السلام»، بل هو حب للشجاعة فقط، فهو يحبها حتى لو ظهرت لدى أعداء الله ورسوله. وأعداء الإنسانية.. فهذا الحب لا ينفع صاحبه ولا يسعده برضا الله تبارك وتعالى.

الثاني: الأخذ بطريقة علي «عليه السلام».. أي أن العمل الجوارحي يجب أن ينسجم مع المشاعر، ويستجيب لدعوتها أيضاً.. فالحب لعلي «عليه السلام» يدعو إلى التأسي والإقتداء وبدون ذلك، فإن الحب يبقى عقيماً، ليس له أي امتداد أو قيمة، أو ما يوجب له البقاء.

غير أن الملاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد تحدث عن الأخذ بطريقة علي «عليه السلام»، ولم يأمر بأن يعمل نفس عمل علي «عليه السلام» بحيث يكون للعمل نفس قيمة وخصوصيات عمل علي «عليه السلام»، ونفس درجته في الإخلاص، والخلوص، والمثوبة، وسائر الآثار، بل المطلوب هو: أن يتبع المؤمن سبيله، وطريقته «عليه السلام»، وإن لم تتحقق المماثلة لها في سائر الخصوصيات والآثار.

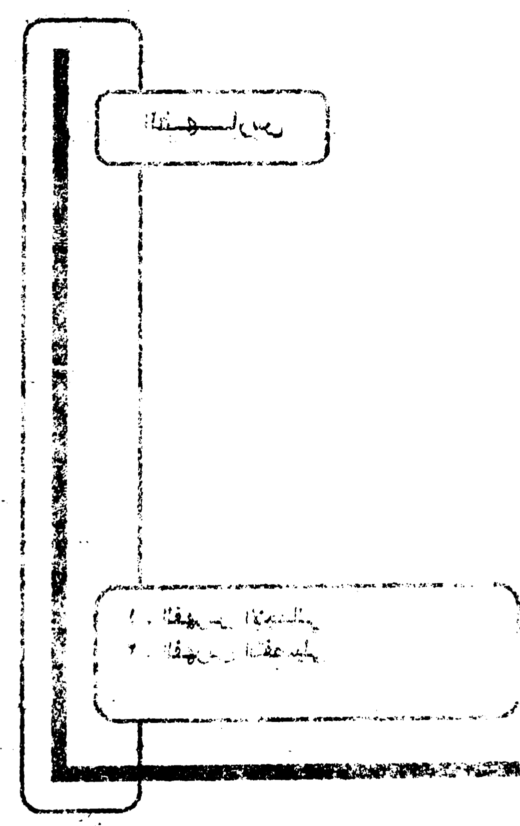
ولذلك نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد رتب الشقاء على مخالفة طريقة علي «عليه السلام»، لا على فقدان الأعمال لخصوصيات وآثار وقيمة، وخصائص عمل علي «عليه السلام».

وذلك لطف آخر من الله ورسوله بالعباد، ولهذا البحث مجال آخر.



الفهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي


الفهارس
١ . الفهرس الإجمالي
٢ . الفهرس التفصيلي

١ ـ الفهرس الإجمالي

الباب الثالث: نهايات فتح مكة

القسم العاشر: من الفتح.. إلى الشهادة

الباب الأول: من فتح مكة إلى حنين.. تسع بعوث وسرايا..

[illegible]

[illegible]

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الباب الثالث: نهايات فتح مكة

الفصل الأول: الذين أهدر النبي ﷺ دمهم

الفصل الثاني: أحداث جرت في فتح مكة

الفصل الثالث: تشريعات وأحكام

الفصل الرابع: مكة بعد الفتح بيد عتَّاب.. ومعاذ

القسم العاشر: من الفتح.. إلى الشهادة

الباب الأول: من فتح مكة إلى حنين.. تسع بعوث وسرايا..

الفصل الأول: بعوث وسرايا قبل بني جذيمة

الفصل الثاني: خالد يبيد بني جذيمة

الفصل الثالث: نصوص أخرى أوضح وأصرح

الفصل الرابع: حديث العترة هو القصص الحق

الفهارس: